المجالسُ السَّنيّة

في

مناقب ومصائب العترة النبويّة

تأليف

المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين (رضوان الله عليه)

الجزء الأول

الطبعة الخامسة

1394ه - 1974م

مقدّمة الطبعة الجديدة

هذا كتاب ( المجالسُ السَّنيّة ) بحلّته الجديدة تخرجه دار التعارف تعميماً لفائدته ونشراً لدعوته، وهذا الكتاب قصد مؤلِّفه - أول ما قصد من تأليفه - أنْ يكون دليلاً للخطباء ومستنداً للذاكرين؛ يعتمدون عليه في تنقية ما يلقون ويذكرون من سيرة الحسين (عليه‌السلام) ، وقد أدّى رسالته طوال الخمسين سنة - التي مرّت حتّى الآن - على تأليفه ونشره لأول مرّة.

ولـمّا كان لابدّ له من مسايرة الزمن في حياته الطويلة ليستطيع الاستمرار في أداء مهمّته ومواكباً العصور كلّها ؛ لذلك رأينا ونحن نعدّه للطبع أنْ نزيد عليه مجالس جديدة تزيده إشراقاً على إشراق ، وقد حرصنا على أنْ نشير إلى أصحاب الأقلام التي كتبت تلك المجالس ؛ ليكون المطالع على بيّنة من ذلك ، سائلين لدار التعارف - النّاهضة بهذه المهمّة - التوفيق والنجاح.

( ح )

السيّد محسن الأمين

يصعب الإلمام بكلّ جانب من جوانب حياة المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين إلماماً كاملاً لغير المتخصّصين المتفرّغين لمثل هذه الدراسات العميقة الواسعة ؛ فحياة السيّد محسن الأمين حياة زاخرة بأخصب ما تزخر به حياة الرجال ، حافلة بأطيب ما تحفل به حياة الـمُصلحين ؛ قادة الاُمم ورعاة الشعوب.

وحين تُقبل على دراسة سيرة السيّد محسن تُحار من أيّ جانب من جوانبها يمكن أنْ تقبل على تلك السيرة الفريدة ، فبينما هو أمامك إمام في الدِّين ، مجتهد في رأس المجتهدين ، عليه أنْ يتفرّغ للجواب على الإستفتاءات وحلّ المشكلات وفضّ الخصومات. إذا أمامك قائد شعبي يجعل من الدِّين طريقاً للإصلاح ، وثورة على الجمود ونقمة على البدع ؛ يصادم الجماهير بغير ما تعتقد ، ويواجه الجموع بغير ما ترى ، فيتّخذ الخرافيون أو المستغلّون هذه المصادمة وهذه المواجهة وسيلة لإثارة النّاس ، محاولين الفتّ في عضُد المنادي بالإصلاح ، وترويع الثائر على البدع ، فما يزداد إلّا صموداً وثورة وشجاعة.

وكان كتاب ( المجالسُ السَّنيّة ) إحدى محاولاته الإصلاحيّة لشدّة ارتباط استشهاد الحسين (عليه‌السلام) بحياة الشعب ، ولتأثير ما يلقى في الاحتفالات التذكاريّة الحسينيّة في نفوس النّاس ، وقد أراد أنْ تكون تلك الاحتفالات بعيدة عن الشوائب ؛ فنظّم لها عدّة مجالس ضمّنها كتابه هذا بعد أنْ قدّم له مقدّمة تبيّن نهجه واُسلوبه وغايته.

لقد عاش السيّد محسن حياة زاخرة بالعمل ، حافلة بالصلاح والإصلاح ، ثمّ توفّاه الله فظلّ حيّاً بآثاره وكتبه ومبادئه ، وهكذا تكون حياة المصلحين ، وهكذا يخلّدون أبد الدهر.

محمّد علي صندوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضّل المجاهدين على القاعدين درجات ، ورفع منازل الشهداء في أعالي الجنّات ، وجعل الذين قُتلوا في سبيله أحياءً عند ربّهم يُرزقون غير أموات ، وصلّى الله على سيّدنا محمّد أشرف البريّات ، وأفضل المخلوقات، وعلى آله الأئمة الهداة ، الذين ابتلوا بأعظم البليّات، وأفجع الرزايا والمصيبات.

وبعد ، فيقول العبد المفتقر إلى عفو ربّه الغني ، محسن ابن المرحوم السيّد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي ، نزيل دمشق الشام ، عفا الله عن سيّئاته : هذا كتاب ( المجالسُ السَّنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة ) وهو خمسة أجزاء ؛ أربعة منها في ذكر مصيبة الحسين (عليه‌السلام) التي هي أعظم مصائب أهل البيت (عليهم‌السلام). والجزء الأول من الأربعة - وهو هذا الجزء - في تاريخ مولده ومقتله ، وقدر عمره ومدّة خلافته ، وكنيته ولقبه ونقش خاتمه ، وعدد أولاده ، وصفته ونُبذ في مناقبه وسيرته ، وخُطَبه ونظم الشعر في رثائه وزيارته ، وما جرى له بعد موت معاوية ، وكيفيّة شهادته ، وما جرى بعد قتله إلى رجوع أهل بيته إلى المدينة وما يتعلّق بذلك.

والجزء الثاني والثالث والرابع : في جملة من مناقب أهل البيت (عليهم‌السلام) ، وجملة من الغزوات ، والمواعظ والآداب ، وأخبار السلف المستحسنة ، وغير ذلك ممّا فيه فوائد نافعة للمستمع مع التخلّص إلى ذكر المصيبة على الطريقة المألوفة بأنسب وجه وأجمل طريق ، ناقلاً ذلك من الكتب المعتمدة المشهورة لمؤرّخي الإسلام.

والجزء الخامس فيما يتعلّق بأحوال النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) والزهراء (عليها‌السلام) والأئمة (عليهم‌السلام) ومناقبهم على أبسط وجه وأحسن ترتيب.

والله المسؤول أنْ يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، مقبولاً عنده تعالى وعند نبيّه وعترته الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

مقدّمة مهمّة

لا يخفى أنّه قد قضى العقل والدِّين باحترام عظماء الرجال أحياءً وأمواتاً ، وتجديد الذكرى لـمَن بذل نفسه في أسمى المقاصد وأنفع الغايات ، وجرت على ذلك جميع الاُمم في كلّ عصر وزمان.

وإنّ سيّدنا ومولانا الإمام ابن الإمام أخا الإمام أبا الأئمة ، الحسين الشهيد ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، أحد ريحانتي الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وسبطيه وخليفته في اُمّته ، من أعاظم رجال الإسلام بل من أعاظم رجال الكَون. فقد جمع إلى شريف نسبه وكريم عنصره ، وبنوّته لسيّد الأنبياء ولسيّد الأوصياء وللبضعة الزهراء سيّدة النّساء صلوات الله عليهم ، أكرم الصفات وأحسن الأخلاق وأعظم الأفعال وأجلّ الفضائل والمناقب ، وقام بما لم يُسمع بمثله قبله ولا بعده؛ من بذل نفسه وماله وآله في سبيل إحياء الدين وإظهار فضائح المنافقين ، وأظهر من إباء الضيم وعزّة النفس ، والشجاعة والبسالة ، والصبر والثبات ، ما بهر العقول.

ومصيبته وكيفيّة شهادته من أفظع ما صدر في الكون ، مع أنّه ابن بنت النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الذي لمْ يكن على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره. وقد حزن النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لتلك المصيبة قبل وقوعها ، وكذلك آله الأئمة الأطهار (عليهم‌السلام) كانت سيرتهم تجديد الأحزان لذكرى تلك الفاجعة الأليمة حتّى قال الامام الرضا (عليه‌السلام) : (( كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي عشرة أيّام منه ، فإذا كان اليوم العاشر ، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه )).

وقد ندبوا (عليهم‌السلام) إلى ما ندب إليه العقل في حقّ كلّ محبّ مع حبيبه ؛ من الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم. واقتدى بهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم ، فجدّدوا ذكرى مصيبة الحسين (عليه‌السلام) وكيفية شهادته التي تكاد أنْ تفتّت الصخور ، فضلاً عن الأكباد والقلوب ، لا سيّما في عشرة المحرّم التي وقعت فيها تلك المصائب الفادحة.

هذا ، ولكن كثيراً من الذاكرين لمصابهم قد اختلقوا أحاديث في المصائب

وغيرها لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف ، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة وزادوا ونقصوا فيها ؛ لِما يرونه من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحّة الأخبار وسُقمها حتّى حُفِظَتْ على الألسن ، واُودعت في المجاميع ، واشتهرت بين النّاس ، ولا رادع ، وهي من الأكاذيب التي تغضبهم (عليهم‌السلام) وتفتح باب القدح للقادح ؛ فإنّهم لا يرضون بالكذب الذي لا يرضي الله ورسوله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وقد قالوا لشيعتهم : (( كونوا زيناً لنا ، ولا تكونوا شيناً علينا )).

وقد اكتسبوا - هم ومَن قَبِلها منهم وأقرّهم عليها - الإثم المبين ؛ فإنّ الله لا يُطاع من حيث يُعصى ، ولا يتقبّل الله إلّا من المتّقين. والكذب من كبائر الذنوب الموبقة لا سيّما إنْ كان على النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم‌السلام).

كما أنّ ما يفعله جملة من النّاس ؛ من جرح أنفسهم بالسيوف ، أو اللطم المؤدّي إلى إيذاء البدن ، إنّما هو من تسويلات الشيطان وتزيينه سوء الأعمال ، فذلك ممّا يغضب الحسين (عليه‌السلام) ويبّعد عنه لا ممّا يقرّب إليه ؛ فهو (عليه‌السلام) قد قُتل في سبيل الإحياء لدين جدّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وهذه الأعمال ممّا نهى عنها دين جدّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فكيف يرضى بها وتكون مقربة إلى الله تعالى ، والله تعالى لا يُطاع من حيث يُعصى ، كما ذكرنا آنفاً ؟!

وانتحال بعض الجهّال عذراً لذلك بما ينقلونه من أنّ إحدى الطاهرات نطحت جبينها بمُقدّم المحمل حتّى رُئي الدم يجري من تحت قناعها ؛ هو من هذا البحر وعلى هذه القافية اللَذين مرّت الإشارة إليهما. وهكذا ما يجري من التمثيل والتشبيه للوقعة ؛ فإنّه في نفسه مشتمل على كثير من المحرّمات ، وموجب لهتك الحرمة ، وفتح باب القدح للذين يحاولونه بما استطاعوا ، فيكون منهيّاً عنه بقوله (عليه‌السلام) : (( ولا تكونوا شيناً علينا )). نعم ، التمثيل الخالي عن المحرّمات والشائنات لا بأس به ، ولكن أين هو ؟

فعلى مَن يريد التقرّب إلى الله تعالى ونبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأوليائه بالبكاء والحزن لمصاب الحسين (عليه‌السلام) ، أنْ لا يتعدّى ما رسمه الامام الرضا نقلاً عن أبيه (عليهما‌السلام) ممّا مرّ ، وإلّا كان من ( الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا )(1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الكهف / 104.

مقتل سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما‌السلام

ذكر مولده ومقتله ، وقدر عمره ومدّة خلافته ، وكنيته ولقبه ونقش خاتمه ، وعدد أولاده وصفته ، ونظم الشعر في رثائه ، وجملة من مناقبه ، وما جرى له بعد موت معاوية ، وتفصيل شهادته ، وما جرى بعد قتله إلى رجوع أهل بيته إلى المدينة وما يتعلّق بذلك.

وفيه مجالس :

المجلس الأول

وُلد الحسين بن علي (عليهما‌السلام) بالمدينة المنوّرة عام الخندق ، في شعبان يوم الخميس أو الثلاثاء لخمس أو ثلاث خلون منه ، وقيل في آخر ربيع الأول ، وقيل لخمس خلون من جمادى الاُولى سنة ثلاث أو أربع من الهجرة.

حملت به اُمّه الزهراء صلوات الله عليها بعد ولادة أخيه الحسن (عليه‌السلام) بخمسين ليلة ، فلم يكن بينهما سوى هذه المدّة ومدّة الحمل. وروى مولانا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه (عليهما‌السلام) : (( أنّه لم يكن بينهما إلّا طهر واحد )). وكانت مدّة حمله ستّة أشهر.

فلمّا وُلِد جاءت به اُمّه فاطمة (عليها‌السلام) إلى جدّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فاستبشر به ، وأذّن في اُذنه اليمنى وأقام في اليسرى ، وعقّ عنه كبشاً يوم السّابع ، وسمّاه حسيناً ، وأمر اُمّه أنْ تحلق رأسه وتتصدّق بزنة شعره فضّة كما فعلت بأخيه الحسن (عليه‌السلام) ، فامتثلت ما أمرها به.

وقُتل (عليه‌السلام) شهيداً بكربلاء من أرض العراق يوم الجمعة أو السبت أو الاثنين عاشر المحرّم سنة إحدى وستين من الهجرة ، وعمره الشريف خمس وخمسون ، أو ست وخمسون سنة وخمسة أشهر وخمسة أيّام ، أو سبعة أيّام ، أو أكثر من ذلك

بأشهر وأيام على اختلاف الروايات والأقوال المتقدّمة(1).

عاش منها مع جدّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ست سنين أو سبع سنين وشهوراً ، ومع أبيه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ثلاثين سنة إلّا أشهراً ، ومع أخيه الحسن (عليه‌السلام) بعد وفاة أبيه نحو عشر سنين ، وبعد وفاة أخيه الحسن (عليه‌السلام) نحو عشر سنين ، وقيل : خمس سنين وأشهراً ؛ للاختلاف في تاريخ وفاة الحسن (عليه‌السلام) ، وهي مدّة خلافته وإمامته الثابتة بقوله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) له ولأخيه الحسن (عليهما‌السلام) : (( ابني هذان إمامان قاما أو قعدا )).

ودلّت وصيّة أخيه الحسن (عليه‌السلام) إليه على إمامته ، كما دلّت وصيّة أمير المؤمنين (عليه‌السلام) إلى الحسن (عليه‌السلام) على إمامته ، بحسب ما دلّت وصيّة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى أمير المؤمنين (عليه‌السلام) على إمامته.

وكان الحسين (عليه‌السلام) في هذه المدّة صابراً للهدنة إلتي بينه وبين معاوية ، فالتزم الوفاء بها. فلمّا مات معاوية ، أظهر أمره بحسب الإمكان ، ولـمّا وجد أنصاراً دعا إلى الجهاد ، وتوجّه بولده وأهل بيته من حرم الله وحرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى العراق ؛ استنصاراً بمَن دعاه.

وقدّم أمامه ابن عمّه مسلم بن عقيل (رضي ‌الله‌ عنه وأرضاه) للدعوة إلى الله وللبيعة على الجهاد ، فبايعه مَن بايعه على ذلك ، وعاهدوه وضمنوا له النصرة والنصيحة. ثم نكث مَن نكث، وخذلوه وأسلموه ، فقُتل بينهم ولم ينصروه ، وخرجوا إلى حرب الحسين (عليه‌السلام) ، فحاصروه ومنعوه المسير إلى بلاد الله ، واضطرّوه إلى حيث لا يجد ناصراً ولا ملجئاً منهم ، وحالوا بينه وبين ماء الفرات وقتلوه.

فمضى (عليه‌السلام) ظمآن مجاهداً صابراً محتسباً مظلوماً ، قد نُكثت بيعته واستحلّت حرمته ، ولم يوفَ له بعهده ولا رعيت فيه ذمّة ، شهيداً على ما مضى

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قيل : إنّ عمرَه الشريف سبع وخمسون سنة ، وكأنّه مبني على نوع من التسامح ، بعد السّنة الناقصة سنة كاملة. ومن الغريب قول الشيخ المفيد عليه الرحمة : أنّ عُمرَه الشريف ثمان وخمسون سنة مع ذكره أنّ مولده لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة ، وشهادته عاشر المحرّم سنة إحدى وستّين ، فإنّ عمره من هذا يكون ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام.

عليه أبوه وأخوه (عليهما‌السلام).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ميّتٌ تبكي له فاطمةٌ  |  | وأبوها وعليٌّ ذو العُلا  |

كنيته : أبو عبد الله.

لقبه : الرشيد ، الطيّب ، الوفي ، السيّد ، الزكي ، المبارك ، التابع لمرضاة الله ، الدليل على ذات الله ، السبط.

شاعره : يحيى بن الحكم ، وجماعة.

بوّابه : أسعد الهجري.

نقش خاتمه : ( لكلِّ أجلٍ كتابْ ).

ملوك عصره : معاوية وابنه يزيد.

له من الأولاد تسعة ؛ ستّة ذكور وثلاث بنات. فالذكور : علي الأكبر ، وعلي الأوسط ، وعلي الأصغر ، ومحمّد ، وعبد الله ، وجعفر. والبنات : زينب ، وسكينة ، وفاطمة.

وقال المفيد : له أربعة ذكور وابنتان - بإسقاط أحد العليّين ومحمّد وزينب - ، واختلف في علي الأكبر ؛ فالمشهور أنّه المقتول بكربلاء ، واُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّة.

وقال المفيد : إنّ الأكبر هو زين العابدين (عليه‌السلام) ، واُمّه شاهزنان بنت كسرى يزدجرد ؛ والأصغر جاءه سهم بكربلاء فقتله ؛ وجعفر اُمّه قضاعية ، توفي في حياة أبيه ولم يعقب ؛ وعبد الله الرضيع جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه ، واُمّه واُمّ سكينة الرباب بنت امرئ القيس بن عدي ( كلبية معديّة ) ؛ وفاطمة اُمّها اُمّ اسحاق بنت طلحة بن عبد الله تيمية.

والذِكر المخلّد والثناء المؤبَّد من بين بنيه لعلي زين العابدين (عليه‌السلام) ، ومنه عقبه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ذرّيةٌ مثلُ ماءِ الـمُزنِ قد طهِروا  |  | وطُيّبوا فصفتْ أوصافُ ذاتِهمُ  |

المجلس الثاني

قالت اُمّ الفضل زوج العبّاس بن عبد المطلب - واسمها لبابة - : يا رسول الله ، رأيت في منامي كأنّ عضواً من أعضاءك سقط في بيتي. قال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( خيراً رأيت ، إنْ صدقَتْ رؤياك فإنّ فاطمة ستلد غلاماً ، فأدفعه إليك لترضعيه )).

فولدت فاطمة (عليها‌السلام) الحسين (عليه‌السلام) فكفلته

اُمّ الفضل. وقيل : كانت أمّ الفضل مربّية للحسين (عليه‌السلام) ولم ترضعه ، كما أنّ اُمّ عبد الله بن يقطر كانت حاضنة للحسين (عليه‌السلام).

قالت اُمّ الفضل : فأتيت به يوماً إلى رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فبينما هو يقبّله إذْ بال ، فقطرت منه قطرة على ثوب النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقال : (( خذيه )). فأخذته ، وقرصته قرصة بكى منها ، فقال كالمغضب : (( مهلاً يا اُمّ الفضل ، آذيتني وأبكيتِ ابني ، فهذا ثوبي يُغسل )). وفي رواية : (( لقد أوجع قلبي ما فعلتِ به )).

الله اكبر ! إذا كان قد بلغ حبّ النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) للحسين (عليه‌السلام) ورأفته به أنْ تكون قرصة اُمّ الفضل له تؤذي النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وتوجع قلبه ؛ فإلى أيّ حدّ بلغ الأذى بالنبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حين كانت السّيوف والرماح والسهام تقع في بدن ولده الحسين (عليه‌السلام) حتّى اُثخن بالجراح ، وصارت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ ؟!

وهل يُلام مَن بكى على الحسين (عليه‌السلام) وتألّم لقتله وواسى رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في الحزن والبكاء ؟ وهل يتوقّف مسلم في استحقاق قتَلة الحسين (عليه‌السلام) اللّعنة ، ومَن أمر بذلك أو أعان عليه ، بعد قوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا )(1) ؟

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا رسولَ اللهِ لو عايَنْتهمْ  |  | وهُمُ ما بين قتلٍ وسِبا  |
| منْ رميضٍ يُمنعُ الظلُّ ومنْ  |  | عاطشٍ يُسقى أنابيبُ القَنا  |
| لرأتْ عيناكَ منهُمْ منظَراً  |  | للحشَى شجْواً وللعينِ قذا  |

المجلس الثالث

في كتاب ( وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ) للسمهودي الشافعي ، عن علي (عليه‌السلام) قال : (( زارنا النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فبات عندنا ، والحسن والحسين نائمان ، واستسقى الحسن ، فقام النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأخذ قربة لبناً ، فصبّ منها في القدح ثمّ جعل يسقيه ، فتناول الحسين فمنعه وبدأ بالحسن ، فقالت فاطمة : يا رسول الله ، كأنّه أحبّ إليك ؟ قال : إنّما استسقى أولاً. ثمّ قال رسول الله

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 57.

(صلى‌الله‌عليه‌وآله) : إنّي وإيّاك وهذان وهذا الراقد ( يعني عليّاً ) يوم القيامة في مكان واحد )).

لمْ يدع النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فاطمة (عليها‌السلام) أنْ تسقي الحسن (عليه‌السلام) لـمّا استسقى ، بل قام وسقاه بنفسه ثمّ سقى الحسين (عليه‌السلام) ؛ وذلك لأنّ الحسن طلب أولاً ، والماء لـمَن طلب أولاً. بذلك ظهر مقدار كرامة الحسنَين (عليهما‌السلام) عند النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى أنّه لمْ يدع اُمّهما تسقيهما حتّى سقاهما بنفسه.

فليتك يا رسول الله حضرت يوم كربلاء ، ورأيت ولدك الحسين (عليه‌السلام) ، وقد اشتدّ به العطش، عندما منعه جيش بني اُميّة من الماء وحالوا بينه وبين ماء الفرات ، وجعل يطلب شربة من الماء فلا يجد ، وكلّما حمل بفرسه على الفرات ليشرب حملوا عليه حتّى أجلوه عنه ، فكنتَ تسقيه الماء كما سقيته في بيت اُمّه بنفسك ، ولم تدع اُمّه تنوب عنك في ذلك !

قال السمهودي : وعن علي (عليه‌السلام) قال : (( زارنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فعملنا له خزيرة - وهي لحم يقطع صغاراً ويصبّ عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق - ، وأهدت لنا اُمّ أيمَن قعباً من لبن وصحفة من تمر ، فأكل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأكلنا معه ، ثمّ وضّأت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) - أي غسلت يديه - فمسح رأسه وجبهته ولحيته بيده ، ثمّ استقبل القبلة فدعا بما شاء الله ، ثمّ أكبّ إلى الأرض بدموع غزيرة ، يفعل ذلك ثلاث مرّات ، فتهيبنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ نسأله ، فوثب الحسين على ظهر رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وبكى ، فقال له رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : بأبي واُمّي ، ما يُبكيك ؟ قال : يا أبتِ ، رأيتك تصنع شيئاً ما رأيتك تصنع مثله ! فقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : يا بُني ، سُررتُ بكم اليومَ سروراً لم اُسرّ بكم مثله قط ، وأنّ حبيبي جبرائيل (عليه‌السلام) أتاني وأخبرني أنّكم قتلى وأنّ مصارعكم شتّى ؛ فأحزنني ذلك ودعوت الله لكم بالخيَرة )).

نعم يا رسول الله ، إنّ آلك وذريتّك قتلى ؛ بعضٌ بالسُّمِّ ، وبعض بالسّيف ، وقبورهم شتّى ؛ فأخوك وابن عمّك علي (عليه‌السلام) قتلوه وهو يُصلّي في محرابه ، فكان قبره بظهر الكوفة ، وولداك الحسنان (عليهما‌السلام) ، اللذان فديتهما بأبيك واُمّك ، قُتل أحدهما وهو الحسن (عليه‌السلام) بالسُّمِّ الذي دُسّ إليه وقطّع كبده ، فكان قبره بالبقيع ، وأخوه الحسين (عليه‌السلام) قُتل بضرب السّيوف وطعن الرماح ورمي السهام من جيش يزيد بن معاوية ، فكان قبره بكربلاء.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بعضٌ بطَيبةَ مدفونٌ وبعضُهمُ  |  | بكربلاءَ وبعضٌ بالغريّينِ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جاشتْ على آلهِ ما ارتاح واحدهُمْ  |  | من قهرِ أعداهُ حتّى مات مقْهُورا  |
| قضى أخوهُ خضيبَ الرأسِ وابنتُهُ  |  | غضبى وسِبطاهُ مسموماً ومنْحُورا  |

المجلس الرابع

ممّا جاء في صفة الحسين (عليه‌السلام) ، أنّه كان أشبه النّاس برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). وقال أنس بن مالك – لـمّا رأى رأس الحسين (عليه‌السلام) بين يدي ابن زياد - : كان أشبههم برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

وعن علي (عليه‌السلام) : (( كان الحسن أشبه برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ما بين الصدر الى الرأس ، والحسين أشبه به فيما كان أسفل من ذلك )).

وكانت الزهراء (عليها‌السلام) تُرقّص الحسن (عليه‌السلام) ، وتقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إشبهْ أباك يا حَسنْ  |  | واخلعْ عن الحقِّ الرّسنْ  |
| واعبدْ إلهاً ذا مِننْ  |  | ولا توالِ ذا الإحنْ  |

وقالت للحسين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنتَ شبيهٌ بأبيْ  |  | لستَ شبيهاً بِعليْ  |

وكان الحسين (عليه‌السلام) يخضب بالحنّاء والكتم ، وقُتل صلوات الله عليه وقد نصل الخضاب من عارضيه.

وأقوى دليل وأوضح برهان على كمال فضل الحسنَين (عليهما‌السلام) وعلوّ مقامهما وإمامتهما للمسلمين ؛ أنّ النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) باهَلَ بهما وهما صبيّان ، كما دلّ عليه قوله تعالى في آية المباهلة ( فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ )(1). وبايع لهما النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وهما صبيّان لم يبايع صبيّاً غيرهما ، وأوجب لهما الجنّة على عملهما وهما طفلان بقوله تعالى في سورة هل أتى : ( فَوَقَاهُمُ اللّهُ شَرّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً \* وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنّةً وَحَرِيراً )(2).

وقال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في الحسنَين (عليهما‌السلام) : (( هما ريحانتاي من الدّنيا )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( الحسن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة آل عمران / 61.

(2) سورة الإنسان / 11 - 12.

والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فيهما : (( هذان ابناي ، فمَن أحبَّهما فقد أحبّني ، ومَن أبغضهما فقد أبغضني )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فيهما : (( اللهمَّ ، إنّي اُحبّهما فأحبهما )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ابناي هذان ، إمامان قاما أو قعدا )).

وكان النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يصلّي ، فإذا سجد وثب الحسَنان (عليهما‌السلام) على ظهره ، فإذا أرادوا أنْ يمنعوهما ، أشار إليهم أنْ دعُوهما ، فلمّا قضى الصلاة وضعهما في حجره وقال : (( مَن أحبّني فليُحب هذين )).

وكان (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يجثو للحسنَين (عليهما‌السلام) فيركبان على ظهره ، ويقول : (( نِعمَ الجملُ جملكما ! ونعم العدلان أنتما ! )). وحملهما (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مرّة على عاتقه ، فقال رجل : نعم الفرس لكما ! فقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( ونِعمَ الفارسان هما !)).

وحجّ الحسَنان (عليهما‌السلام) ماشيين ، فلم يمرّا برجل راكب إلاّ نزل يمشي ، فقال بعضهم لسعد بن أبي وقّاص : قد ثقل علينا المشي ، ولا نستحسن أنْ نركب وهذان السيّدان يمشيان. فرغب إليهما سعد في أنْ يركبا ، فقال الحسن (عليه‌السلام) : (( لا نركب ، قد جعلنا على أنفسنا المشي إلى بيت الله الحرام على أقدامنا ، ولكننا نتنكّب عن الطريق )). فأخذا جانباً من النّاس.

وكان ابن عبّاس مع علمه وجلالة قدره يمسك بركاب الحسنَين (عليهما‌السلام) حتّى يركبا ، ويقول : هما ابنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله).

وسمع النبيُّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بكاءهما وهو على المنبر ، فقام فزعاً. وكان (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يخطب على المنبر ، فجاء الحسَنان (عليهما‌السلام) وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثمّ قال : ( إنّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ )(1).

فإذا كان بكاء الحسنَين (عليهما‌السلام) - وهما طفلان صغيران - وعثورهما في ثوبيهما أزعج النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) كلّ هذا الإزعاج حتّى نزل عن المنبر فزعاً مدهوشاً ، وحملهما ووضعهما بين يديه ، فما كان يجري على النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لو رأى ولده الحسن (عليه‌السلام) يلفظ كبده قطعاً من السمّ الذي دُسّ إليه ؟! وما كان يجري عليه لو رأى ولده الحسين (عليه‌السلام) وهو وحيد فريد لا ناصر له ولا معين ، يستغيث فلا يُغاث ، ويطلب شربة من الماء فلا يُجاب ، وقد أحاط به ثلاثون ألفاً يرمونه بالسّهام ويطعنونه بالرماح ، ويضربونه بالسيوف ويرشقونه بالحجارة حتّى اُثخن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة التغابن / 15.

بالجراح ، وصارت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ حتّى ذبحوه كما يُذبح الكبش ، ونساؤه وعياله تنظر إليه ؟!

أما كان النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يبكي ويجزع ويتفطّر قلبه ويتصدّع ؟

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا رسولَ اللهِ لو عاينْتهُمْ  |  | وهُمُ ما بين قتلٍ وسِبا  |
| لرأتْ عيناك منهمْ منظراً  |  | للحشى شجواً وللعينِ قذا  |

المجلس الخامس

قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( إنّ الله تعالى جعل ذرّيّة كلِّ نبيٍّ من صلبه خاصّة ، وجعل ذرّيتي من صلب علي بن أبي طالب )).

وقال الحسين (عليه‌السلام) لأصحاب ابن زياد يوم الطفّ : (( ما لكم تناصرون علَيّ ؟! أما والله ، لئن قتلتموني لتقتلنّ حجّة الله عليكم. لا والله ، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ أحتجّ به عليكم غيري )).

وأجلس النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الحسن (عليه‌السلام) على فخذه اليمنى والحسين (عليه‌السلام) على فخذه اليسرى، وأجلس عليّاً وفاطمة (عليهما‌السلام) بين يديه ، ثمّ لفّ عليهما كساءه أو ثوبه ، ثمّ قرأ ( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً )(1). ثمّ قال : (( هؤلاء أهل بيتي حقّاً )).

وقال النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم‌السلام) : (( أنا سِلم لـمَن سالمتُم ، وحرب لـمَن حاربتُم )).

ونظر (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى الحسن والحسين (عليهما‌السلام) ، فقال : (( مَن أحبّ هذين وأباهما واُمّهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة )).

وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ الله من أحبّ حسيناً )). وقال (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : (( مَن أحبّ أنْ ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء ، فلينظر إلى الحسين (عليه‌السلام) )).

وكان (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يخطب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 33.

على المنبر إذ خرج الحسين (عليه‌السلام) ، فوطئ في ثوبه فسقط فبكى ، فنزل النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) عن المنبر ، فضمّه إليه وقال : (( قاتل الله الشيطان ! إنّ الولد لفتنة. والذي نفسي بيده ، ما دريت أنني نزلت عن منبري )). ومرّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من بيت فاطمة (عليها‌السلام) ، فسمع الحسين (عليه‌السلام) يبكي ، فقال : (( ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤذيني ؟ )).

إذا كان بكاء الحسين (عليه‌السلام) - وهو طفل صغير - يؤذي النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فما كان يجري على النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لو نظر إلى ولده الحسين (عليه‌السلام) وهو ينادي : ((هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله ؟ هل من موحّد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا ؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا ؟ )). فلا يُجاب إلّا بضرب السّيوف وطعن الرماح ورمي السهام ، وهو في ذلك يطلب شربة من الماء فلا يجد ، وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتّى أجلوه عنه ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منعوهُ شُربَ الماءِ لا شَرِبوا غداً  |  | من كفِّ والده البطينِ الأنزعِ  |

المجلس السّادس

قال المدائني : خرج الحسن والحسين (عليهما‌السلام) وعبد الله بن جعفر (رضي‌الله‌عنه) حجّاجاً ، ففاتتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا ، فمرّوا بعجوز في خباء لها فقالوا : هل من شراب ؟ قالت : نعم. فأناخوا بها ، وليس لها إلّا شويهة في كسر الخيمة ، فقالت : اجلسوا وامتذقوا لبنها. ففعلوا ذلك، وقالوا لها : هل من طعام ؟ قالت : لا ، إلّا هذه الشاة ، فليذبحها أحدكم حتّى اُهيّئ لكم منها ما تأكلون.

فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ، ثمّ هيّأت لهم طعاماً فأكلوا ، وأقاموا حتّى أبردوا ، فلمّا ارتحلوا قالوا لها : نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألـمّي بنا فإنّا صانعون إليك خيراً. ثمّ ارتحلوا.

وأقبل زوجها فأخبرته عن القوم والشاة ، فغضب وقال : ويحك ! تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثمّ تقولين نفر من قريش !

ثم بعد مدّة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة ، فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويعيشان منه. فمرّت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي (عليهما‌السلام) جالس على باب داره ، فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث غلامه فردّها فقال : (( يا أمَة الله ، أتعرفينني ؟ )). قالت : لا. قال : (( أنا ضيفك يوم كذا وكذا )). فقالت العجوز : بأبي أنت واُمّي ! فأمر الحسن (عليه‌السلام) فاشتري لها من شياه الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار ، وبعثها مع غلامه إلى أخيه الحسين (عليه‌السلام) فقال : (( بِكم وصلك أخي ؟ )) فقالت : بألف دينار وألف شاة. فأمر لها الحسين (عليه‌السلام) بمثل ذلك ، ثمّ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر فقال : بكم وصلك الحسن والحسين ؟ فقالت : بألفي شاة وألفي دينار. فأعطاها مثل ذلك.

وبنو هاشم معادن الجود والكرم ومعادن الشجاعة ، لا يباريهم في ذلك أحد ، ولا عجب من الشيء إذا جاء من معدنه. وحسبك بكرم الحسنَين (عليهما‌السلام) وهما سبطا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الذي لا يباري كرمه السحاب الهاطل ، وشبلا أمير المؤمنين (عليه‌السلام) أكرم النّاس وأسخاهم بعد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). وقلّما يكون الكريم غير شجاع ، والشجاع غير كريم. وأمير المؤمنين (عليه‌السلام) هو الذي قال : (( جنونان لا أخلاني الله منهما : الشجاعة والكرم )).

واقتدى به ولده الحسين (عليه‌السلام) في كرمه وشجاعته ، فإنّ هذا الشبل من ذلك الأسد ، وهذا الثمر من ذلك الشجر. وأعظم كرم صدر منه (عليه‌السلام) يوم تلقّاه الحرّ وأصحابه وهم زهاء ألف فارس ، فسقاهم الماء مع خيولهم في تلك الأرض القفراء ، وهم قد جاؤوا لمحاربته !!

ولكن بئسما جازاه أعداؤه على ذلك ؛ فإنّهم وضعوا - بأمر عمر بن سعد - خمسة آلاف رجل على المشرعة يمنعون الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه من استسقاء الماء !!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منعُوهُ من ماء الفُراتِ ووردِهِ  |  | وأبوهُ ساقي الحوضِ يومَ جزاءِ  |
| حتّى قضى عَطشاً كما اشْتهتِ العِدى  |  | بأكفِّ لا صيدٍ ولا أكفاءِ  |

أمّا شجاعته (عليه‌السلام) فهي التي ضُربت بها الأمثال وسارت بها الركبان ، وأنست شجاعة جميع الشجعان. وهو الذي دعا النّاس إلى البراز في يوم كربلاء فلم يزل يقتل كلَّ مَن برز إليه حتّى قتل مقتلة عظيمة. وهو الذي كان يحمل على الأعداء وقد تكملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر ، فلمّا رأى شمر ذلك ، استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجّالة ، وأمر الرماة أنْ يرموه ، فرشقوه بالسهام حتّى صار كالقنفذ ، فأحجم عنهم وحالوا بينه وبين رحله.

فقال (عليه‌السلام) : (( ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إنْ لمْ يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرُباً كما تزعمون )). فناداه شمر : ما تقول يابن فاطمة ؟ قال (عليه‌السلام) : (( أقول : أنا الذي اُقاتلكم وتقاتلونني ، والنّساء ليس عليهنّ جناح ، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً )).

قال شمر : لك ذلك. ثمّ صاح : إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه ، فلعمري لهو كفو كريم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قال اقصدُوني بنفسِي واتْركُوا حَرَمي  |  | قدْ حان حَيني وقدْ لاحتْ لوائحُهُ  |

المجلس السّابع

مما جاء في كرم الحسنَين (عليهما‌السلام) ما ذكره البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ ، قال : ذكروا أنّ رجلين ؛ أحدهما من بني هاشم والآخر من بني اُميّة ، قال هذا : قومي أسمح. وقال هذا : قومي أسمح. قال : فسلْ أنت عشرة من قومك ، وأنا أسأل عشرة من قومي.

فانطلق صاحب بني اُميّة ، فسأل فأعطاه كلّ واحد منهم عشرة آلاف درهم. وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي (عليهما‌السلام) فأمر له بمئة وخمسين ألف درهم ، ثمّ أتى الحسين (عليه‌السلام) فقال : (( هل بدأت بأحد قبلي ؟ )) قال : بدأت بالحسن ، قال : (( ما كنتُ استطيع

أنْ أزيد على سيّدي شيئاً )). فأعطاه مئة وخمسين ألفاً من الدراهم ، فجاء صاحب بني اُميّة يحمل مئة ألف درهم من عشرة أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمئة ألف درهم من نفسين ، فغضب صاحب بني اُميّة فردّها عليهم فقبلوها. وجاء صاحب بني هاشم فردّها عليهما فأبيا أنْ يقبلاها ، وقالا : (( ما كنّا نبالي ، أخذتها أم ألقيتها في الطريق )).

أقول : وفضائل الحسنَين (عليهما‌السلام) لا تحصى بحدّ ولا تحصر بعدّ ، كيف ؟ وهما ولدا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وسبطاه وريحانتاه من الدنيا ، وسيّدا شباب أهل الجنّة ، خير النّاس أباً واُمّاً وجدّاً وجدّةً وخالاً وخالةً وعمّاً وعمّةً ؛ أبوهما أمير المؤمنين سيّد الأوصياء (عليه‌السلام) ، واُمّهما فاطمة الزهراء بضعة الرسول وسيّدة النّساء (عليها‌السلام) ، وجدّهما رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) سيّد ولد آدم ، وجدّتهما خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين أول نساء هذه الاُمّة إسلاماً ، التي بذلت أموالها في إحياء الدين فقام الاسلام بمالها وسيف علي بن أبي طالب. وأخوالهما وخالاتهما أبناء رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وبناته ، وعمّهما جعفر الطيّار في الجنّة ، مع ما لهما في أنفسهما من الفضائل.

ألا قاتل الله عصبة قتلتهما وظلمتهما ! حتّى قضى الحسن (عليه‌السلام) شهيداً بالسمّ ، وقضى الحسين (عليه‌السلام) شهيداً بالسيف غريباً ظامئاً ، وقُتلت أنصاره وأهل بيته ، وسُبيت نساؤه من كربلاء إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى الشام ، وطِيفَ برأسه في البلدان :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَنْ مبلغُ الـمُصطفى سبطاهُ قدْ قَضَيا  |  | بالسمِّ هذا وذا بالسّيفِ منْحُورا  |
| أوصَى وأكّد في الدنيا وصيّتَهُ  |  | فأوسعوا عهدَهُ نَكثاً وتغييرا  |
| لو كان جدُّهُما أوصَى بظلْمِهما  |  | لما اسْتطاعُوا لِما جاؤوهُ تكْثيرا  |

المجلس الثامن

ممّا جاء في كرم الحسين (عليه‌السلام) ، ما رواه عمرو بن دينار قال : دخل الحسين

بن علي (عليهما‌السلام) على اُسامة بن زيد وهو مريض ، وهو يقول : وآغمّاه ! فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( وما غمّك يا اُسامة ؟ )). فقال : دَيني ، وهو ستّون ألف درهم. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( هو علَيّ )). فقال : إنّي أخشى أنْ أموت. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( لنْ تموت حتّى أقضيها عنك )). قال : فقضاها قبل موته.

وكان (عليه‌السلام) يقول : (( شرّ خصال الملوك ؛ الجُبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عن الإعطاء)).

ووفد أعرابي إلى المدينة فسأل عن أكرم النّاس بها ، فدُلّ على الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما‌السلام) ، فدخل المسجد فوجده يصلّي ، فوقف بازائه وأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمْ يَخبِ الآن مَنْ رجاكَ ومَنْ  |  | حرَّكَ من دون بابِك الحلَقهْ  |
| أنت جوادٌ وأنت مُعتَمَدٌ  |  | أبوك قدْ كان قاتلَ الفسَقهْ  |
| لولا الّذي كان منْ أوائِلكُمْ  |  | كانتْ علينا الجَحيمُ مُنطبقهْ  |

فسلّم الحسين (عليه‌السلام) ، وقال : (( ياقنبر ، هل بقي من مال الحجاز شيء ؟ )) قال : نعم ، أربعة آلاف دينار. فقال (عليه‌السلام) : (( هاتها ، قد جاء مَن هو أحقّ بها منّا )). ثمّ نزع بردته ولفّ الدنانير فيها وأخرج يده من شقّ الباب ؛ حياءً من الأعرابي ، وأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خُذْها فإنّي إليك معتذرٌ  |  | واعلَمْ بأنّي عليك ذو شَفَقهْ  |
| لو كان في سَيرنا الغداةَ عصاً  |  | أمستْ سمانا عليكَ مُندفِقهْ(1)  |
| لكنَّ ريبَ الزّمان ذو غِيرٍ  |  | والكفُّ منّي قليلةُ النّفَقهْ  |

فأخذها الأعرابي وبكى. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( لعلّك استقللت ما أعطيناك ؟ )). قال : لا ، ولكن كيف يأكل التراب جودك ؟!

ووُجِد على ظهر الحسين (عليه‌السلام)

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) لعلّ المراد بالسّير : واحد السّيور التي تُقدّ من الجلد ، فإنّه إذا كان فيه عصا ( أي مشدوداً بطرف عصا ) ، صار سوطاً قابلاً للضرب ، فيكون كناية عن الحكم والقوّة.

يوم الطفّ أثر ، فسألوا زين العابدين (عليه‌السلام) عن ذلك ، فقال : (( هذا ممّا كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين )).

ووُجِد على ظهره (عليه‌السلام) يوم الطفّ أثر آخر ، هو أوجع للقلوب من هذا الأثر ، وهو أثر حوافر الخيل التي داست بحوافرها صدره الشريف وظهره ؛ وذلك حين أمر ابن سعد عشرة فوارس أنْ يدوسوا بحوافر خيولهم صدره وظهره ؛ تنفيذاً لِما أمر به ابن زياد. ففعلوا ، وأقبلوا إلى ابن زياد وهم يقولون :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ رَضضْنَا الصَّدرَ بعد الظَّهْرِ  |  | بكلِّ يعبوبٍ شديدِ الأسرِ  |

فقال ابن زياد : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن الذين وطأنا بخيولنا جسد الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تَطأُ الصّواهلُ جسمَهُ وعلى القنَا  |  | من رأسهِ المرفوعِ بدرُ سماءِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عقَرتْ بناتُ الأعوجيّةِ هلْ دَرتْ  |  | ما يُستباحُ بها وماذا يُصنعُ  |

المجلس التاسع

ممّا جاء في كرم الحسين (عليه‌السلام) ، أنّ أعرابياً جاءه فقال : يابن رسول الله ، قد ضمنت ديّة كاملة وعجزت عن أدائها ، فقلت في نفسي : أسأل أكرم النّاس ، وما رأيت أكرم من آل محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فقال (عليه‌السلام) : (( أسألك عن ثلاث مسائل ؛ فإنْ أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وإنْ أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال ، وإنْ أجبت عن الكلّ أعطيتك الكلّ )). فقال الأعرابي : يابن رسول الله ، أمثلك يسأل مثلي ، وأنت من أهل العلم والشرف ؟! فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( بلى ، سمعت جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : المعروف بقدر المعرفة )). فقال الأعرابي : سلْ عمّا بدا لك ،

فإنْ أجبت ، وإلّا تعلمت منك. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( أي الأعمال أفضل ؟ )). فقال الأعرابي : الإيمان بالله. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( فما النجاة من المهلكة ؟ )). فقال الأعرابي : الثقة بالله. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( فما يزين الرجل ؟ )). فقال الأعرابي : علم معه حلم. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( فإنْ أخطأه ذلك ؟ )). فقال الأعرابي : مال معه مروءة. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( فإنْ أخطأه ذلك ؟ )). فقال الأعرابي : فقر معه صبر. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( فإنْ أخطأه ذلك ؟ )). فقال الأعرابي : فصاعقة تنزل من السّماء فتحرقه ؛ فإنّه أهل لذلك. فضحك الحسين (عليه‌السلام) ورمى إليه بصرّة فيها ألف دينار ، وأعطاه خاتمه وفيه فصّ قيمته مئتا درهم ، وقال الحسين (عليه‌السلام) (( يا أعرابي ، إعط ِالذهب غرماءك ، واصرف الخاتم في نفقتك )). فأخذ الأعرابي المال ، وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وعلّم عبد الرحمن السّلمي بعض ولْد الحسين (عليه‌السلام) سورة الفاتحة ، فلمّا قرأها الصبي على أبيه الحسين (عليه‌السلام) ، أعطى ذلك المعلّم ألف دينار وألف حلّة وحشا فاه درّاً. فقيل له في ذلك، فقال (عليه‌السلام) : (( وأين يقع هذا من إعطائه )) : يعني تعليمه للسورة. وأنشد الحسين (عليه‌السلام) يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا جادتْ الدّنيا عليك فجُدْ بها  |  | على النّاس طُرّاً قبل أنْ تتفلّتِ  |
| فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أقبلتْ  |  | ولا البخلُ يُبقيها إذا ما تولّتِ  |

وقال أنس : كنت عند الحسين (عليه‌السلام) فدخلت عليه جارية ، فحيّته بطاقة ريحان ، فقال لها: (( أنتِ حرّة لوجه الله تعالى )). قال أنس : فقلت تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها ! قال (عليه‌السلام) : (( كذا أدّبنا الله ، قال الله تعالى :( وَإِذَا حُيّيتُم بِتَحِيّةٍ فَحَيّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدّوهَا )(1). وكان أحسن منها عتقها )).

وقال (عليه‌السلام) : (( صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك ؛ فأكرم نفسك عن رَدّه )).

ومن كرمه العظيم وسخائه العجيب ، أنّه لـمّا التقى مع الحُرّ بن يزيد - وكان مع الحرّ زهاء ألف فارس - وكان الحسين (عليه‌السلام) في سَحر ذلك اليوم أمر فتيانه أنْ يستقوا من الماء ويكثروا ، ففعلوا. ووقف الحرّ وخيله مقابل الحسين (عليه‌السلام) في حَرّ الظهيرة ، فقال الحسين (عليه‌السلام) لفتيانه : (( اسقوا القوم وارووهم من الماء ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة النّساء / 86.

وارشفوا الخيل ترشيفاً )) : أي أسقوها قليلاً. وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس ، فاذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ، عُزلت عنه وسقوا آخر حتّى سقوها عن آخرها.

أتدرون ما كان جزاء الحسين (عليه‌السلام) من الأعداء على سقيه إيّاهم الماء مع خيولهم في تلك الأرض القفراء ؟ نعم ، كان جزاؤه منهم أنْ حالوا بينه وبين ماء الفرات ، وبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج في خمسمئة فارس ، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه وبين الماء.

وقال الشيخ المفيد عليه الرحمة : وكان ذلك قبل قَتل الحسين (عليه‌السلام) بثلاثة أيام.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منَعوهُ شُربَ الماءِ لا شَرِبوا غداً  |  | من كفِّ والده البطينِ الأنزعِ  |

المجلس العاشر

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب قال : دخل الحسين (عليه‌السلام) على معاوية وعنده أعرابي يسأله حاجة ، فأمسك عنه وتشاغل بالحسين (عليه‌السلام) ، فقال الأعرابي لبعض مَن حضر : مَن هذا الذي دخل ؟ قالوا : الحسين بن علي (عليهما‌السلام). فقال الأعرابي للحسين (عليه‌السلام) : أسألك يابن بنت رسول الله ، لـمّا كلّمته في حاجتي. فكلّمه الحسين (عليه‌السلام) في ذلك ، فقضى حاجته. فقال الأعرابي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أتيتُ العبشميَّ فلمْ يجدْ لي  |  | إلى أنْ هزّهُ ابنُ الرسولِ  |
| هو ابنُ المصطفى كرماً وجوداً  |  | ومن بطنِ الـمُطهّرة البتولِ  |
| وإنّ لهاشم فضلا ًعليكُمْ  |  | كما فضُلَ الربيعُ على الـمَحولِ  |

فقال معاوية : يا أعرابي ، أعطيك وتمدحه ؟! فقال الأعرابي : يا معاوية ، أعطيتني من حقّه وقضيت حاجتي بقوله.

ولـمّا أخرج مروانُ الفرزدقَ من المدينة أتى

الفرزدق الحسين (عليه‌السلام) ، فأعطاه الحسين (عليه‌السلام) أربعمئة دينار. فقيل له : إنّه شاعر فاسق. فقال (عليه‌السلام) : (( إنّ خير مالك ما وقيت به عرضك ، وقد أثاب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) كعب بن زهير ، وقال في العبّاس بن مرداس : اقطعوا لسانه عنّي )).

وأعظم جودٍ صدر منه (عليه‌السلام) ، جوده بنفسه في سبيل الله ، وتسليمه إيّاها للقتل.

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يجودُ بالنّفسِ إنْ ضنَّ الجبانُ بها  |  | والجودُ بالنّفسِ أقصى غاية الجودِ  |

فالحسين (عليه‌السلام) قد جاد بنفسه وأهل بيته وعياله وأطفاله في سبيل الله ؛ فداء للدين ، ومحاماة عن شريعة جدّه سيّد المرسلين (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى أصبحوا ما بين قتيل وأسير. ولولا قتل الحسين (عليه‌السلام) ، ما بقي لهذا الدّين من أثر ، ولولاه ما ظهر للخاصّ والعام كفر يزيد وإلحاده.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رأى قنا الدّينِ من بعد استقامتِها  |  | مغموزةً وعليها صدعُ منكسرِ  |
| فقام يجمعُ شملاً غيرَ مُجتمعِ  |  | منه ويجبرُ كسراً غيرَ مُنجبرِ  |

المجلس الحادي عشر

ممّا جاء في تواضع الحسين (عليه‌السلام) ، وكرم أخلاقه : أنّه (عليه‌السلام) مرّ بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسراً ، فقالوا له : هلمّ يابن رسول الله. فجلس وأكل معهم ، ثمّ تلا : (( إنّ اللّه لا يُحِبّ المتكبّرين )). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( قد أجبتكم فأجيبوني )). قالوا : نعم يابن رسول الله. فقاموا معه حتّى أتوا منزله ، فقال لجاريته : (( اخرجي ما كنتِ تدّخرين )).

وجنى غلام له جناية توجب العقاب ، فأمر به أنْ يُضرب ، فقال : يا مولاي ( وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ). قال (عليه‌السلام) : (( خلّوا عنه )). فقال : يا مولاي ( وَالْعَافِينَ عَنِ النّاسِ ). فقال (عليه‌السلام) : (( قد عفوت عنك )). فقال : يا مولاي ( وَاللّهُ يُحِبّ الْمُحْسِنِين )(1). فقال (عليه‌السلام) : (( أنت حرّ لوجه الله تعالى ، ولك ضعف ما كنت أعطيك )).

وممّا جاء في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المقاطع الثلاث كلّها من سورة آل عمران / 134.

عبادة الحسين (عليه‌السلام) : أنّه حجّ خمس وعشرين حجّة ماشياً ، وأنّ النّجائب لتقاد معه.

وقيل له يوماً : ما أعظم خوفك من ربّك ! فقال : (( لا يأمن من يوم القيامة إلّا مَن خاف الله في الدنيا )).

وكان إذا توضّأ تغيّر لونه وارتعدت مفاصله ، فقيل له في ذلك ، فقال (عليه‌السلام) : (( حقّ لـمَن وَقفَ بين يدي الملك الجبّار أنْ يصفرّ لونه وترتعد مفاصله )).

وأمّا إباؤه للضيم ، فقد ضُربت به الأمثال ونُظمت فيه الأشعار.

قال الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وإنَّ الاُولى بالطفِّ من آلِ هاشمٍ  |  | تآسَوا فسنّوا للكرام التآسيا  |

وقال بعضهم : كأنّ أبيات أبي تمّام في محمّد بن حميد الطوسي ما قيلت إلّا في الحسين (عليه‌السلام) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وقدْ كان فوتُ الموتِ سهلاً فردَّهُ  |  | إليه الحفاظُ المرّ والخُلُقُ الوعرُ  |
| ونفسٌ تعافُ الضّيمَ حتّى كأنّما  |  | هو الكُفرُ يومَ الرّوعِ أو دونه الكفرُ  |
| فأثبتَ في مُسْتنقعِ الموتِ رِجلَهُ  |  | و قال لها من دون أخمصكِ الحشرُ  |
| تردَّى ثيابَ الموت حُمراً فما دَجا  |  | لها الليلُ إلّا وهي من سندس خُضرُ  |

وقيل له يوم الطفّ : انزل على حكم بني عمّك. فقال : (( لا والله ، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بأبيْ أبيّ الضّيمِ لا يُعطي العِدَى  |  | حذرَ المنيةِ منه فضلَ قيادِ  |
| بأبي فريداً أسلمتهُ يدُ الرّدَى  |  | في دارِ غُربتهِ لجمع أعادي  |

ثم نادى : (( يا عباد الله ، إنّي عُذتُ بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب )). وقال (عليه‌السلام) : (( موت في عزّ خير من حياة في ذلّ )).

وكان يحمل على القوم يوم الطفّ وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الموتُ خيرٌ من ركوب العارِ  |  | والعارُ أولى من دخولِ النارِ  |

واللهِ من هذا وهذا جاري

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يأبَى له اللهُ والعضبُ المذرّبُ والـ  |  | ـنفسُ الأبيّةُ إلّا عزّةً وإبا  |

المجلس الثاني عشر

ممّا جاء في كرم الحسين (عليه‌السلام) ، عن الحسن البصري : إنّ الحسين (عليه‌السلام) ذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستانه - وكان في ذلك البستان غلام للحسين (عليه‌السلام) اسمه صافي - فلمّا قرُب من البستان ، رأى الغلام قاعداً يأكل الخبز ، فجلس الحسين (عليه‌السلام) عند بعض النّخل بحيث لا يراه الغلام ، فنظر إليه الحسين (عليه‌السلام) وهو يرفع الرغيف فيرمي نصفه إلى الكلب ويأكل نصفه ، فتعجّب الحسين (عليه‌السلام) من فعل الغلام ، فلمّا فرغ من الأكل قال : الحمد لله ربّ العالمين ، اللهمَّ ، اغفر لي واغفر لسيّدي كما باركت لأبويه برحمتك يا أرحم الراحمين.

فقام الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( يا صافي )). فقام الغلام فزعاً وقال : يا سيّدي وسيّد المؤمنين إلى يوم القيامة ، إنّي ما رأيتك ، فاعف عنّي. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( اجعلني في حلّ يا صافي ؛ لأنّي دخلت بستانك بغير إذنك )). فقال صافي : بفضلك يا سيّدي وكرمك وسؤددك تقول هذا ! فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( إنّي رأيتك ترمي نصف الرغيف إلى الكلب وتأكل نصفه ، فما معنى ذلك ؟ )). فقال الغلام : إنّ هذا الكلب نظر إليّ وأنا كلّ فاستحييت منه ، وهو كلبك يحرس بستانك وأنا عبدك ، نأكل رزقك معاً.

فبكى الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( إنْ كان كذلك ، فأنت عتيق لله تعالى ، ووهبت لك ألفَي دينار )). فقال الغلام : إنْ أعتقتني فأنا اُريد القيام ببستانك. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( إنّ الكريم ينبغي له أنْ يصدّق قوله بالفعل. أوما قلت لك اجعلني في حلّ ؟ فقد دخلت بستانك بغير إذنك ؛ فصدّقتُ قولي ووهبت البستان وما فيه لك ، فاجعل أصحابي الذين جاؤوا معي أضيافاً ، واكرمهم من أجلي ؛ أكرمك الله تعالى يوم القيامة ، وبارك لك في حسن خُلقك وأدبك )). فقال الغلام : إنْ وهبتني بستانك ، فإنّي قد سبلته لأصحابك وشيعتك.

وأعظم جود صدر منه (عليه‌السلام) ؛ جوده بنفسه وأهل بيته وعياله وأطفاله في سبيل الله ؛ فداء للدين ، ومحاماة عن شريعة جدّه سيّد المرسلين (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى أصبحوا ما بين قتيل وأسير. ولولا قتل الحسين (عليه‌السلام) ، ما بقي لهذا الدّين من أثر ، ولولاه ما ظهر للخاصّ والعام كفر يزيد وإلحاده.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رأى قنا الدّينِ من بعد استقامتِها  |  | مغموزةً وعليها صدعُ منكسرِ  |
| فقام يجمعُ شملاً غيرَ مُجتمعِ  |  | منه ويجبرُ كسراً غيرَ مُنجبرِ  |

المجلس الثالث عشر

خطب الحسين (عليه‌السلام) فقال : (( أيّها النّاس ، نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم ، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه ، واكسبوا الحمد بالنجح ولا تكسبوا بالمطل ذماً ؛ فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأى أنّه لا يقوم بشكرها ، فالله له بمكافأته(1) فإنّه أجزل عطاءً وأعظم أجراً. واعلموا أنّ حوائج النّاس إليكم من نعم الله عليكم ، فلا تملّوا النعم فتحوّر نقماً. واعلموا أنّ المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً ، فلو رأيتم المعروف رجلاً ، رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين ، ولو رأيتم اللؤم ، رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب ، وتُغضّ دونه الأبصار.

أيّها النّاس ، مَن جاد ساد ، ومَن بخل رذل ، وإنّ أجود النّاس مَن أعطى مَن لا يرجوه ، وإنّ أعفى النّاس مَن عفا عن قدرة ، وإنّ أوصل النّاس مَن وصل مَن قطعه. والاُصول على مغارسها بفروعها تسمو ، فمَن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً. ومَن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الظاهر أنّه سقط هنا كلمة ، وهي : (زعيم) أو (كفيل) أو (مليء) أو نحو ذلك. - المؤلف -

إلى أخيه ، كافأه الله بها في وقت حاجته ، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه. ومَن نفّس كربة مؤمن فرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة ، ومَن أحسنَ أحسن الله إليه ، والله يُحب المحسنين )).

وخطب (عليه‌السلام) أيضاً فقال : (( إنّ الحلم زينة ، والوفاء مروءة ، والصّلة نعمة ، والإستكبار صلف ، والعجلة سفه ، والسفه ضعف ، والغلوّ ورطة ، ومخالطة أهل الدناءة شرّ ، ومجالسة أهل الفسق ريبة )).

والحسين (عليه‌السلام) معدن الفصاحة والبلاغة ، ورث ذلك عن جدّه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أفصح مَن نطق بالضاد ، وعن أبيه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) الذي علّم النّاس الفصاحة والخطب. ولقد خطب في الأعداء يوم كربلاء - حين وقف بازائهم ، وجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السيل - وقال ما لا يحصى كثرةً ، فلم يسمع متكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهُ من عليٍّ في الحروبِ شجاعةٌ  |  | ومن أحمدٍ عند الخطابةِ قيلُ  |

فكان ممّا قال (عليه‌السلام) : (( الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور مَن غرّته والشقيّ مَن فتنته ؛ فلا تغرّنكم هذه الدنيا ، فإنّها تقطع رجاء مَن ركن إليها ، وتخيب طمع مَن طمع فيها. وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم ، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نقمته ، وجنّبكم رحمته ، فنِعمَ الربّ ربّنا ، وبئس العبيد أنتم ! أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ثمّ إنّكم زحفتم على ذرّيّته وعترته تريدون قتلهم ! لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم )).

فقال ابن سعد : ويلكم كلّموه فإنّه ابن أبيه ! ولو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر. فتقدّم شمر فقال : يا حسين ، ما هذا الذي تقول ؟ أفهمنا حتّى نفهم. فقال (عليه‌السلام) : (( أقول : اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلوني ؛ فإنّه لا يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؛ فإنّي ابن بنت نبيّكم ، وجدّتي خديجة زوجة نبيكم ، ولعلّه قد بلغكم قول نبيكم : الحسن والحسين

سيّدا شباب أهل الجنّة )). فقال له قيس بن الأشعث : ما ندري ما تقول ، ولكن انزل على حكم بني عمّك فإنّهم لن يروك إلّا ما تحب. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( لا والله ، لا اُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقرّ إقرار العبيد)).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سامَوهُ أنْ يردَ الهوانَ أو المنيـ  |  | ـيَة والمسوَّدُ لا يكون مَسودَا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فأبى أنْ يعيش إلّا عزيزاً  |  | أو تجلّى الكفاحُ وهو صريعُ  |

المجلس الرابع عشر

روى صاحب كشف الغمّة : أنّه لـمّا قَتل معاوية حجرَ بن عدي (رحمه‌الله) وأصحابه ، لقي في ذلك العام الحسين (عليه‌السلام) ، فقال : يا أبا عبد الله ، هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه من شيعة أبيك ؟ قال (عليه‌السلام) : لا. قال : إنّا قتلناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم. فضحك الحسين (عليه‌السلام) ثمّ قال : (( خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية. أما والله ، لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفّناهم ولا صلينا عليهم ، وقد بلغني وقوعك بأبي حسن وقيامك به واعتراضك بني هاشم بالعيوب. وأيم الله ، لقد أوترت غير قوسك ورميت غير غرضك ، وتناولتها بالعداوة من مكان قريب. ولقد أطعت امرءاً (يريد عمرو بن العاص) ما قدم إيمانه ولا حدث نفاقه وما نظر لك ، فانظر لنفسك أو دَع )).

وكان لمعاوية عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من اُمور النّاس ، فكتب إليه : إنّ الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوّجها. فكتب معاوية إلى الحسين (عليه‌السلام) : من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن علي : أمّا بعد ، فإنّه بلغني أنّك تزوّجت جاريتك وتركت أكفاءك من قريش ممّا تستنجبه للولد وتمجّد به في الصهر ، فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت.

فكتب إليه الحسين (عليه‌السلام) : (( أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك وتعييرك إيّاي بأني تزوجت مولاتي وتركت

أكفائي من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ولا غاية في نسب ؛ وإنّما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله ، ثمّ ارتجعتها على سنّة نبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنّا به النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلّا في مأثم ، وإنّما اللوم لوم الجاهلية )).

فلمّا قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد ، فقرأه وقال : لشدّ ما فخر عليك الحسين. قال : لا ، ولكنّها ألسِنَة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر وتغرف من البحر.

ولم ينسَ يزيد قول أبيه ، إنّ لبني هاشم ألسنة تفلق الصخر وتغرف من البحر ؛ ولذلك لـمّا قال له زين العابدين (عليه‌السلام) بالشام : (( أتأذن لي أنْ أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات لله فيهنّ رضاً ، ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجر وثواب ؟ )) أبى يزيد عليه ذلك ، فقال النّاس : يا أمير المؤمنين ، إئذن له فليصعد المنبر فلعلّنا نسمع منه شيئاً. فقال : إنّه إنْ صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له : وما قدر ما يحسن هذا ؟ فقال : إنّه من أهل بيت زقّوا العلم زقّا. فلم يزالوا به حتّى أذِنَ له.

فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ خطب خطبة أبكى فيها العيون وأوجل منها القلوب ، وخشي يزيد أنْ تكون فتنة ؛ فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام ، فلمّا قال المؤذّن : الله أكبر الله أكبر، قال علي بن الحسين (عليه‌السلام) : (( لا شيء أكبر من الله )). فلمّا قال : أشهد أنْ لا إله إلّا الله ، قال (عليه‌السلام) : (( شهد بها شعري وبشري ، ولحمي ودمي )). فلمّا قال المؤذّن : أشهد أنّ محمّداً رسول الله ، قال (عليه‌السلام) : (( محمّد هذا جدّي أم جدّك يا يزيد؟ فإنْ زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت ، وإنْ زعمت أنّه جدّي ، فلِمَ قَتلت عترته ؟ )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا يابنَ هندٍ لا سقَى اللهُ تربةً  |  | ثويتَ بمثواها ولا اخضرّ عودُها  |
| أتسلبُ أثوابَ الإمامة هاشماً  |  | وتطردُها عنها وأنت طريدُها  |

المجلس الخامس عشر

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق : أنّ نافع بن الأزرق - وهو من رؤساء الخوارج - قال للحسين (عليه‌السلام) : صف لي إلهك الذي تعبده. فقال (عليه‌السلام) : (( يا نافع ، مَن وضَعَ دينه على القياس ، لم يزل الدهر في الالتباس ، مائلاً إذا كبا عن المنهاج ، ظاعناً بالاعوجاج ، ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل. يابن الأزرق ، أصف إلهي بما وصف به نفسه ؛ لا يُدرك بالحواس ولا يُقاس بالنّاس ، قريب غير ملتصق وبعيد غير مستقصى ، يوحَّد ولا يبعَّض ، معروف بالآيات موصوف بالعلامات ، لا إله إلّا هو الكبير المتعال )).

فبكى ابن الأزرق وقال : ما أحسن كلامك ! فقال (عليه‌السلام) : (( بلغني أنّك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليَّ )). قال ابن الأزرق : أما والله يا حسين ، لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( إنّي سائلك عن مسألة )). فقال : سل. فسأله عن قوله تعالى : ( وَأَمّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ )(1). فقال (عليه‌السلام) : (( يابن الأزرق ، مَن حفظ في الغلامين ؟ )). فقال أبوهما. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( أبوهما خيرٌ أمْ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ )). فقال ابن الأزرق : قد أنبأ الله تعالى عنكم أنّكم قوم خصمون.

أجل والله ، إنّ هذه الاُمّة لم تحفظ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في ولدَيه الحسنَين (عليهما‌السلام) ، فجرّعت ولده الحسن (عليه‌السلام) الغصص ودفعته عن مقامه ، وأسلمته إلى عدوّه حتّى قضى شهيداً بالسمّ ، ومنعت من دفنه عند جدّه ؛ وخذلت ولده الحسين (عليه‌السلام) ولم تنصره ، وحاربته وقتلته هو وأولاده وأهل بيته حتّى طفله الرضيع ، وقتلت أنصاره ، وسبت نساءه من بلد الى بلد ، وهنّ عقائل بيت الوحي والنبوّة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا اُمّةٌ باعتْ بضائعَ دينِها  |  | يومَ الطّفوفِ بخيبةٍ وشَقاءِ  |
| خانتْ عهودَ محمّد في آلهِ  |  | من بعدهِ وجزتْهُ شرَّ جزاءِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الكهف / 82.

المجلس السّادس عشر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، والكشي في كتاب الرجال : أنّ مروان بن الحكم كتب الى معاوية - وهو عامله على المدينة - : أمّا بعد ، فقد ذكر لي أنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي ، وإنّه لا يؤمن وثوبه ، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه يريد الخلافة.

فكتب إليه معاوية : إيّاك أنْ تعرض للحسين في شيء ، واترك حسيناً ما تركك. وكتب معاوية إلى الحسين (عليه‌السلام) : قد انتهت إليّ اُمور عنك ، إنْ كانت حقاً فإنّي أرغب بك عنها. ولعمر الله ، إنّ مَن أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء ، وإنّ أحقّ النّاس بالوفاء مَن كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها ، ونفسك فاذكر وبعهد الله أوفِ ؛ فانّك متى تنكرني أنكرك ، ومتى تكدني أكدك ، فاتّقِ شقّ عصا هذه الاُمّة وأنْ يردهم الله على يديك في فتنة. وانظر لنفسك ولدينك ولاُمّة محمّد ، ولا يستخفنّك السفهاء والذين لا يعلمون.

فكتب إليه الحسين (عليه‌السلام) : (( أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي اُمور أنت لي عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير ، فإنّ الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلّا الله تعالى ؛ وأمّا ما ذكرت إنّه رقي إليك عنّي ، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاّقون المشّاؤون بالنميمة ، المفرّقون بين الجمع ، وكذب الغاوون ، ما أردت لك حرباً ولا عليك خلافاً ، وإنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك ومن الأعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألستَ القاتل حِجْر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين ، الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفضعون البدع ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة ، لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ؛ جرأة على الله واستخفافاً بعهده ؟!

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونُه ، فقتلته بعدما أمّنته وأعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال ؟!

أولست المدّعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف ، فزعمت أنّه ابن أبيك ؛ وقد قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) : الولد للفراش وللعاهر الحَجَر. فتركت سنّة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) تعمّداً ، وتبعت هواك بغير هدىً من الله ، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطّع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النّخل ، كأنّك لست من هذه الاُمّة وليسوا منك ؟!

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنّهم على دين علي صلوات الله عليه ، فكتبت إليه : أنْ اقتل كلّ مَن كان على دين علي ؛ فقتلهم ومثّل بهم بأمرك ، ودين علي هو دين ابن عمّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك ، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه. ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين ؛ رحلة الشتاء والصيف ؟! وقلتَ فيما قلت : انظر لنفسك ولدينك ولاُمّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) واتّق شقّ عصا هذه الاُمّة وأنْ تردهم إلى فتنة!! وإنّي لا أعلم فتنة أعظم على هذه الاُمّة من ولايتك عليها ، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولاُمّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أفضل من أنْ اُجاهدك ، فإنْ فعلت فإنّه قربة إلى الله ، وإنْ تركته فإنّي أستغفر الله لديني وأسأله توفيقَه لأرشاد أمري.

وقلتَ فيما قلت : إنْ أنكرتك تنكرني ، وإنْ أكِدك تكدني ! فكدني ما بدا لك ، فإنّي أرجو أنْ لا يضرني كيدك ، وأنْ لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك ؛ لأنّك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك ، ولعمري ما وفيتَ بشرط ، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أنْ يكونوا قاتَلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم إلاّ لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقّنا ؛ فقتلتهم مخافة أمرٍ لعلّك لو لم تقتلهم متّ قبل أنْ يفعلوا ، أو ماتوا قبل أنْ يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة ، وقتلك أولياءه على التهم ، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ؛ يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلاّ خسرتَ نفسك وبترت دينك ، وغششتَ رعيّتك وأخربت أمانتك ، وسمعتَ مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التّقي ، والسّلام )). فلمّا قرأ معاوية الكتاب ، قال : لقد كان في نفسه شيء ما أشعر به. فقال يزيد : أجبه جواباً يصغر إليه نفسه ؛ تذكر فيه أباه بشرّ فعله.

ودخل عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال معاوية : أما رأيت ما كتب به الحسين ؟ وأقرأه الكتاب. فقال : وما يمنعك أنْ تجيبه بما يصغر إليه نفسه ؟ - وإنما قال ذلك في هوى معاوية - فقال يزيد : رأيت يا أمير المؤمنين رأيي ؟ فضحك معاوية وقال : أخطأتما ، أرأيتما لو أنّي ذهبت لعيب عليّ محقاً ، فما عسيت أنْ أقول فيه ؟ ومتى ما عبت رجلاً بما لا يعرفه النّاس لم يُحفل به وكذّبه النّاس ، وما عسيت أنْ أعيب حسيناً ! فو الله ، ما أرى للعيب فيه موضعاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومناقبٍ شهِدَ العدوُّ بفضلِها  |  | والفضلُ ما شهدتْ بهِ الأعداءُ  |

تفديك نفسي يا أبا عبد الله ، أنت الذي علّمت النّاس الأنَفَة والشمم والإباء ؛ أبيت أنْ تخضع لتهديد معاوية ووعيده كما أبيت أنْ تخضع وتنقاد ليزيد ، وجدت بنفسك في سبيل الدّين والعزّ والشرف حتّى قُتلت عطشان ظامئاً غريباً مظلوماً ، وآثرت المنيّة على الدنيّة وموت العزّ على حياة الذلّ ، وقلت فيما قلت : (( والله ، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ، لما بايعت يزيد بن معاوية )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أرادتْ لها الويلاتُ تسليمَهُ لها  |  | وكيف تنالُ الشمسَ أيدي اللوامسِ  |
| وهيهات أنْ يرضى الحسينُ بذلّةٍ  |  | أبتها اُصولٌ زاكياتُ المغارسِ  |

المجلس السّابع عشر

في مناقب ابن شهر آشوب ، عن عبد الله بن عمير والحاكم والعبّاس قالوا : خطب الحسن (عليه‌السلام) عائشة بنت عثمان ، فقال مروان : اُزوّجها عبد الله بن الزّبير. فلما قُبض الحسن (عليه‌السلام) ومضت أيام من وفاته ، كتب معاوية إلى مروان - وهو عامله على الحجاز - يأمره أنْ يخطب اُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد. فأتى عبدَ الله بن جعفر فأخبره بذلك ، فقال عبد الله: إنّ أمرها ليس إليّ إنما هو إلى سيّدنا الحسين (عليه‌السلام) وهو خالها ، فأخبر الحسين (عليه‌السلام) بذلك ، فقال : (( أستخير الله تعالى. اللهمَّ ، وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمّد (عليهم‌السلام) )).

فلمّا اجتمع النّاس في مسجد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، أقبل مروان حتّى جلس إلى الحسين (عليه‌السلام) وعنده من الجِلّة وقال : إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرني أنْ أخطب اُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد ، وأنْ أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، مع صلح ما بين هذين الحَييّن ، مع قضاء دَين أبيها. واعلم أنّ مَن يغبطكم بيزيد أكثر ممَّن يغبطه بكم. والعَجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له وبوجهه يستسقى الغمام ؟! فردْ خيراً يا أبا عبد الله.

فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( الحمد لله الذي اختارنا لنفسه وارتضانا لدينه واصطفانا على خلقه )) ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يا مروان ، قلت فسمعنا ؛ أمّا قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، فلعمري ، لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في بناته ونسائه وأهل بيته ؛ وهو اثنتا عشرة أوقية ، يكون أربعمئة وثمانين درهماً ؛ وأمّا قولك مع قضاء دَين أبيها ، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا ؟ وأمّا صلح ما بين هذين الحييّن ، فإنّا قوم عاديناكم في الله فلم نكنْ نصالحكم للدنيا ، فلعمري ، لقد أعيا النسب فكيف السبب ؛ وأمّا قولك العجب ليزيد كيف يستمهر ، فقد استمهر مَن هو خير من يزيد ومن أبي يزيد ومن جدّ يزيد ؛ وأمّا قولك أنّ يزيد كفو مَن لا كفو له ، فمَن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم ، ما زادته إمارته في

الكفاءة شيئاً ؛ وأمّا قولك بوجهه يستسقى الغمام ، فإنّما كان ذلك بوجه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؛ وأمّا قولك مَن يغبطنا به أكثر ممَن يغبطه بنا ، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل )). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( فاشهدوا جميعاً أنّي قد زوّجت اُمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر على أربعمئة وثمانين درهماً ، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة - أو قال : أرضي بالعقيق - وأنّ غلّتها في السّنة ثمانية آلاف دينار ، ففيها لهما غنى إنْ شاء الله )).

قال : فتغيّر وجه مروان وقال : غدراً يا بني هاشم ، تأبون إلّا العداوة. فذكّره الحسين (عليه‌السلام) خطبة أخيه الحسن (عليه‌السلام) عائشة وفعله ، ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( فأين موضع الغدر يا مروان ؟ )).

فقال مروان :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أردْنا صهرَكمْ لنجدَّ ودّاً  |  | قدْ اخلَقهُ بهِ حدثُ الزّمانِ  |
| فلمّا جئتكمْ فجبهتُموني  |  | وبحتمْ بالضّميرِ من الشّنانِ  |

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أماط اللهُ عنهمْ كلَّ رجسٍ  |  | وطهّرهُمْ بذلك في المثاني  |
| فما لهمُ سواهُمْ منْ نظيرٍ  |  | ولا كفوٌ هناك ولا مُداني  |
| أتجعلُ كلَّ جبّارٍ عنيدٍ  |  | إلى الأخيارِ منْ أهلِ الجنانِ  |

وما زالت هذه الأضغان في نفس يزيد حتّى أظهرها لمّا جيء إليه برأس الحسين (عليه‌السلام) ، فجعل يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نفلّقُ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ  |  | علينا وهمْ كانوا أعقَّ وأظلما  |

ودعا بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قال : يوم بيوم بدر. ثمّ قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ أشياخي ببدرٍ شهدوا  |  | جَزعَ الخزْرجِ منْ وقْعِ الأسلْ  |
| لأهلّوا واسْتهلّوا فرحاً  |  | ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشلْ  |
| قد قتلنا القَرمَ منْ ساداتهمْ  |  | وعدلناه ببدرٍ فاعتَدلْ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لعبتْ هاشمُ بالـمُلكِ فلا  |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزلْ  |
| لستُ من خِندفَ إنْ لم أنتقمْ  |  | مِن بني أحمدَ ما كانَ فعلْ  |

\*\*\*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أتنكثُها شُلّتْ يمينُكَ إنّها  |  | وجوهٌ لوجْهِ اللهِ طالَ سجودُهَا  |

المجلس الثامن عشر

قال الامام الرضا (عليه‌السلام) : (( إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال ، فاستُحلّت فيه دماؤنا ، وهُتكت فيه حرمتنا ، وسُبي ذرارينا ونساؤنا ، واُضرمت النيران في مضاربنا وانتهب منها ثقلنا ، ولم ترعَ لرسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأسال دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء؛ فعلى مثل الحسين فليبك الباكون )). ثم قال الامام (عليه‌السلام) : (( كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يرى ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى تمضي منه عشرة أيّام ، فإذا كان اليوم العاشر ، كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه جدّي الحسين (عليه‌السلام) )).

وقال الامام الرضا (عليه‌السلام) : (( مَن ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء ، قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة. ومَن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره ، وقرّت بنا في الجنان عينه. ومَن سمَّ يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً ، لم يبارك له فيما ادّخر ، وحُشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار )).

أقول: وأمّا اتخاذ يوم عاشوراء يوم

عيد وفرح وسرور فهي سنّة اُمويّة ، وقد اتّبعها مَن اتّبعها جهلاً بالحال ، وإلّا فلا يُظنّ بمسلم أنّه يفرح في يوم قتل ابن بنت نبيّه (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، الذي لو كان حياًّ لكان هو المعزّى به والباكي عليه كما بكى عليه في حياته.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا يومَ عاشوراء كمْ لكَ لوعةً  |  | تترقّصُ الأحشاءُ منْ إيقادِها  |
| ما عُدْتَ إلَإ عاد قلبي غُلّةٌ  |  | حرّى ولو بالغتُ في إبرادِها  |
| مثلُ السّليمِ مضيضةٌ آناؤهُ  |  | خُزرُ العيونِ تعودُهُ بعيادِها  |
| كانتْ مآتمُ بالعراقِ تعدّها  |  | اُمَويّةٌ بالشّامِ منْ أعيادِها  |

المجلس التاسع عشر

حكى دعبل الخزاعي قال : دخلت على سيّدي ومولاي علي بن موسى الرضا (عليه‌السلام) في أيام عشر المحرّم ، فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله ، فلمّا رآني مقبلاً ، قال لي : (( مرحباً بك يا دعبل ، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه )). ثم إنّه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه ، ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يا دعبل ، اُحبّ أنْ تنشدني شعراً ؛ فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني اُميّة )). ثمّ إنّه (عليه‌السلام) نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه ، وأجلس أهل بيته من وراء السّتر ليبكوا على مصاب جدّهم الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ التفت إليّ وقال لي : (( يا دعبل ، إرث الحسين ، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حيّاً ، فلا تقصّر عن نصرنا ما استطعت )).

قال دعبل : فاستعبرت وسالت عبرتي ، وأنشأت أقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفاطمُ لو خِلتِ الحسينَ مُجدّلا  |  | وقد مات عطْشاناً بشطِّ فُراتِ  |
| إذاً للطمتِ الخدَّ فاطمُ عندَهُ  |  | وأجريتِ دمعَ العينِ في الوجناتِ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفاطمُ قومي يابنةَ الخيرِ واندُبي  |  | نجومَ سَماواتٍ بأرضِ فلاةِ  |
| قبورٌ بكوفانٍ واُخرَى بطَيبةٍ  |  | واُخرَى بفخٍّ نالَها صلواتي  |
| قبورٌ بجنب النّهرِ من أرضِ كربَلا  |  | معرّسُهمْ فيها بشطِّ فراتِ  |
| توفوا عطاشَى بالفُراتِ فليتَني  |  | توفّيتُ فيهِم قبلَ حينِ وفاتي  |
| إلى اللهِ أشكو لوعةً عندَ ذكرِهمْ  |  | سَقتني بكأسِ الثُّكلِ والفظعاتِ  |
| سأبْكيهُمُ ما حجَّ لله راكبٌ  |  | وما ناح قُمريٌّ على الشّجراتِ  |
| فيا عينُ بكّيهمْ وجُودي بعبرةٍ  |  | فقدْ آنَ للتّسكابِ والهَملاتِ  |
| سأبكيهُمُ ما ذرَّ في الاُفقِ شارقٌ  |  | ونادى منادي الخيرِ للصَلواتِ  |
| وما طلُعتْ شمسٌ وحَانَ غُروبُها  |  | وبالليلِ أبكيهمْ وبالغُدواتِ  |

وفي عيون أخبار الرضا (عليه‌السلام) بسنده عن عبد السّلام بن صالح الهروي قال : دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه‌الله على أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه‌السلام) بمرو فقال له : يابن رسول الله ، إنّي قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أنْ لا أنشدها أحداً قبلك. فقال (عليه‌السلام) : (( هاتها )). فأنشده :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ  |  | ومنزلُ وحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ  |

فلمّا بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أرى فيئَهُمْ في غيرِهمْ مُتَقسَّماً  |  | وأيديَهُمْ من فيئِهمْ صَفِراتِ  |

بكى أبو الحسن الرضا (عليه‌السلام) وقال له : (( صدقت يا خزاعي )).

فلما بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا وُتِروا مَدُّوا إلى واترِيهُمُ  |  | أكفّاً عن الأوتَارِ مُنْقَبضَاتِ  |

جعل أبو الحسن (عليه‌السلام) يقلّب كفّيه ويقول : (( أجل ، والله منقبضات )).

فلمّا بلغ إلى قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقدْ خِفتُ في الدُّنيَا وأيامِ سَعْيهَا  |  | وإنّي لأرجُو الأمنَ بَعدَ وفاتي  |

قال الرضا (عليه‌السلام) : (( آمنك الله يوم الفزع الأكبر )). ثمّ أعطاه مئة دينار من الدنانير المضروب عليها اسم الرضا (عليه‌السلام) ، فقال دعبل : والله ما لهذا جئت ، ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء. وردّ الصّرة ، وسأل ثوباً من ثياب الرضا (عليه‌السلام)

ليتبرّك به ، فأنفذ إليه الرضا (عليه‌السلام) جبّة خزّ مع الصرّة ، فأخذهما دعبل وانصرف.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا أضحَكَ اللهُ سِنَّ الدَّهرَ إنْ ضَحِكتْ  |  | وآلُ أحمدَ مظلُومُونَ قدْ قُهرُوا  |
| مُشرَّدونَ نُفوا عَنْ عُقرِ دارِهُمُ  |  | كأنّهمُ قدْ جَنَوا ما ليسَ يُغتَفرُ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا العينُ قرّتْ في الحياةِ وأنتُمُ  |  | تخافُونَ في الدّنيا فأظلمَ نُورُها  |

المجلس العشرون

عن معاوية بن وهب قال : دخلت يوم عاشوراء إلى دار مولاي جعفر الصادق (عليه‌السلام) ، فرأيته ساجداً في محرابه ، فجلست من ورائه حتّى فرغ فأطال في سجوده وبكائه ، فسمعته يناجي ربّه وهو ساجد وهو يقول : (( اللهمّ ، يا من خصّنا بالكرامة ووعدنا بالشفاعة وحمّلنا الرسالة ، وجعلنا ورثة الأنبياء ، وختم بنا الاُمم السّالفة ، و خصّنا بالوصيّة ، وجعل أفئدة من النّاس تهوي إلينا ، اغفر اللهمَّ لي ولإخواني ولزوّار أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) الذين أنفقوا أموالهم في حبّه ، وأشخصوا أبدانهم ؛ رغبة في برّنا ، ورجاء لما عندك في صلتنا ، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وإجابة منهم لأمرنا ، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا وأرادوا بذلك رضوانك. اللهمَّ ، فكافهم عنّا بالرضوان ، واكلأهم بالليل والنّهار ، وأخلفهم في أهاليهم وأولادهم الذين خلّفوا أحسن الخلف ، واكفهم شرّ كلّ جبّار عنيد وكلّ ضعيف من خلقك وشديد ، وشرّ شياطين الإنس والجنّ ، وإعطهم أفضل ما أمّلوه منك في غربتهم عن أوطانهم ، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقرابتهم. اللهمَّ ، إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النّهوض والشخوص إلينا ؛ خلافاً منهم على مَن خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس ، وارحم

تلك الخدود التي تقلّبتْ على قبر أبي عبد الله الحسين ، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي حزنت لأجلنا واحترقت بالحزن ، وارحم تلك الصّرخة التي كانت لأجلنا. اللهمَّ ، إنّي استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتّى ترويهم من الحوض يوم العطش الأكبر ، وتدخلهم الجنّة وتسهّل عليهم الحساب ، إنّك أنت الكريم الوهّاب )).

قال : فما زال الإمام (عليه‌السلام) يدعو لأهل الإيمان ولزوّار قبر الحسين (عليه‌السلام) وهو ساجد في محرابه ، فلمّا رفع رأسه أتيت إليه وسلّمت عليه وتأمّلت وجهه ؛ فاذا هو كاسف اللون متغيّر الحال ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر على خدّيه كاللؤلؤ الرطب ، فقلت : يا سيّدي ، ممَّ بكاؤك؟ لا أبكى الله لك عيناً ، وما الذي حلّ بك ؟ فقال لي : (( أوَ في غفلة أنت عن هذا اليوم ؟! أما علمت أنّ جدّي الحسين قد قُتل في مثل هذا اليوم ؟ )). فبكيت لبكائه وحزنت لحزنه ، فقلت له : يا سيّدي ، فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم ؟ فقال : (( يابن وهب ، زر الحسين (عليه‌السلام) من بعيد أقصى ومن قريب أدنى ، وجدّد الحزن عليه ، وأكثر البكاء والشجو له )). فقلت له : يا سيّدي ، لو أنّ الدعاء الذي سمعته منك وأنت ساجد كان لمَن لا يعرف الله تعالى ، لظننت أنّ النّار لا تطعم منه شيئاً. والله ، لقد تمنّيت أنّي كنت زرته قبل أنْ أحجّ. فقال لي : (( فما يمنعك من زيارته يابن وهب ولم تدع ذلك ؟ )). فقلت : جعلت فداك ! لم أدر أنّ الأجر يبلغ هذا كلّه حتّى سمعت دعاءك لزوّاره. فقال لي : (( يابن وهب ، إنّ الذي يدعو لزوّاره في السّماء أكثر ممَّن يدعو لهم في الأرض ، فإيّاك أنْ تَدَع زيارته لخوفٍ من أحد ؛ فمَن تركها لخوف من أحد رأى الحسرة والندم. يابن وهب ، أما تُحب أنْ يرى الله شخصك ؟ أما تحب أنْ تكون غداً ممَّن يصافحه رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يوم القيامة ؟ )). قلت : يا سيّدي ، فما قولك في صومه من غير تبييت ؟ فقال لي : (( لا تجعله صوم يوم كامل ، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء ، فإنّه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء عن آل الرسول وانكشفت الغمّة عنهم ، ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً ، يعزّ على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) مصرعهم. ولو كان حيّاً لكان هو المعزّى بهم )).

قال :

وبكى الصادق (عليه‌السلام) حتّى اخضلّت لحيته بدموعه ، ولم يزل حزيناً كئيباً طول يومه ذلك وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مصيبةٌ أسعَرَتْ في القلب نارَ جَوَى  |  | يُزيدُها مُستمِرُ الذّكرِ تسعيرَا  |
| يا آلَ أحمدَ كمْ حلّتْ فجائعُكُمْ  |  | وكاءَ عيني بدمعٍ ليسَ مَنزُورَا  |

المجلس الواحد والعشرون

مرّ سليمان بن قتّة العدوي رحمه‌الله بكربلاء بعد قتل الحسين (عليه‌السلام) بثلاث ، فنظر إلى مصارعهم واتكأ على فرس له عربيّة ، وأنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَررتُ على أبياتِ آلِ محمّد  |  | فلَمْ أرَها أمثالَها يومَ حُلّتِ  |
| ألمْ ترَ أنَّ الشّمسَ أضحتْ مَريضةً  |  | لفقدِ حُسينٍ والبلادَ اقشعرّتِ  |
| وكانوا رجاءً ثمّ أضحَوا رزيّةً  |  | لقدْ عَظُمتْ تلك الرّزايا وجلّتِ  |
| وتسألُنَا قيسٌ فنُعطي فقيرَهَا  |  | وتغتابُنا قيسٌ إذا النَّعلُ زلّتِ  |
| وعندَ غنيٌّ قطرةٌ من دمائِنا  |  | سَنطلِبُهُمْ يوماً بها حيثُ حلّتِ  |
| فلا يُبعدُ اللهُ الدّيارَ وأهلَها  |  | وإنْ أصبَحتْ منهُمْ برغمي تخلّتِ  |
| وإنّ قتيلَ الطفِّ منْ آلِ هاشمٍ  |  | أذلَّ رِقابَ الـمُسلمينَ فذلّتِ  |
| وقدْ أعولتْ تبكي السّماءُ لفقدِهِ  |  | وأنجُمُنا ناحتْ عليهِ وصلّتِ  |

ومرّ ابن الهباريّة الشاعر بكربلاء ، فجلس يبكي على الحسين (عليه‌السلام) وأهله ، وقال بديهاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أحسينُ والمبعوثِ جدِّكَ بالهُدى  |  | قَسماً يكون الحقُّ عنهُ مُسائلي  |
| لو كنتُ شاهدَ كربلا لبذلتُ في  |  | تَنْفيسِ كربِكَ جُهدَ بذلِ الباذلِ  |
| وسَقيتُ حدَّ السّيفِ من أعدائكُمْ  |  | عللاً وحدَّ السّمهَريِّ الذّابلِ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لكنَّني اُخّرتُ عنكَ لشقْوَتي  |  | فبلابِلي بينَ الغريِّ وبابلِ  |
| هَبنيْ حُرمتُ النَّصرَ من أعدائكُمْ  |  | فأقلّ منْ حُزنٍ ودمعٍ سائلِ  |

ويقال : أنّه نام في مكانه فرأى النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فقال له : (( جزاك الله عنّي خيراً ، أبشر فإنّ الله قد كتبك ممَّن جاهد بين يدي الحسين (عليه‌السلام) )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا آلَ أحمدَ لا يخيبُ مُوحدٌ  |  | مُتمسكٌ منكُمْ بحبلِ ولاءِ  |
| إنْ فاتَني منْ نَصركُمْ ما فاتَني  |  | وأطالَ فيكُمْ لوعَتي وبُكائي  |
| فَلأرثينّكُمُ على طولِ الـمَدَى  |  | بقصائدٍ أعيتْ على الشّعراءِ  |

المجلس الثاني والعشرون

في الأغاني بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد (عليه‌السلام) إذ استأذن آذنه للسيّد الحميري - وهو إسماعيل بن محمّد ، والسيّد لقبه - فأمر بإيصاله ، وأقعد (عليه‌السلام) حرمه خلف ستر ، ودخل فسلّم وجلس ، فاستنشده فأنشده قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُمرُرْ على جَدثِ الحُسيـ  |  | ـنِ وقُلْ لأعظُمِهِ الزكيّهْ  |
| يا أعظُماً لا زلتِ منْ  |  | وطفاءَ ساكبةٍ رَويّهْ  |
| وإذا مررتَ بقبرِهِ  |  | فأطلْ بهِ وقفَ المطيّهْ  |
| وابكِ الـمُطهْرَ للمُطهْـ  |  | رِ والـمُطهْرةِ النقيّهْ  |
| كبكاءِ معولةٍ أتتْ  |  | يوماً لواحدها المنيّهْ  |

قال : فرأيت دموع جعفر بن محمّد (عليه‌السلام) تتحدر على خديه ، وارتفع الصراخ من داره حتّى أمره بالإمساك ، فأمسك.

وقال الصادق (عليه‌السلام) لأبي هارون المكفوف : (( يا أبا هارون ، أنشدني في الحسين (عليه‌السلام) )). قال : فأنشدته ، فقال لي : (( أنشدني كما تُنشدون )).

فأنشدته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُمرُرْ على جَدثِ الحسي  |  | نِ وقلْ لأعظُمهِ الزكيّهْ  |
| ما لذَّ عيشٌ بعد رضْ  |  | ضِكِ بالجيادِ الأعوجيّهْ  |

المجلس الثالث والعشرون

لـمّا مات معاوية - وذلك في النصف من رجب سنة ستّين من الهجرة - وتخلّف بعده ولده يزيد ، كتب يزيد إلى ابن عمّه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وكان والياً على المدينة - يأمره بأخذ البيعة على أهلها وخاصّة على الحسين (عليه‌السلام) ، ولا يرخص له في التأخّر عن ذلك ، ويقول : إنْ أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين (عليه‌السلام) ، فقال : إنّه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه. فقال الوليد : ليتني لم أك شيئاً مذكوراً. ثمّ بعث إلى الحسين (عليه‌السلام) في الليل فاستدعاه ، فعرف الحسين (عليه‌السلام) الذي أراد ، فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه - وكانوا ثلاثين رجلاً - فأمرهم بحمل السلاح ، وقال لهم : (( إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ، ولست آمن أنْ يكلّفني فيه أمراً لا اُجيبه ، وهو غير مأمون ، فكونوا معي ، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب ، فإنْ سمعتم صوتي قد علا ، فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي )).

فصار الحسين (عليه‌السلام) إلى الوليد ، فوجد عنده مروان بن الحكم ، فنعى إليه الوليد موت معاوية ، فاسترجع الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قرأ الوليد عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه ليزيد. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( إنّي أراك لا تقنع ببيعتي سرّاً حتّى اُبايعه جهراً فيعرف ذلك النّاس )). فقال له الوليد : أجل. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( تصبح وترى رأيك في ذلك )). فقال له الوليد : انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة النّاس. فقال له مروان : والله ، لئن فارقك الحسين السّاعة ولم يبايع ، لا قدرت منه

على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه ، ولكن احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين (عليه‌السلام) عند ذلك ثمّ قال : (( ويلي عليك يابن الزرقاء ! أنت تأمر بضرب عنقي ؟! كذبت والله ولؤمت )). ثمّ أقبل على الوليد فقال : (( أيها الأمير ، إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرّسالة ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله. ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة )).

ثمّ خرج ومعه مواليه وهو يتهادى بينهم ، ويتمثّل بقول يزيد بن مفرّغ الحميري الشاعر المشهور:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا ذَعرتُ السّوامَ في فَلقِ الصبـ  |  | ـحِ مُغيراً ولا دُعيتُ يزيدا  |
| يومَ اُعطيْ مخافةَ الموتِ ضَيماً  |  | والمنايَا يَرصدْنَني أنْ أحيدَا  |

حتّى أتى منزله ، فقال مروان للوليد : عصيتني. فقال : ويحك ! إنّك أشرت علي بذهاب ديني ودنياي ، والله ، ما اُحبّ أنْ أملك الدّنيا بأسرها وأنّي قتلت حسيناً. والله ، ما أظنّ أحداً يلقى الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان ، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكّيه.

كأنّي بالحسين (عليه‌السلام) لـمّا خرج من عند الوليد ، أحدق به إخوته وأولاده ومواليه وسائر بني هاشم وهم شاكون في السّلاح ، وهو بينهم كالقمر ما بين النجوم ، يقدمهم أبو الفضل العبّاس قمر بني هاشم ، وهو كالأسد الغضبان حتّى أتوا به إلى منزله مكرّماً لم يصبه سوء ، فأين كان بنو هاشم عن سيّدهم الحسين (عليه‌السلام) يوم عاشوراء حين بقي وحيداً فريداً بين الأعداء لا ناصر له ولا معين ؟! بلى ، كانوا مطرّحين على الرمضاء مرمّلين بالدماء ، مقطّعة أعضاؤهم مبددة أوصالهم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| گضَوا حگ العليهُمْ دونْ الخيامْ  |  | ولا خلّوا خواتِ حسينْ تنضامْ  |
| لـمَنْ خرّوا تفايضْ منهمُ الهامْ  |  | تهاووا مثلْ مَهوى النّجمْ منْ خَرْ  |
| گضَوا ما بين منْ گطعوا وريدهْ  |  | وبين الطّار راسَه وطاحت ايدهْ  |

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وبين امْشبّح برميا شديدهْ  |  | وبين الصّار للنشاب مكورْ  |

المجلس الرابع والعشرون

لـمّا تهيّأ الحسين (عليه‌السلام) للخروج من المدينة ، مضى في جوف الليل إلى قبر اُمّه (عليها‌السلام) فودّعها ، ثمّ مضى إلى قبر أخيه الحسن (عليه‌السلام) ففعل كذلك ، ثمّ رجع إلى منزله وقت الصبح.

فأقبل إليه أخوه محمّد بن الحنفيّة فقال : يا أخي ، أنت أحبّ الخلق إليّ وأعزّهم عليّ ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحد من الخلق ، وليس أحد أحقّ بها منك ؛ لأنّك مزاج مائي ونفسي وروحي وبشري ، وكبير أهل بيتي ، ومَن وجبت طاعته في عنقي ؛ لأنّ الله قد شرّفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنّة. تنحَ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما أستطعت ، ثمّ ابعث رسلك إلى النّاس ، فإنْ تابعك النّاس وبايعوا لك ، حمدت الله على ذلك ، وإنْ اجتمع النّاس على غيرك ، لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك. إنّي أخاف عليك أنْ تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف النّاس بينهم ، فتكون لأول الأسنّة غرضاً ، فإذا خير هذه الاُمّة كلّها نفساً وأباً واُمّاً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( فأين أذهب يا أخي ؟ )). قال : تخرج إلى مكّة ، فإنْ اطمأنّت بك الدار بها فذاك ، وإنْ تكن الاُخرى جئت الى بلاد اليمن فإنّهم أنصار جدّك وأبيك ، وهم أرأف النّاس وأرقّهم قلوباً وأوسع النّاس بلاداً ، فإنْ اطمأنّت بك الدار وإلّا لحقت بالرمال وشعوب الجبال ، وجزت من بلد إلى بلد حتّى تنظر ما يؤول إليه أمر النّاس ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( يا أخي ، والله لو لَمْ يكن في الدّنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية )). فقطع محمّد بن الحنفيّة عليه الكلام وبكى ، فبكى الحسين (عليه‌السلام) معه ساعة ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يا أخي جزاك الله خيراً ، فقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا

عازم على الخروج إلى مكّة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأمّا أنت يا أخي ، فلا عليك أنْ تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ، لا تخفي عنّي شيئاً من اُمورهم )).

ثم دعا الحسين (عليه‌السلام) بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لأخيه محمّد بن الحنفيّة :

بسم الله الرحمن الرحيم

(( هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما‌السلام) إلى أخيه محمّد المعروف بابن الحنفيّة : إنّ الحسين (عليه‌السلام) يشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله جاء بالحقِّ من عند الحقّ ، وأنّ الجنّة والنّار حقّ ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث مَن في القبور. وإنّي لمْ أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً ، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في اُمّة جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؛ اُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأبي علي (عليه‌السلام). فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ ، ومَن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين. وهذه وصيّتي يا أخي إليك ، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه اُنيب )).

ثم طوى الحسين (عليه‌السلام) الكتاب وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمّد بن الحنفيّة ، ثمّ ودّعه وخرج في جوف الليل وهو يقرأ ( فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَبُ قَالَ رَبّ نَجّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ )(1). ولزم الطريق الأعظم ، فقال له أهل بيته : لو تنكبت الطريق ( أي سرت على غير الجادّة العظمى ) كما فعل ابن الزّبير ؛ كيلا يلحقك الطلب. فقال (عليه‌السلام) : (( لا والله ، لا اُفارق الطريق الأعظم حتّى يقضي الله ما هو قاض )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفديْهِ منْ خائفٍ ضاقَ الفَضاءُ بهِ  |  | وهو الأمانُ لمَنْ فوق الثّرى جُمَعَا  |
| مُشرّداً لا يرى حِرزاً يلوذُ بهِ  |  | إلّا حُساماً كلونِ الملحِ قد نصَعَا  |
| مستقتلاً أنْ يحلَّ الضيمُ ساحتَهُ  |  | ومسرعاً نحو داعي العزِّ حينَ دعا  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة القصص / 21.

المجلس الخامس والعشرون

لـمّا وصل الحسين (عليه‌السلام) إلى مكّة وذلك لثلاث مضين من شعبان سنة ستّين من الهجرة ، دخلها وهو يقرأ : ( وَلَمّا تَوَجّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى‏ رَبّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السّبِيلِ )(1). وجاءه عبد الله بن عبّاس وعبد الله بن الزّبير فأشارا عليه بالإمساك ، فقال لهما : (( إنّ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أمرني بأمر وأنا ماض فيه )). فخرج ابن عبّاس وهو يقول : وآحسيناه ! ثم جاءه عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال ، وحذّره من القتل والقتال ، فقال (عليه‌السلام) له : (( يا أبا عبد الرحمن ، أما علمت أنّ من هوان الدّنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا اُهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنْ لم يصنعوا شيئاً ، فلم يعجّل الله عليهم بل أخذهم أخذ عزيز ذي انتقام. اتقِّ الله يا أبا عبد الرحمن ، ولا تدعنّ نُصرتي )).

وبلغ أهل الكوفة امتناعُ الحسين (عليه‌السلام) من بيعة يزيد وخروجه إلى مكّة ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعي ، وكتبوا إليه بالقدوم عليهم ووعدوه النصرة. وتواترت عليه كتبهم حتّى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب ، وفي بعضها : أنّ النّاس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل ثمّ العجل العجل ، وفي بعضها : قد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار ، وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار ، فإذا شئت فأقبلْ على جند لك مجنّد. وفي رواية : أنّهم كتبوا إليه : إنّا معك مئة ألف سيف. وهو مع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم. ثم أجابهم بالقبول ، وأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل رضوان الله عليه ، فكتب إليه مسلم يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً ويأمره بالقدوم. وفي رواية : أنّه بايعه منهم أربعون ألفاً على أنْ يحاربوا مَن حارب ويسالموا مَن سالم.

فأقام الحسين (عليه‌السلام) بمكّة باقي شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة القصص / 22.

وسبعة أيام من ذي الحجّة وخرج في اليوم الثامن ؛ وذلك أنّ يزيد بن معاوية أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم ، وولاّه أمر الموسم وأمره على الحاجّ كلّهم ، وكان قد أوصاه بقبض الحسين (عليه‌السلام) سرّاً ، وإنْ لمْ يتمكّن منه يقتله غيلة.

ثم إنّه دسّ مع الحاجّ في تلك السّنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني اُميّة ، وأمرهم بقتل الحسين (عليه‌السلام) على أيّ حال اتفق ، فلمّا علم الحسين (عليه‌السلام) بذلك ، عزم على التوجّه إلى العراق ، وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ، وأحلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة ؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أنْ يقبض عليه. فخرج من مكّة يوم التّروية لثمان مضين من ذي الحجّة ، فكان النّاس يخرجون إلى منى ، والحسين (عليه‌السلام) خارج إلى العراق. ولم يكن علم بقتل مسلم بن عقيل رحمه‌الله ؛ لأنّه خرج من مكّة في اليوم الذي قُتل فيه مسلم بن عقيل بالكوفة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا أضحكَ اللهُ سِنَّ الدّهرِ إنْ ضَحكتْ  |  | وآلُ أحمدَ مظلُومُونَ قدْ قُهِرُوا  |
| مُشرَّدُونَ نُفُوا عنْ عُقرِ دارِهِمُ  |  | كأنّهمْ قدْ جَنَوا ما ليس يُغتفرُ  |

المجلس السادس والعشرون

لـمّا عزم الحسين (عليه‌السلام) على الخروج من مكّة إلى العراق ، جاءه محمّد بن الحنفيّة رضوان الله عليه في الليلة التي أراد الحسين (عليه‌السلام) الخروج في صبيحتها ، فقال له : يا أخي ، إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك ، وقد خفتُ أنْ يكون حالك كحال مَن مضى ، فإنْ رأيت أنْ تقيم فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه. فقال (عليه‌السلام) : (( يا أخي ، قد خفت أنْ يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم ، فأكون الذي تُستباح به حرمة هذا البيت )). فقال له ابن الحنفيّة : فإنْ خفتَ ذلك فسرْ إلى أرض اليمن أو بعض نواحي البرّ فإنّك أمنع النّاس به ، ولا يقدر عليك أحد.

فقال (عليه‌السلام) : (( أنظر فيما قلت )). فلمّا كان السّحر ارتحل الحسين (عليه‌السلام) ، فبلغ ذلك ابن الحنفيّة ، فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال : يا أخي ، ألمْ تعدني النظر فيما سألتك ؟ قال (عليه‌السلام) : (( بلى )). قال : فما حداك على الخروج عاجلاً ؟ قال (عليه‌السلام) : (( أتاني رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بعدما فارقتك فقال : يا حسين ، اخرج فإنّ الله شاء أنْ يراك قتيلاً )). فقال محمّد بن الحنفيّة : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فما معنى حملك هؤلاء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟ فقال (عليه‌السلام) : (( إنّ الله قد شاء أنْ يراهنّ سبايا )). فسلّم عليه ومضى.

وسمع عبد الله بن عمر بخروجه ، فقدّم راحلته وخرج خلفه مسرعاً ، فأدركه في بعض المنازل فقال : أين تريد يابن رسول الله ؟ قال (عليه‌السلام) : (( العراق )). قال : مهلاً ، ارجع إلى حرم جدّك رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فأبى الحسين (عليه‌السلام) ، فلما رأى ابن عمر إباءه قال : يا أبا عبد الله ، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقبّله منك. فكشف الحسين (عليه‌السلام) عن سرّته ، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى وقال : أستودعك الله يا أبا عبد الله ، فإنّك مقتول في وجهك هذا.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ يقتلُوكَ فلا عنْ فَقدِ معرفةٍ  |  | الشّمسُ مَعْروفةٌ بالعينِ والأثرِ  |
| قدْ كُنتَ في مشرِقِ الدّنيا ومغْربِها  |  | كالحمدُ لمْ تُغنِ عنهَا سائرُ السّوَرِ  |

المجلس السّابع والعشرون

لـمّا مات معاوية وبلغ أهل البصرة مكاتبة أهل الكوفة للحسين (عليه‌السلام) ، اجتمعت شيعة البصرة في دار مارية بنت منقذ العبدي - وكانت تتشيع - فتذاكروا أمر الاُمّة وما آل إليه الأمر ، فخرج بعضهم لنصرة الحسين (عليه‌السلام) ، وكاتبه بعضهم يطلب قدومه.

قال السيّد ابن طاووس عليه الرحمة في كتاب الملهوف : إنّ الحسين (عليه‌السلام) كتب إلى جماعة من أهل البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنّى أبا رزين ، يدعوهم إلى نصرته ولزوم

طاعته ، منهم : يزيد بن مسعود النّهشلي ، والمنذر بن الجارود العبدي ، والأحنف بن قيس وغيرهم ؛ فأمّا الأحنف فكتب إلى الحسين (عليه‌السلام) يصبّره ويرجّيه ، وقال في كتابه : أمّا بعد ، فاستقم كما اُمرت ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون ؛ وأمّا المنذر فأتى بالرسول والكتاب إلى ابن زياد في الليلة التي كان ابن زياد يريد السفر صبيحتها إلى الكوفة ؛ لأنّ المنذر خاف أنْ يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله ، وكان ابن زياد متزوّجاً ابنته ، فصلب الرسول.

وأمّا يزيد بن مسعود فجمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وبني عامر ، فلمّا حضروا قال : يا بني تميم ، كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟ قالوا : بخ بخ ، أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر ، حللت في الشرف وسطاً وتقدّمت فيه فرطاً. قال : فإنّي قد جمعتكم لأمر اُريد أنْ اُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه. قالوا : إنّا والله نمنحك النّصيحة ونجهد لك الرأي فقُلْ نسمع. فقال : إنّ معاوية قد مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً ، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعت أركان الظلم ، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً أظنّ أنْ قد أحكمه ، وهيهات الذي أراد ؛ اجتهد والله ففشل ، وشاور فخذل ، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين ، ويتأمّر عليهم بغير رضاً منهم مع قصر حلم وقلّة علم ، لا يعرف من الحقّ موطئ قدمه. فاُقسم بالله قسماً مبروراً ، لَجهاده على الدّين أفضل من جهاد المشركين. وهذا الحسين بن علي ، ابن بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ذو الشّرف الأصيل والرأى الأثيل ، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف ، وهو أولى بهذا الأمر ؛ لسابقته وسنّه وقِدمه وقرابته ، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير ، فأكرم به راعي رعيّة وإمام قوم وجبت لله به الحجّة وبلغت به الموعظة. فلا تعشوا عن نور الحقّ ولا تسكّعوا(1) في وهد الباطل ، فقد كان صخر بن قيس - وهو الأحنف - انخذل بكم يوم الجمل ، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ونصرته. والله ، لا يقصّر أحد عن نصرته إلّا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) التسكّع : التمادي في الباطل.

أورثه الله الذلّ في ولده والقلّة في عشيرته ، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها ، وأدرعت لها بدرعها. مَن لَمْ يُقتَل يمت ، ومَن يهرب لَمْ يفت ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا : أبا خالد ، نحن نُبل كنانتك وفرسان عشيرتك ، إنْ رميت بنا أصبت ، وإنْ غزوت بنا فتحت ، لا تخوض والله غمرة إلّا خضناها ، ولا تلقى والله شدّة إلّا لقيناها ؛ ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا ، إذا شئت فقم. وتكلّمت بنو سعد بن زيد فقالوا : أبا خالد ، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج من رأيك ، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا ، فأمهلنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا. وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا : يا أبا خالد ، نحن بنو أبيك وحلفاؤك ، لا نرضى إنْ غضبت ولا نقطن إنْ ظعنت والأمر إليك ، فادعنا نجبك ومُرنا نطعك والأمر لك إذا شئت.

فالتفت إلى بني سعد وقال : والله يا بني سعد ، لئن فعلتموها لا رفع الله السّيف عنكم أبداً ولا زال سيفكم فيكم. ثم كتب إلى الحسين (عليه‌السلام) مع الحجّاج بن بدر السعدي - وكان متهيّئاً للمسير إلى الحسين (عليه‌السلام) بعد ما سار إليه جماعة من العبديين من أهل البصرة - :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد ، فقد وصل إليّ كتابك ، وفهمتُ ما ندبتني له ودعوتني إليه من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك ، وإنّ الله لم يخلُ الأرض من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة ، وأنتم حجّة الله على خلقه ووديعته في أرضه ، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وأنتم فرعها. فاقدم سعدت بأسعد طائر ، فقد ذلّلتُ لك أعناق بني تميم وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها ، وقد ذلّلتُ لك رقاب بني سعد وغسلتُ درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين (عليه‌السلام) الكتاب ، قال : (( ما لك ، آمنك الله يوم الخوف وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر )).

فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين (عليه‌السلام) ، بلغه قتله قبل أنْ يسير ، فجزع من انقطاعه عنه ، وبقي الحجّاج معه حتّى قُتل بين يديه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أسفاً وهلْ يُجدي الكَئيبَ تأسّفٌ  |  | إنْ لمْ أكُنْ يومَ الطّفوفِ لكَ الفِدا  |

المجلس الثامن والعشرون

لـمّا كتب أهل الكوفة إلى الحسين (عليه‌السلام) بالقدوم عليهم وألحّوا عليه ، أجابهم بـ : (( إنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل )). وإنّه إنْ كتب إليه باجتماع رأيهم على مثل ما كتبوا به ، قدم إليهم عن قريب. ودعا بمسلم فأرسله مع قيس بن مسهّر الصيداوي ورجلين آخرين ، وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللطف ، فإنْ رأى النّاس مجتمعين مستقيمين ، عجّل إليه بذلك.

فأتى مسلم المدينة فصلّى في مسجد النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وودّع مَن أحبّ من أهله ، واستأجر دليلين فسارا به على غير الطريق ، فضلّ الدليلان وأصابهما عطش شديد فماتا بعد أنْ أشارا له إلى الطريق. وانتهى مسلم إلى الماء في موضع يُعرف بالمضيق ، وكتب إلى الحسين (عليه‌السلام) : أمّا بعد ، فإنّي أقبلت من المدينة مع دليلين لي فجازا عن الطريق فضلاّ واشتدّ عليهما العطش فلم يلبثا أنْ ماتا ، وأقبلنا حتّى انتهينا إلى الماء فلم ننجُ إلّا بحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبت ، وقد تطيّرت من توجّهي هذا ، فإنْ رأيت أعفيتني وبعثت غيري ، والسّلام.

فأجابه الحسين (عليه‌السلام) : (( أمّا بعد ، فقد خشيت أنْ لا يكون حملك على الكتابة إليّ في الاستعفاء إلّا الجبن ، فامض لوجهك الذي وجّهتك فيه ، والسّلام )). فقال مسلم : أمّا هذا (يعني الجُبن) فلست أتخوّفه على نفسي. ثم أقبل حتّى دخل الكوفة فنزل في دار المختار ، وأقبل النّاس يختلفون إليه ، فكلمّا اجتمع منهم جماعة ، قرأ عليهم كتاب الحسين (عليه‌السلام) وهم يبكون حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ، فكتب إلى الحسين (عليه‌السلام) يخبره بذلك ويأمره بالقدوم.

وبلغ ذلك النّعمان بن بشير الأنصاري - وكان والياً على الكوفة - فصعد المنبر وخطب النّاس وحذّرهم ، فقال له عبد الله بن مسلم الحضرمي - حليف بني اُميّة - : إنّه لا يصلح ما ترى أيّها الأمير إلّا الغشم ، وإنّ هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين. فقال : أنْ أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ إليّ من

أنْ أكون من الأعزّين في معصية الله.

فكتب عبد الله بن مسلم هذا وعمارة بن عقبة وعمر بن سعد بن أبي وقّاص إلى يزيد يخبرونه بأمر مسلم ، ويشيرون عليه بعزل النّعمان وتولية غيره. فدعا يزيد سرجون الرومي مولى معاوية - وكان مستولياً على معاوية في حياته - فاستشاره يزيد ، فقال : لو نشر لك معاوية ما كنت آخذاً برأيه ؟ قال : بلى. فأخرج عهد عبيد الله بن زياد على الكوفة ، وقال : هذا رأي معاوية. فدعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلي وأرسله إلى عبيد الله بن زياد - وكان والياً على البصرة - فضمّ إليه البصرة والكوفة ، وأمره أنْ يسير إلى الكوفة.

فتجهّز عبيد الله من وقته وسار إلى الكوفة من الغد ومعه مسلم بن عمرو الباهلي رسول يزيد، والحصين بن تميم التميمي صاحب شرطته ، وشريك بن الحارث الأعور الهمداني وهو من الشيعة ، فتمارض شريك رجاء أنْ يتأخّر ابن زياد في السّير فيدخل الحسين (عليه‌السلام) الكوفة قبله ، فتركه ابن زياد في الطريق وتقدّم فدخل الكوفة ليلاً. وكان النّاس قد بلغهم إقبال الحسين (عليه‌السلام) فظنّوا حين رأوا عبيد الله أنّه الحسين (عليه‌السلام) ، فكلمّا مرّ على جماعة سلّموا عليه وقالوا : مرحباً بك يابن رسول الله ، قدمت خير مقدم. فرأى من تباشرهم بالحسين (عليه‌السلام) ما ساءه ، فقال بعض مَن معه لـمّا كثروا : تأخروا ، هذا الأمير عبيد الله بن زياد.

و أصبح ابن زياد فنادى الصّلاة جامعة فاجتمع النّاس ، فخرج إليهم وخطبهم ووعد المحسن بالإحسان وتوعّد المسيء بأشدّ العقاب ، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فانتقل من دار المختار إلى دار هاني بن عروة ، وجعلت أصحابه تختلف إليه على تستّر واستخفاء. فدعا ابن زياد مولى له اسمه معقل وأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وأوصاه أنْ يلتمس مسلم بن عقيل وأصحابه ويظهر لهم أنّه منهم ويدفع إليهم المال ، فجاء معقل إلى مسلم بن عوسجة وهو يصلّي في المسجد ، فقال له: أنا رجل من أهل الشام أنعم الله عليّ بحبّ أهل هذا البيت ، وتباكى له ، وقال : معي ثلاثة آلاف درهم أحبّ دفعها للذي يبايع لابن بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فاغترّ مسلم بن عوسجة بذلك وأدخله على مسلم بن عقيل بعد أنْ أخذ عليه المواثيق المغلّظة ، فجعل معقل يختلف إليهم ويخبر ابن زياد بما

يريده.

وبلغ الذين بايعوا مسلم بن عقيل خمسة وعشرين ألف رجل ، فعزم على الخروج ، فقال هاني : لا تعجل.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هُمْ بايَعُوكَ وخانوا العهْدَ وانخَذلُوا  |  | منْ بعدِ ما أوثَقوا عَهداً وأيمانَا  |
| ما يومُكُمْ منْ بني كوفانَ إذْ نَكثوا  |  | بواحدٍ لا سقَى الرحمنُ كُوفانَا  |

المجلس التاسع والعشرون

لـمّا جاء ابن زياد إلى الكوفة وتهدد النّاس وتوعّدهم ، خاف هاني على نفسه من ابن زياد فانقطع عنه وتمارض ، فسأل عنه ابن زياد جلساءه ، فقيل : إنّه مريض. فقال : لو علمت بمرضه لعدته. ودعا بجماعة فقال لهم : ما يمنع هاني من اتياننا ؟ قالوا : ما ندري ، وقد قيل إنّه مريض. قال : بلغني أنّه قد برئ ، فألقوه ومروه أنْ لا يدع ما عليه من حقّنا. فأتوا إلى هاني وأخبروه أنّ ابن زياد قد سأل عنه ، وأقسموا عليه أنْ يذهب معهم.

فلبس هاني ثيابه وركب بغلته وأقبل معهم ، فلمّا رآه ابن زياد ، قال : أتتك بخائن رجلاه تسعى. ثمّ قال : إيه يا هاني ، جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك ، وجمعت له الجموع والسّلاح في الدور حولك ، وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ. فأنكر هاني ذلك ، فدعا ابن زياد معقلاً ، فلمّا رآه هاني أسقط في يده ساعة ( أي : بُهت وتحيّر) ثمّ راجعته نفسه ، وجعل يعتذر إلى ابن زياد بأنّه ما دعا مسلماً إلى داره لكن جاءه يطلب منه النّزول فاستحيا من ردّه ، وقال : إنْ شئت أنْ أنطلق إليه فآمره أنْ يخرج من داري. فقال له ابن زياد : والله ، لا تفارقني أبداً حتّى تأتيني به. قال : لا والله ، لا أجيئك به أبداً ، أجيئك بضيفي تقتله ؟! فلمّا كثر الكلام بينهما ، قام مسلم بن عمرو الباهلي فخلا بهاني وجعل يناشده أنْ يدفع مسلم بن عقيل إلى ابن زياد ويقول : إنّه ابن عمّ القوم وليسوا بقاتليه ولا ضائريه ، وليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة ؛ إنّما تدفعه إلى السّلطان.

فقال هاني : إنّ عليّ

في ذلك الخزي والعار أنْ أدفع جاري و ضيفي وأنا حيّ صحيح شديد السّاعدين كثير الأعوان. والله ، لو لم يكن لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه. فسمع ابن زياد ذلك فقال : ادنوه مني. فأدنوه منه ، فقال : والله ، لتأتينّي به أو لأضربنّ عنقك. فقال هاني : إذاً والله ، تكثر البارقة ( يعني السّيوف ) حول دارك. فقال ابن زياد : وآ لهفاه عليك ! أبالبارقة تخوفني ؟! - وهاني يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه - ثمّ قال : ادنوه منّي. فاُدني منه ، فاستعرض وجهه بالقضيب ، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدّه حتّى كسر أنفه وسالت الدماء على ثيابه ووجهه ولحيته ، ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته حتّى كسر القضيب ، وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي ، وجاذبه الشرطي ومنعه ، فقال عبيد الله : أحروري سائر اليوم ؟!(1) قد حلّ دمك ، جرّوه. فجرّوه فألقوه في بيت من بيوت الدار وجعلوا عليه حرساً.

وبلغ الخبر إلى مذحج عشيرة هاني ، فأقبلوا مع ابن الحجّاج حتّى أحاطوا بالقصر ، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أنْ يدخل على هاني فينظر إليه ثمّ يخبر عشيرته بأنّه حيّ ، ففعل ذلك ، فقال له عمرو بن الحجّاج وأصحابه : أمّا إذا لم يُقتل فالحمد لله ، ثمّ انصرفوا.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما سَقَى اللهُ البلادَ فلا سَقَى  |  | معاهدَ كوفانٍ بنوِّ المرازمِ  |
| أتتْ كتبهُمْ في طيِّهنَّ كتائبٌ  |  | وما رُقِّمتْ إلّا بسُمِّ الأراقمِ  |

المجلس الثلاثون

لما بلغ مسلم بن عقيل ما فعله عبيد الله بن زياد بهاني بن عروة ، نادى في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي : أأنت تفعل فعل الخوارج في هذا اليوم ؟! والحروري : الخارجي ؛ لأنّ الخوارج اجتمعوا في أول أمرهم في موضع يقال له : حروراء ، فسمّوا الحروريّة. - المؤلّف -

أصحابه - وكانوا أربعة آلاف رجل - فاجتمعوا عليه ، فخرج بهم لحرب ابن زياد ، وتداعى النّاس واجتمعوا حتّى امتلأ المسجد والسّوق ، ودخل عبيد الله القصر وأغلق أبوابه فضاق به أمره ، وأقام النّاس مع مسلم يكثرون حتّى المساء وأمرهم شديد.

وبعث عبيد الله إلى أشراف النّاس فجمعهم عنده ، ثمّ أشرفوا على النّاس يُرغّبونهم ويُرهبونهم ويُخوّفونهم بأجناد الشام ، فأخذوا يتفرّقون ، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول : انصرف ، النّاس يكفونك. ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه ويقول : غداً يأتيك أهل الشام ، فما تصنع بالحرب والشرّ ؟ انصرف. فما زالوا يتفرّقون حتّى أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد ، فخرج متوجّهاً إلى أبواب كندة فلم يبلغها إلّا ومعه عشرة ، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه أحد.

فمضى على وجهه لا يدري أين يذهب حتّى أتى إلى باب امرأة يقال لها طوعة ، فسلّم عليها فردّت عليه‌السلام ، وطلب منها ماء فسقته وجلس ، ودخلت ثمّ خرجت فقالت : يا عبد الله ، ألم تشرب ؟ قال : بلى. قالت : فاذهب إلى أهلك. فسكت ، ثمّ أعادت القول فسكت ، ثمّ أعادت القول فسكت ، فقالت في الثالثة : سبحان الله ! يا عبد الله ، قم عافاك الله إلى أهلك فإنّه لا يصحّ لك الجلوس على بابي ولا أحلّه لك. فقام وقال : يا أمة الله ، ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة ، فهل لك في أجر معروف ولعلّي مكافيك بعد هذا اليوم ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني وأخرجوني. قالت : أنت مسلم ؟! قال : نعم. قالت : ادخل. فدخل إلى بيت في دارها غير الذي تكون فيه ، وفرشت له وعرضت عليه العشاء فلم يتعشَّ.

وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه ، فقال : والله ، إنّه ليريبني كثرة دخولك إلى هذا البيت وخروجك منه منذ الليلة ، إنّ لك لشأناً ! قالت له : يا بُني ، إلْه عن هذا. فقال: والله لتخبريني. قالت له : أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء. فألحّ عليها ، فقالت : يا بُني، لا تخبرنّ أحداً من النّاس بشيء ممّا اُخبرك به. قال: نعم. فأخذت عليه الأيمان فحلف لها فأخبرته ، فاضطجع وسكت ، فلمّا أصبح غدا إلى عبد الرحمن بن محمّد

ابن الأشعث فأخبره ، فأقبل عبد الرحمن حتّى أتى أباه - وهو عند ابن زياد - فسارّه ، فعرف ابن زياد سراره فقال : قم فأتي به السّاعة. وبعث معه عبيد الله بن العبّاس السّلمي في سبعين رجلاً من قيس حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم ، فلّما سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال ، علم أنّه قد اُتي فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتّى أخرجهم من الدار ، ثمّ عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك ، فاختلف هو وبكر بن حمران الأحمري ضربتين ؛ فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السّيف في السفلى وفصلت له ثنيتاه ، وضربه مسلم في رأسه ضربة منكرة وثنّاه باُخرى على حبل العاتق كادت تطلع إلى جوفه. فلمّا رأوا ذلك ، أشرفوا عليه من فوق البيت وأخذوا يرمونه بالحجارة ، ويلهبون النّار في أطناب القصب ثمّ يرمونها عليه من فوق البيت ، فلمّا رأى ذلك خرج مصلتا سيفه في السكّة ، فقال محمّد بن الأشعث : لك الأمان ، لا تقتل نفسك. فقال مسلم : وأيّ أمان للغدرة ؟! ثمّ أقبل يقاتلهم وهو يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقسمت لا اُقتلُ إلّا حُرّا  |  | وإنْ رأيتُ الموتَ شيئاً نُكرا  |
| أكرهُ أنْ اُخدعَ أو اُغرّا  |  | أو أخلطَ الباردَ سخناً مُرّا  |
| ردَّ شُعاعُ النَّفسِ فاسْتَقرّا  |  | كلُّ امرئٍ يوماً يُلاقي شَرّا  |

أضربُكُمْ ولا أخافُ ضَرّا

فنادوه : إنّك لا تُكذب ولا تُغر. فلمْ يلتفت إلى ذلك إلى أنْ قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً - على ما رواه ابن شهر آشوب - ، وتكاثروا عليه بعد أنْ اُثخن بالجراح ، فطعنه رجل من خلفه فخرّ إلى الأرض ، فاُخذ أسيراً.

وفي رواية المفيد : أنّه أخذ بالأمان بعد أنْ عجز عن القتال. فاُتي ببغلة فحُمل عليها واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه ، فكأنّه عند ذلك يئس من نفسه ، فدمعت عيناه ثمّ قال : هذا أول الغدر. فقال له محمّد بن الأشعث : أرجو أنْ لا يكون عليك بأس. فقال : وما هو إلّا الرجاء ، أين أمانكم ؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وبكى ، فقال له عبيد الله بن العبّاس السلمي : إنّ مَن يطلب مثل الذي تطلب ، إذا نزل به مثل ما نزل بك لم يبكِ. فقال : والله ،

ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثي ، وإنْ كنت لم اُحبّ لها طرفة عين تلفاً ، ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين ؛ أبكي الحسين وآل الحسين (عليهم‌السلام). ثمّ أقبل على محمّد بن الأشعث فقال : يا عبد الله ، إنّي أراك والله ستعجز عن أماني ، فهل عندك خير ؟ تستطيع أنْ تبعث من عندك رجلاً على لساني أنْ يبلّغ حسيناً ، فإنّي لا أراه إلّا وقد خرج اليوم أو هو خارج غداً وأهل بيته ، ويقول له أنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم ، لا يرى أنّه يمسي حتّى يُقتل ، وهو يقول لك ارجع - فداك أبي واُمّي - بأهل بيتك ، ولا يغررك أهل الكوفة ؛ فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل. إنّ أهل الكوفة قد كذّبوك وليس لمكذوب رأي ؟ فقال ابن الأشعث : والله ، لأفعلن ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد آمنتك.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لاقاكَ جمعُهُمُ في الدّارِ مُنفرداً  |  | كما تُلاقي بُغاثُ الطَّيرِ عُقبانَا  |
| فَعُدتَ تنثرُ بالهنديِّ هامَهُمُ  |  | والرّمحُ ينظمهُمْ مثنىً ووحدانَا  |
| حتّى غدوتَ أسيراً في أكفِهمُ  |  | وكان منْ نُوَبِ الأيّامِ ما كانَا  |

المجلس الواحد والثلاثون

لـمّا أسّر محمّد بن الأشعث مسلم بن عقيل ، أقبل به حتّى انتهى إلى باب قصر الأمارة وقد اشتد بمسلم العطش ، وعلى باب القصر ناس جلوس ينتظرون الإذن فيهم عمرو بن حريث ومسلم بن عمرو الباهلي ، وإذا قلّة ماء باردة موضوعة على الباب ، فقال مسلم : اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها ؟ لا والله ، لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم. فقال له ابن عقيل : لاُمّك الثكل ! ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك ! أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنّم منّي.

ثم جلس فتساند إلى الحائط ، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقلّة عليها منديل وقدح، فصبّ فيه ماء ، فقال له : اشرب. فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دماً من فمه ولا يقدر أنْ يشرب ، ففعل ذلك مرّة أو مرّتين ، فلمّا ذهب في الثالثة

ليشرب ، سقطت ثناياه في القدح ، فقال : الحمد لله ، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كأنّما نفسُك اختارتْ لهَا عَطشاً  |  | لـمّا دَرتْ أنْ سيقضي السّبطُ عَطشانَا  |
| فلمْ تُطقْ أنْ تسيغَ الماءَ عنْ ظمأٍ  |  | منْ ضربةٍ ساقَها بكرُ بنُ حمرانَا  |

وخرج رسول ابن زياد وأمر بإدخاله إليه ، فلمّا دخل لمْ يسلّم عليه بالإمرة ، فقال له الحرسي : لِم لا تسلّم على الأمير ? قال : اسكت ويحك ! والله ، ما هو لي بأمير. فقال ابن زياد : لا عليك ، سلّمت أم لمْ تسلّم فإنّك مقتول. فقال له مسلم : إنْ قتلتني ، فلقد قتل مَن هو شرّ منك مَن هو خيرٌ منّي. فقال له ابن زياد : قتلني الله إنْ لمْ أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال مسلم : أما إنّك أحقّ مَن أحدث في الإسلام ما لمْ يكن ، وإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة ، وخبث السّريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك. فقال ابن زياد : يا عاق يا شاق ، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة. فقال مسلم : كذبت إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد ، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد ، عبد بني علاّج من ثقيف ، وأنا أرجو أنْ يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريّته. فقال له ابن زياد : منّتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله. فقال له مسلم : ومَن أهله يابن مرجانة إذا لم نكن نحن أهله ؟! فقال له ابن زياد : أهله أمير المؤمنين يزيد. فقال مسلم : الحمد لله على كلّ حال ، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. فقال له ابن زياد : أتظنّ أنّ لك في الأمر شيئاً ؟ فقال له مسلم : والله ، ما هو الظنّ ولكنّه اليقين.

وقال له ابن زياد : إيه ابن عقيل ، أتيت النّاس وهم جميع أمرهم ملتئم ، فشتتّ أمرهم بينهم وفرّقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض. قال : كلاّ لست لذلك أتيت ، ولكنّكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف ، وتأمّرتم على النّاس بغير رضىً منهم ، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به ، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر ؛ فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر ، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنّة ، وكنّا أهل ذلك. فقال له ابن زياد : وما أنت وذاك يا فاسق ؟ لِم لمْ تعمل بذلك إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟ قال مسلم : أنا أشرب الخمر ؟! أما والله ، إنّ الله

ليعلم أنّك تعلم أنّك غير صادق ، وأنّك أحقّ بشرب الخمر منّي ، وأولى مَن يلغ في دماء المسلمين ولغاً فيقتل النّفس التي حرّم الله قتلها ، ويسفك الدم الذي حرّم الله على الغضب والعداوة وسوء الظن ، وهو يلهو ويلعب كأنْ لمْ يصنع شيئاً. فأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم عليّاً وعقيلاً والحسن والحسين (عليهم‌السلام) ، وأخذ مسلم لا يكلّمه. وفي رواية : أنه قال له : أنت وأبوك أحقّ بالشتيمة ، فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عدو الله.

ثم قال ابن زياد : اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ، ثمّ اتبعوه جسده. ثمّ قال : أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسّيف ؟ فدعي بكر بن حمران فقال له : اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه. فصعد بمسلم وهو يكبّر ويستغفر الله ويصلّي على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ويقول : اللهمَّ ، احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذّبونا وخذلونا. وأشرفوا به على موضع من القصر فضُربت عنقه واُتبع رأسه جثّته.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا مُسلمُ بنَ عقيلٍ لا أغبّ ثرَى  |  | ضريحِكَ الـمُزنُ هطّالاً وهتّانا  |
| نصرتَ سبطَ رسولِ اللهِ مُجتَهداً  |  | وذقْتَ في نصرِهِ للضُّرِّ ألوانا  |
| ورامَ تقريعَكَ الرّجسُ الدّعيُّ بما  |  | قدْ كان لفَّقهُ زُوراً وبُهتانا  |
| ألقمتَهُ بجوابٍ قاطعٍ حَجراً  |  | وللجهولِ بهِ أوضحتَ بُرهانا  |

المجلس الثاني والثلاثون

لـمّا قُتل ابن عقيل ، قام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه في هاني بن عروة - وكان محمّد بن الأشعث وأسماء بن خارجة هما اللذان أتيا بهاني إلى ابن زياد وقالا له : أنّه قد ذكرك ، وأقسما عليه أنْ يركب معهما ، ولمْ يكن أسماء يعلم بشيء ممّا كان ، وكان ابن الأشعث عالماً به - فقال ابن الأشعث لابن زياد : إنّك قد عرفت منزلة هاني في المصر وبيته في العشيرة ، وقد علم قومه أنّي وصاحبي أتينا به إليك ، وأنشدك الله لما وهبته لي ، فإنّي أكره عداوة المصر وأهله.

فوعده أنْ يفعل ، ثمّ بدا له وأمر بهاني في الحال فقال : اخرجوه إلى السّوق فاضربوا عنقه.

فاُتي به إلى مكان من السّوق كان يباع فيه الغنم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وآ مذحجاه ! ولا مذحج لي اليوم. يا مذحجاه ! أين مذحج ؟ فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره ، جذب يده فنزعها من الكتف ثمّ قال : أما من عصا أو سكّين أو حجارة أو عظم يحاجز بها رجل عن نفسه؟ ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً ثمّ قيل له : امدد عنقك. فقال : ما أنا بها سخي ، وما أنا بمعينكم على نفسي. فضربه مولى لعبيد الله اسمه رشيد ، فلم يصنع شيئاً ، فقال له هاني : إلى الله المعاد ، اللهمَّ إلى رحمتك ورضوانك. ثمّ ضربه اُخرى فقتله. وأمر ابن زياد بجثّتي مسلم وهاني فصلبتا في الكناسة(1) وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية.

قال سبط ابن الجوزي : كان رأس مسلم أول رأس حمل من رؤوس بني هاشم ، وجثّته أول جثّة صُلبت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ كنتِ ما تدرينَ ما الموتُ فانظُري  |  | إلى هانئٍ في السّوق وابنِ عقيلِ  |
| إلى بطلٍ قدْ هشَّمَ السّيفُ وجهَهُ  |  | وآخرَ يهوي منْ طمارِ قتيلِ  |
| أصابهُما فرخُ البغيِّ فأصبحَا  |  | أحاديثَ مَن يسري بكلِّ سبيلِ  |
| تَرَي جسداً قدْ غيّر الموتُ لونَهُ  |  | ونضحَ دمٍ قدْ سال كلَّ مسيلِ  |
| فتىً كان أحْيا منْ فتاةٍ حَييَّةٍ  |  | وأقطعَ من ذي شَفرتينِ صقيلِ  |

المجلس الثالث والثلاثون

لـمّا قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة رضوان الله عليهما ، أمر ابن زياد كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد ما كان من أمر مسلم وهاني ، فكتب الكاتب فأطال - وكان أول مَن أطال في الكتب - فلمّا نظر فيه عبيد الله ، كرهه وقال : ما هذا التطويل ؟ وما هذا الفضول ؟ اكتب : أمّا بعد ، فالحمد لله الذي أخذ لأمير

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) موضع بالكوفة ، يظهر أنّه كان محلّ اجتماع النّاس. - المؤلّف -

المؤمنين حقّه وكفاه مؤونة عدوّه. أخبر أمير المؤمنين أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي ، وإنّي جعلت عليهما المراصد والعيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتّى أخرجتهما وأمكن الله منهما ، فقدّمتهما وضربت أعناقهما ، وقد بعثت إليك برأسيهما مع هانئ بن أبي حيّة الوداعي والزبير بن الأروح التميمي وهما من أهل السّمع والطاعة والنّصيحة ، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحب من أمرهما ؛ فإنّ عندهما علماً وصدقاً وورعاً ، والسّلام.

فكتب إليه يزيد : أمّا بعد ، فإنّك لمْ تعد إنْ كنت كما اُحب ، عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش ، وقد أغنيت وكفيت ، وصدّقت ظنّي بك ورأيي فيك ، وقد دعوت رسولَيك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوص بهما خيراً ، وأنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد توجّه إلى العراق ، فضع المناظر والمسالح واحترس ، واحبس على الظنّة واقتل على التهمة ، واكتب إليّ فيما يحدث من خير إنْ شاء الله.

ولـمّا بلغ الحسين (عليه‌السلام) مقتل مسلم وهاني ، قال : (( إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحمة الله عليهما )) ، يردّد ذلك مراراً. ولقيه الفرزدق الشاعر فسلّم عليه وقال : يابن رسول الله ، كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته ؟! فاستعبر الحسين (عليه‌السلام) ثمّ قال : (( رحم الله مسلماً ، فلقد صار إلى رَوح الله وريحانه ، وتحيّاته ورضوانه ، أما أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا )) ، ثمّ أنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ تكُنْ الدُّنيا تعدُّ نفيسةً  |  | فإنّ ثوابَ اللهِ أعلى وأنبلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأبدانُ للموتِ اُنشئتْ  |  | فقتلُ امرئٍ بالسّيفِ في اللهِ أفضلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأرزاقُ قِسْماً مُقدّراً  |  | فقلّةُ حِرصِ المرءِ في السَّعي أجملُ  |
| وإنْ تكُنْ الأموالُ للتّركِ جَمعُها  |  | فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ  |

\* \* \*

المجلس الرابع والثلاثون

لـمّا عزم الحسين (عليه‌السلام) على الخروج من مكّة إلى العراق ، قام خطيباً في أصحابه فقال : (( الحمدُ لله وما شاء الله ولا قوّة إلّا بالله ، وصلّى الله على رسوله ، خُطَّ الموتُ على وُلد آدمَ مَخَطَّ القَلادةِ على جيد الفتاةِ ، وما أولهني إلى أسلافي اشتياقُ يعقوبَ إلى يوسفَ ، وخُيّر لي مصرعٌ أنا لاقيه ، كأنّي بأوصالي تُقطّعها عَسْلانُ(1) الفلوات بين النّواويس وكربلاء ، فيملأنَّ منّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً ، لا مَحيصَ عن يومٍ خُطّ بالقَلَمْ ، رِضَى اللهُ رضانا أهلَ البيتِ ، نصبرُ على بلائِهِ ويُوفّينا أجورَ الصّابرين ، لنْ تَشُذَّ عن رسول اللهِ لَحمتُهُ ، بل هي مجموعةٌ لهُ في حظيرةِ القُدْسِ ، تُقرُّ بِهمْ عينُه ويُنجزُ بهم وعدَه.

مَنْ كان باذلاً فينا مُهجَتَه ، ومُوَطِّناً على لقاءِ اللهِ نفسَه فليرحل معنا ، فإنّني راحلٌ مُصبحاً إنْشاءَ اللهُ تعالى )). ثمّ ارتحل.

وألحقه عبد الله بن جعفر بابنيه عون ومحمّد ، وكتب على أيديهما إليه كتاباً يقول فيه : أمّا بعد ، فإنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي ، فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجّهت له أنْ يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك ، وإنْ هلكت اليوم اُطفئ نور الأرض ، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين ، فلا تعجل بالمسير فإنّي في أثر كتابي ، والسّلام.

وصار عبد الله إلى عمرو بن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في إبصار العين : عسلان ، بضمّ العين وسكون السين : جمع عاسل ، وهو المهتزّ المضطرب. ويُقال للرمح والذئب ، والمراد الثاني اهـ.

أقول : لم يذكر أحد من أهل اللغة أنّ عاسلاً يجمع على عسلان ، والظاهر أنّ عسلان بالتحريك ، مصدر عسل الذئب إذا اضطرب في عدوه وهزّ رأسه ؛ ونسبة التقطيع إلى العسلان مجاز عقلي من باب الإسناد إلى السبب على حذف المضاف : أي يقطعها عسلان ذئاب الفلوات. - المؤلّف -

سعيد فسأله أنْ يكتب للحسين (عليه‌السلام) أماناً ويمنّيه البِر والصلة ، فكتب له وأنفذه مع أخيه يحيى بن سعيد ، فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر - بعد نفوذ ابنيه - وجهدا به في الرجوع ، فقال (عليه‌السلام) : (( إنّي رأيت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) في المنام وأمرني بما أنا ماض له )). فقالا له : فما تلك الرؤيا ؟ فقال (عليه‌السلام) : (( ما حدّثت بها أحداً حتّى ألقى ربّي عزّ وجلّ )). فلمّا آيس منه عبد الله بن جعفر ، أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه ورجع هو إلى مكّة.

قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( خرجنا مع أبي ، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلّا ذكر يحيى بن زكريّا )). وقال يوماً : (( من هوان الدّنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا اُهدي إلى بغي من بغايا بني اسرائيل )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ركبوا إلى العزِّ المنوْ  |  | نَ وجانَبُوا عيشَ الذَّليلِ  |
| وردُوا الوغَى فقضَوا وليـ  |  | س تُعاب شمسٌ بالاُفولِ  |

المجلس الخامس والثلاثون

لـمّا بلغ الحسين (عليه‌السلام) إلى الحاجر(1) من بطن الرّمة(2) ، كتب كتاباً إلى جماعة من أهل الكوفة ، منهم : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيّب بن نجبة ، ورفاعة بن شداد وغيرهم ، وأرسله مع قيس بن مسهّر الصيداوي - وذلك قبل أنْ يعلم بقتل مسلم - يقول فيه : (( بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو. أمّا بعد ، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحاء مهملة وجيم وراء مهملة : اسم مكان بطريق الحاج العراقي.

(2) الرُمّة ، بضمّ الراء المهملة وتشديد الميم ، وقد تُخفف : قاع عظيم بنجد. - المؤلّف -

ملئكم على نصرنا والطلب بحقّنا ، فسألت الله أنْ يحسن لنا الصّنيع وأنْ يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التّروية ، فإذا قدم عليكم رسولي ، فانكمشوا في أمركم وجدّوا ، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه إنْ شاء الله تعالى ، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته )). وكان مسلم بن عقيل قد كتب إليه قبل أنْ يُقتل بسبع وعشرين ليلة.

فأقبل قيس بكتاب الحسين (عليه‌السلام) إلى الكوفة ، وكان ابن زياد لمّا بلغه مسير الحسين (عليه‌السلام) من مكّة إلى الكوفة ، بعث الحُصين بن تميم صاحب شرطته حتّى نزل القادسيّة ، فلمّا انتهى قيس إلى القادسيّة ، اعترضه الحُصين بن تميم ليفتّشه فأخرج قيس الكتاب وخرّقه ، فحمله الحُصين إلى ابن زياد فلمّا مثُل بين يديه ، قال له : مَن أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه الحسين (عليهما‌السلام). قال : فلماذا خرّقت الكتاب ؟ قال : لئلاّ تعلم ما فيه. قال: وممَّن الكتاب ، وإلى مَن ؟ قال : من الحسين (عليه‌السلام) إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف اسماءهم. فغضب ابن زياد وقال : والله ، لا تفارقني حتّى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين بن علي وأباه وأخاه ، وإلّا قطّعتك إرباً إرباً. فقال قيس : أمّا القوم فلا اُخبرك بأسمائهم ، وأمّا السبّ فأفعل.

فصعد قيس ، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأكثر من الترحّم على عليّ والحسن والحسين (عليهم‌السلام) ، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني اُميّة ، ثمّ قال : أيّها النّاس، إنّ هذا الحسين بن علي خير خلق الله ، ابن فاطمة بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأنا رسوله إليكم وقد خلّفته بالحاجر فأجيبوه. فأمر به ابن زياد فرُمي من أعلى القصر فتكسّرت عظامه وبقي به رمق ، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عُمير اللخمي فذبحه ، فعيب عليه ، فقال : أردت أنْ اُريحه.

ويقال : أنّ عبد الملك هذا كان قاضي الكوفة وفقيهها ، وما ينفعه فقهه مع شنيع فعله !

فبلغ الحسين (عليه‌السلام) قتله ، فاسترجع واستعبر ولمْ يملك دمعته ثمّ قرأ : ( فَمِنْهُم مّن قَضَى‏ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً )(1). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( جعل الله له الجنّة ثوابا ً. اللهمَّ ، اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

واجمع بيننا وبينهم في مستقرٍ من رحمتك ورغائب مدخور ثوابك ، إنّك على كلّ شيء قدير )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يَستنْجعُون الرَّدى شوقاً لغايتِهِ  |  | كأنّما الضَّربُ في أفواهها الضَّربُ  |
| واستأثَرُوا بالرَّدى من دونِ سيِّدهمْ  |  | قصداً وما كُلّ إيثارٍ به الأربُ  |

المجلس السّادس والثلاثون

لـمّا سار الحسين (عليه‌السلام) من الحاجر ، انتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي وهو نازل به ، فلمّا رأى الحسين (عليه‌السلام) ، قام إليه فقال : بأبي أنت واُمّي يابن رسول الله ، ما أقدمك ؟ واحتمله فأنزله ، فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( كان من موت معاوية ما قد بلغك ، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم )). فقال له عبد الله : اُذكّرك الله يابن رسول الله وحرمة الإسلام أنْ تنتهك ، أنشدك الله في حرمة قريش ، أنشدك الله في حرمة العرب. فوالله ، لئن طلبت ما في أيدي بني اُميّة ليقتلنّك ، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً. والله ، إنّها لحرمة الإسلام تنتهك ، وحرمة قريش وحرمة العرب ، فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني اُميّة.

وكان زهير بن القَين البجلي قد حجّ في تلك السّنة من الكوفة - وكان عثمانياً - فلمّا رجع من الحجّ ، جمعه الطريق مع الحسين (عليه‌السلام).

فحدّث جماعة من فزارة وبجيلة قالوا : كنّا مع زهير بن القَين حين أقبلنا من مكّة فكنّا نساير الحسين (عليه‌السلام) ، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أنْ نسير معه في مكان واحد أو ننزل معه في منزل واحد ، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القَين ، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير. فنزلنا يوماً في منزل لم نجد بدّاً من أنْ ننزل معه فيه ، فنزل هو في جانب ونزلنا في جانب آخر ، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين (عليه‌السلام) حتّى سلّم ثمّ دخل ، فقال : يا زهير ، إنّ أبا عبد الله بعثني إليك لتأتيه. فطرح كلّ

إنسان منّا ما في يده كأنّ على رؤوسنا الطير ؛ كراهيّة أنْ يذهب زهير إلى الحسين (عليه‌السلام) ، فقالت له امرأته - وهي دلهم بنت عمرو - : سبحان الله ! أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه ؟! فلو أتيته فسمعت من كلامه ثمّ انصرفت.

فأتاه زهير على كره ، فما لبث أنْ جاء مستبشراً قد أشرق وجهه ، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله فحوّل إلى الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قال لامرأته : أنت طالق ، الحقي بأهلك فإنّي لا اُحبّ أنْ يصيبك بسببي إلّا خير ، وقد عزمت على صحبة الحسين (عليه‌السلام) لأفديه بروحي وأقيه بنفسي. ثم أعطاها ما لها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت وودّعته وقالت: خار الله لك ، أسألك أنْ تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين (عليه‌السلام).

وقال لأصحابه : مَن أحبّ منكم أنْ يتبعني وإلّا فهو آخر العهد منّي ، إنّي ساُحدّثكم حديثاً: إنّا غزونا بلنجر - وهي بلدة ببلاد الخزر - ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ففرحنا ، فقال لنا سلمان الفارسي : إذا أدركتم قتال شباب آل محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتم من المغانم. فأمّا أنا فأستودعكم الله. ولزم الحسين (عليه‌السلام) حتّى قُتل معه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومعشرٍ راودتهُمْ عنْ نفوسِهمُ  |  | بيضُ الظُّبا غير بيضِ الخُرّد العُرُبِ  |
| فأنعمُوا بنفوسٍ لا عديلَ لها  |  | حتّى اُسيلتْ على الخُرصانِ والقُضُبِ  |

المجلس السّابع والثلاثون

روى عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديّان قالا : لـمّا قضينا حجّنا لم تكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسين (عليه‌السلام) لننظر ما يكون من أمره ، فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بـ ( زرود ) ، فلمّا دنونا منه ، إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين (عليه‌السلام) ، فوقف الحسين (عليه‌السلام) كأنّه يريده ثمّ تركه ومضى ، ومضينا نحوه فقال أحدنا لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا

لنسأله فإنّ عنده خبر الكوفة. فمضينا إليه فقلنا : السّلام عليكم. فقال : وعليكما السّلام. قلنا : ممَّن الرجل ؟ قال : أسدي. قلنا له : ونحن أسديّان ، فمَن أنت ؟ قال : أنا بكر بن فلان، وانتسبنا له ، ثمّ قلنا : أخبرنا عن النّاس من ورائك. قال : لم أخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ، ورأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السّوق.

فاقبلنا حتّى لحقنا الحسين (عليه‌السلام) فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً ، فجئنا حين نزل فسلّمنا عليه ، فردّ علينا السّلام ، فقلنا : رحمك الله ، إنّ عندنا خبراً إنْ شئت حدّثناك علانية وإنْ شئت سرّاً. فنظر إلينا وإلى أصحابه ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( ما دون هؤلاء سرّ )). فقلنا له : رأيتَ الراكب الذي استقبلته عشيّة أمس ؟ قال (عليه‌السلام) : (( نعم ، وقد أردتُ مسألته )). فقلنا : قد والله استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته ، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل ، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم وهاني ، ورآهما يُجرّان في السّوق بأرجلهما. فقال (عليه‌السلام) : (( إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، رحمة الله عليهما )). يردّد ذلك مراراً. فقلنا له : ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا ، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل نتخوّف أنْ يكونوا عليك.

فنظر (عليه‌السلام) إلى بني عقيل فقال : (( ما ترون ؟ فقد قُتل مسلم )). فقالوا : والله ، لا نرجع حتّى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق. فأقبل علينا الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( لا خير في العيش بعد هؤلاء )). فعلمنا أنّه قد عزم رأيه على المسير ، فقلنا له : خار الله لك. فقال (عليه‌السلام) : (( رحمكما الله )). فقال له أصحابه : إنّك والله ما أنت مثل مسلم ، ولو قدمت الكوفة لكان النّاس إليك أسرع. فسكت ، وارتجّ الموضع بالبكاء لقتل مسلم بن عقيل ، وسالت الدموع عليه كلّ مسيل.

ولا بأس أنْ يرتجّ هذا الموضع بالبكاء حزناً لقتل مسلم بن عقيل ، فمسلم هو الذي وصفه الحسين (عليه‌السلام) في كتابه إلى أهل الكوفة بقوله : (( إنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل )). وكفى بهذه الشهادة من الحسين (عليه‌السلام) في جلالة قدر مسلم أنْ يكون ثقة الحسين (عليه‌السلام) من أهل بيته ، ومسلم رضوان الله عليه أول قتيل من أهل البيت في نصرة الحسين (عليه‌السلام) ، وجثّته أول جثّة صُلبت ، ورأسه أول رأس حُمل منهم ،

وأول رجل قُتل عطشان منهم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا مسلمُ بنَ عقيلٍ لا أغبَّ ثرَى  |  | ضريحِكَ الـمُزنُ هطّالاً وهتَّانَا  |
| ولو تكونُ بسقياهُ السَّما بَخلتْ  |  | سقيتُهُ من دموعِ العينِ غُدْرانَا  |
| بذلتَ نفسَكَ في مرضاةِ خالِقِها  |  | حتّى قضيتَ بسيفِ البغْي ظمْآنَا  |

المجلس الثامن والثلاثون

لـمّا نزل الحسين (عليه‌السلام) ( زُبالة ) وهو متوجّه إلى الكوفة ، أتاه بها مقتل عبد الله بن يقطر ، وهو أخو الحسين (عليه‌السلام) من الرضاعة ، وقيل : كانت اُمّ عبد الله هذا مربيّة للحسين (عليه‌السلام) فكان عبد الله من لدات الحسين (عليه‌السلام) وأقرانه في السنّ ؛ ولذلك اُطلق عليه أنّه أخوه من الرضاعة ، وإنّ الحسين (عليه‌السلام) لم يرضع من غير ثدي اُمّه فاطمة (عليها‌السلام) ، وكان الحسين (عليه‌السلام) أرسله مع مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، فلمّا رأى مسلم الخذلان ، بعث عبد الله بن يقطر إلى الحسين (عليه‌السلام) يخبره بذلك.

وكان ابن زياد قد نظم الخيل مع الحُصين بن تميم صاحب شرطته على الطرقات بين البصرة والقادسيّة ، فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج ، فقبض الحُصين على عبد الله بن يقطر وأرسله إلى ابن زياد ، فقال له ابن زياد : اصعد فوق القصر والعن الكذّاب ابن الكذّاب ثمّ انزل حتّى أرى فيك رأيي. فصعد فوق القصر ، فلمّا أشرف على النّاس ، لعن عبيد الله بن زياد وأباه ودعا إلى نصرة الحسين (عليه‌السلام) ، فألقاه بن زياد من أعلى القصر فمات(1).

وكان قتل مسلم بن عقيل

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وقع اشتباه هنا من بعض المؤرّخين بين قصّة قيس بن مسهّر الصيداوي رسول الحسين (عليه‌السلام) إلى أهل الكوفة الذي قبَضَ عليه الحُصين بن تميم وأرسله إلى ابن زياد ، فأمره أنْ يسبّ الحسين وأباه ففعل ضدّ ذلك ، فألقاه من أعلى القصر، وبين قصّة عبد الله بن يقطر الذي أرسله ابن عقيل إلى الحسين (عليه‌السلام) فقَبضَ عليه الحُصين أيضاً ، وجرى له نظير ما جرى لقيس. - المؤلّف -

وهاني بن عروة بلغ الحسين (عليه‌السلام) وهو بـ ( زرود ) ، وقيل : بلغه أيضاً بـ ( زُبالة ) ، فلمّا بلغ الحسين (عليه‌السلام) خبر عبد الله بن يقطر ، أخرج إلى النّاس كتاباً فقرأه عليهم ، وفيه : (( بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فإنّه قد أتاني خبر فظيع ؛ قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر ، وقد خذلَنا شيعتُنا ، فمَن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ، ليس عليه ذمام )). فتفرّق النّاس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير ممَّن انضمّوا إليه من أهل البصائر والنيّات الصادقة ، وإنّما فعل ذلك ؛ لئلاّ يتبعه مَن ليس له بصيرة نافذة ولا نيّة صادقة ولا يريد مواساته والقتال معه ، فإنّ هؤلاء لا فائدة في صحبتهم.

ولقيه الفرزدق الشاعر عائداً من الحجّ فقال : يابن رسول الله ، كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته ؟! فاستعبر الحسين (عليه‌السلام) ثمّ قال : (( رحم الله مسلماً ، فلقد صار إلى رَوح الله وريحانه ، وتحيّاته ورضوانه ، أما أنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا )) ، ثمّ أنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ تكُنْ الدُّنيا تعدُّ نفيسةً  |  | فإنّ ثوابَ اللهِ أعلى وأنبلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأبدانُ للموتِ اُنشئتْ  |  | فقتلُ امرئٍ بالسّيفِ في اللهِ أفضلُ  |
| وإنْ تكُنْ الأرزاقُ قِسْماً مُقدّراً  |  | فقلّةُ حِرصِ المرءِ في السَّعي أجملُ  |
| وإنْ تكُنْ الأموالُ للتّركِ جَمعُها  |  | فما بالُ متروكٍ به المرءُ يبخلُ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يابنَ النّبيِّ كَمْ احتَملْتَ فجائعاً  |  | منْ هولِها شُمُّ الجبالِ تصدَّعُ  |

المجلس التاسع والثلاثون

لـمّا نزل الحسين (عليه‌السلام) ببطن العقبة ، لقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمرو بن

يؤذان ، فسأله : أين تريد ؟ فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( الكوفة )). فقال الشيخ : أنشدك الله لـمّا انصرفت ، فوالله ما تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السّيوف ، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ، ووطّؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذه الحال التي تذكر ، فإنّي لا أرى لك أنْ تفعل. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( يا عبد الله ، ليس يخفى عليّ الرأي ، ولكنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره )). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( والله ، لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ، فاذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فِرق الاُمم)).

ثم سار (عليه‌السلام) من بطن العقبة حتّى نزل ( شراف ) ، فلمّا كان في السّحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا ، ثمّ سار منها حتّى انتصف النّهار ، فبينا هو يسير إذ كبّر رجل من أصحابه ، فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( الله أكبر ، لِم كبّرت ؟ )). قال : رأيت النّخل. فقال له جماعة من أصحابه : والله ، إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط ! فقال لهم الحسين (عليه‌السلام) : (( فما ترونه ؟ )). قالوا : نراه والله أسنّة الرماح وآذان الخيل. قال (عليه‌السلام) : (( وأنا والله أرى ذلك )). ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم بوجه واحد ؟ )). فقالوا له : بلى ، هذا هو ذو حُسُم(1) إلى جنبك فمل إليه عن يسارك ، فإنْ سبقتَ إليه فهو كما تريد. فأخذ إليه ذات اليسار ومِلنا معه ، فما كان بأسرع من أنْ طلعت علينا هوادي(2) الخيل فتبينّاها وعدلنا ، فلمّا رأونا عدلنا عن الطريق ، عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب(3) ، وكأنّ راياتهم

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) بحاء وسين مهملتين مضمومتين وميم : جبل كان النّعمان يصطاد فيه ، وفيه يقول مهلهل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألَيْلتَنَا بذِي حُسُمٍ أنيري  |  | إذا أنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري  |

(2) جمع هادي : وهو العنق.

(3) جمع يعسوب : وهو أمير النّحل وذكرها ، وضرب من الحجلان ، وطائر صغير. - المؤلّف -

أجنحة الطير ، فاستبقنا إلى ذي حُسُم فسبقناهم إليه ، وأمر الحسين (عليه‌السلام) بأبنيته فضُربت.

وجاء القوم زهاء(1) ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين (عليه‌السلام) في حَرّ الظهيرة ، والحسين (عليه‌السلام) وأصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم ، فقال الحسين (عليه‌السلام) لفتيانه : (( اسقوا القوم وأرووهم من الماء ، وارشفوا الخيل ترشيفاً )) : أي اسقوها قليلاً. فأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس ، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه وسقوا آخر حتّى سقوها عن آخرها.

قال علي بن الطعّان المحاربي : كنت مع الحرّ يؤمئذ فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه ، فلمّا رأى الحسين (عليه‌السلام) ما بي وبفرسي من العطش ، قال : (( أنخ الراوية )) : والراوية عندي السّقاء. ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يابن الأخ ، أنخ الجمل )). فأنخته(2) ، فقال (عليه‌السلام) : (( اشرب )). فجعلت كلمّا شربت سال الماء من السّقاء ، فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( اخنث السّقاء )) : أي اعطفه. فلم أدر كيف أفعل ، فقام (عليه‌السلام) فخنثه بيده فشربت وسقيت فرسي.

أقول : إنّ هذا لهو غاية الجود ونهاية الكرم ؛ أنْ يسقي الحسين (عليه‌السلام) أعداءه الذين جاؤوا لمحاربته وهم مقدار ألف فارس ، فسقاهم الماء مع خيولهم في تلك الأرض القفراء التي لا ماء فيها ولا كلأ ! ولا عجب إذا صدر مثل هذا الجود من الحسين (عليه‌السلام) ، وهو معدن الجود والكرم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هو البحرُ منْ أيِّ النّواحي أتيتُهُ  |  | فلجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ  |
| ولَو لَمْ يكنْ في كفِّهِ غيرُ نفسِهِ  |  | لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ  |

ولكن بئسما جزى هؤلاء القوم الحسين (عليه‌السلام) عن سقيه إياهم الماء وإيثارهم على نفسه ! فقد كان جزاؤهم منهم أنْ حالوا بينه وبين الماء ، ووضعوا أربعة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) أي قدر.

(2) الراوية في لسان أهل الحجاز : اسم للجمل الذي يستقى عليه ، وفي لسان العراق : اسم للسقاء الذي فيه الماء ؛ لذلك لَمْ يفهم مراد الحسين (عليه‌السلام) حتّى قال (عليه‌السلام) : (( أنخ الجمل )). - المؤلّف -

آلاف على المشرعة ، ومنعوه وأصحابه وعياله وأطفاله أنْ يستقوا من الماء قطرة واحدة ، وذلك قبل قتله (عليه‌السلام) بثلاثة أيّام.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بأبي وغيرِ أبي أميراً ظامياً  |  | منعتْهُ حربٌ منْ ورودِ فُراتِها  |
| حتّى قضى عَطشاً قتيلَ أراذلٍ  |  | تستحقرُ الشفتانِ ذمَّ صفاتِها  |

المجلس الأربعون

لـمّا التقى الحُرّ مع الحسين (عليه‌السلام) ، قال له الحسين (عليه‌السلام) : (( ألَنا أم علينا ؟ )). فقال : بل عليك يا أبا عبد الله. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم )). فلم يزل الحُرّ مواقفاً للحسين (عليه‌السلام) حتّى حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين (عليه‌السلام) الحجّاج بن مسروق أنْ يؤذّن ، فلمّا حضرت الإقامة ، خرج الحسين (عليه‌السلام) في إزار ورداء ونعلين ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : (( أيّها النّاس ، إنّها معذرة إلى الله وإليكم ، إنّي لمْ آتكم حتّى أتتني كتبكم وقدمتْ عليّ رسلُكم : أنْ اقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ. فإنْ كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فاعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم ، وإنْ لمْ تفعلوا ، وكنتم لقدومي كارهين ، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم )). فسكتوا، فقال (عليه‌السلام) للمؤذّن : (( أقمْ )). فأقام الصّلاة ، فقال (عليه‌السلام) للحُرّ : (( أتريد أنْ تصلّي بأصحابك ؟ )). قال : لا ، بل تُصلّي أنت ونصلّي بصلاتك. فصلّى بهم الحسين (عليه‌السلام).

فلمّا كان وقت العصر ، أمر الحسين (عليه‌السلام) أنْ يتهيّؤوا للرحيل ففعلوا ، ثمّ أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام ، فاستقدم الحسين(عليه‌السلام) وقام فصلّى ثمّ سلّم وانصرف إليهم بوجهه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : (( أمّا بعد ، أيّها النّاس ، فإنّكم إنْ تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله ، يكن أرضى لله عنكم ، ونحن أهل بيت محمّد أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسّائرين فيكم بالجور والعدوان ، وإنْ أبيتم إلّا الكراهيّة لنا والجهل بحقّنا ، وكان رأيكم

الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمتْ عليّ رُسُلكم ، انصرفت عنكم )). فقال له الحُرّ : أنا والله ، ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر. فقال الحسين (عليه‌السلام) لبعض أصحابه : (( يا عقبة بن سمعان(1) ، اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ )). فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه ، فقال له الحُرّ : إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد اُمرنا إذا نحن لقيناك ، لا نفارقك حتّى نقدمك الكوفة على عبيد الله. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( الموت أدنى إليك من ذلك )). ثمّ قال لأصحابه : (( قوموا فاركبوا )). فركبوا وانتظر هو حتّى ركبت نساؤه.

بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله ! لمْ ترضَ أنْ تركب ولا أنْ تسير قدماً واحداً قبل ركوب النّساء، مع أنّ الذين يركبونهنّ مثل علي الأكبر والعبّاس بن أمير المؤمنين وسائر بني هاشم ! فياليتك لا غبت عن نسائك وأخواتك وبناتك يوم الحادي عشر من المحرّم حين جاؤوا إليهنّ بالجمال ، وليس معهنّ ولي ولا كافل غير ولدك زين العابدين (عليه‌السلام) - وهو مريض لا يستطيع النّهوض - وابن أخيك الحسن بن الحسن الذي كان مثخناً بالجراح وأطفال صغار ، وأظنّ أنّ المتولّية لذلك كانت اُختك زينب ، فهي التي ركّبت العليل والجريح والنّساء والأطفال ، وقامت في ذلك مقام الرجال حتّى لم يبقَ مَن يُركبها ، فركبت بنفسها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لـمَنْ السّبايا الـمُعْجلاتُ ضَجرنّ منْ  |  | إدلاجِ عجفٍ تشتكي عثراتِها  |
| اللهُ أكبرُ يا لهَا منْ وقْعَةٍ  |  | ذابتْ لها الأحشاءُ في حُرُقاتِها  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) هو مولى الرباب ابنة امرئ القيس الكلبيّة زوجة الحسين (عليه‌السلام) ، ولـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) أخذه عمر بن سعد فقال : مَن أنت ؟ فقال : أنا عبد مملوك. فخلّى سبيله. ولم ينجُ من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) غيره ، وغير رجل آخر ؛ ولذلك كان كثير من روايات الطفّ منقولاً عنه. - المؤلّف -

المجلس الواحد والأربعون

لـمّا التقى الحسين (عليه‌السلام) مع الحُرّ وأصحابه ، ومنعه الحُرّ من الرجوع ، قال الحُرّ : إنّي لمْ اُؤمر بقتالك ، إنّما اُمرت أنْ لا اُفارقك حتّى اُقدمك الكوفة ، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة حتّى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد.

فتياسر الحسين (عليه‌السلام) وسار والحُرّ يسايره ، فقال له الحُرّ : إنّي اُذكّرك الله في نفسك ، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلن. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( أفبالموت تخوفني ؟! وهل يعدو بكم الخطب أنْ تقتلوني ؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه ، وهو يريد نصرة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فخوّفه ابن عمّه وقال : أين تذهب ؟ فإنّك مقتول. فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سأمضي وما بالموتِ عارٌ على الفتَى  |  | إذا ما نوى حقّاً وجاهدَ مُسلمَا  |
| وواسى الرّجالَ الصّالحينَ بنفسِهِ  |  | وفارقَ مثبوراً وودّعَ مجرمَا  |
| اُقدّمُ نفسي لا اُريدُ بقاءَها  |  | لتلقَى خَميساً في الوغَى وعرمْرَمَا  |
| فإنْ عشتُ لمْ أندمْ وإنْ متُّ لمْ اُلَمْ  |  | كفَى بكَ ذلاّ ً أنْ تعيشَ وتُرغمَا  |

ولم يزل الحسين (عليه‌السلام) سائراً حتّى انتهوا إلى العذيب ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة لنصرة الحسين (عليه‌السلام) على رواحلهم ، وهم : عمرو بن خالد الصيداوي ، ومجمع العائذي ، وابنه عبد الله ، وجنادة بن الحارث السّلماني ، ويجنبون فرساً لنافع بن هلال الجملي يقال له : الكامل، قد اُرسل معهم. وقيل : أنّ نافعاً كان معهم ومعه فرسه ، ومعهم موليان لعمرو ، والحارث ، ودليل يقال له الطرمّاح بن عدي كان قد جاء إلى الكوفة يمتار لأهله طعاماً فسار بهم على غير الجادّة ، فأراد الحُرّ أنْ يعارضهم ، فمنعه الحسين (عليه‌السلام) من ذلك ، وقال لهم الحسين (عليه‌السلام) : (( هل لكم علم برسولي قيس بن مسهّر ؟ )). قالوا : نعم ، قتله ابن زياد. فترقرقت عينا الحسين (عليه‌السلام) ولم يملك دمعته ، ثمّ قال : ( مِنْهُم مّن قَضَى‏ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدّلُوا تَبْدِيلاً )(1).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

اللهمَّ ، اجعل لنا ولهم الجنّة نُزلاً ، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك )). وقال الحسين (عليه‌السلام) لأصحابه : (( هل فيكم أحد يعرف الطريق على غير الجادّة ؟ )). فقال الطرمّاح : نعم يابن رسول الله ، أنا أخبر الطريق. قال (عليه‌السلام) : (( سر بين أيدينا )). فسار الطرمّاح أمامهم ، وجعل يرتجز ويقول(1) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ناقَتِي لا تَذعَريْ منْ زجْري  |  | وامضِي بنا قبلَ طُلوعِ الفجْرِ  |
| بخيرِ فتيانٍ وخيرِ سَفْرِ  |  | آلِ رسولِ الله آلِ الفخْرِ  |
| السَّادةِ البيضِ الوجوهِ الزُّهرِ  |  | الطَّاعنينَ بالرّماحِ السُّمْرِ  |
| الضَّاربينَ بالسُّيوفِ البُترِ  |  | حتّى تحلِّي بكريمِ النَّجْرِ  |
| الماجدِ الجدِّ الرحيبِ الصَّدرِ  |  | أصابهُ اللهُ بخيرِ أمْرِ  |
| عمَّرهُ اللهُ بقاءَ الدَّهرِ  |  | يا مالكَ النَّفعِ معاً والضُّرِّ  |
| أيدْ حسيناً سيّدي بالنَّصرِ  |  | على الطُّغاةِ من بقايا الكفْرِ  |

ولم يزل الحسين (عليه‌السلام) سائراً حتّى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به ، ثمّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في بعض الروايات : إنّه لـمّا قارب الحسين (عليه‌السلام) مع أصحابه الأربعة جعل يحدو بهم ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ناقَتي لا تَذعَري منْ زَجْري  |  | وشمِّري قبلَ طُلوعِ الفجْرِ  |
| بخيرِ رُكبانٍ وخيرِ سَفْرِ  |  | حتّى تحلِّي بكريمِ النَّجْرِ  |
| الماجدِ الحُرِّ الرّحيبِ الصَّدرِ  |  | أتى به اللهُ لخيرِ أمرِ  |

ثمَّةَ أبقاهُ بقاءَالدَّهرِ

وقوله : ( حتّى تحلِّي بكريم النَّجْرِ ) يدلّ على أنّه قالها قبل ملاقاة الحسين (عليه‌السلام) ، فيمكن أنْ يكون أعادها ثانياً ، أو أعاد بعضها وزاد عليها ، ووقع اشتباه من الرواة فيها. ويمكن أنْ يكون قد زيد فيها من غيره ، والله أعلم. - المؤلّف -

ارتحل منه ليلاً.

قال عقبة بن سمعان : فخفق (عليه‌السلام) وهو على ظهر فرسه خفقة ، ثمّ انتبه وهو يقول : (( إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين )). ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً. فأقبل إليه ابنه علي الأكبر (عليهما‌السلام) فقال : يا أبة ، جُعلت فداك ! مِمَّ حمدت واسترجعت ؟ قال (عليه‌السلام) : (( يا بُني، إنّي خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم. فعلمتُ أنّها أنفسنا نُعيت إلينا )). فقال له : يا أبة ، لا أراك الله سوأً ، ألسنا على الحقّ ؟ قال (عليه‌السلام) : (( بلى ، والذي إليه مرجع العباد )). قال : إذاً لا نُبالي أنْ نموت محقّين. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفدي القرومَ الاُولَى سارتْ ركائبُهُمْ  |  | والموتُ خلفَهُمُ يسري على الأثرِ  |
| سلْ كرْبلا كَمْ حَوتْ منهُمْ بدورَ دُجىً  |  | كأنها فَلَكٌ للأنْجُمِ الزُّهرِ  |

المجلس الثاني والأربعون

لـمّا كان الحُرّ يساير الحسين (عليه‌السلام) ، لم يزل يسايره حتّى انتهوا إلى نينوى ، فجاء كتاب عبيد الله بن زياد إلى الحُرّ : أمّا بعد ، فجعجع بالحسين ( أي : ضيّق عليه ) ولا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء. فمنعهم الحُرّ وأصحابه من المسير ، وأخذهم بالنّزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( ألمْ تأمرْنا بالعدول عن الطريق ؟ )). قال : بلى ، ولكن كتاب الأمير عبيد الله قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك ، وقد جعل عليّ عيناً يطالبني بذلك. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( دعنا - ويحك - ننزل في هذه القرية أو هذه )) : يعني نينوى والغاضرية. فقال : لا أستطيع ، هذا رجل قد بعث عليّ عيناً. فقال زهير بن القَين للحسين (عليه‌السلام) : إنّي والله ، لا أرى أنْ يكون بعد الذي ترون إلّا أشدّ ممّا ترون يابن رسول الله. إنّ قتال هؤلاء السّاعة أهون علينا من قتال مَن يأتينا بعدهم ، فلعمري ليأتينا من

بعدهم ما لا قِبَل لنا به. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( ما كنتُ لأبدأهم بالقتال )). فقال له زهير: فسرْ بنا يابن رسول الله حتّى ننزل كربلاء ، فإنّها على شاطئ الفرات فنكون هناك ؛ فإنْ قاتلونا قاتلناهم واستعنّا الله عليهم.

قال : فدمعت عينا الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قال : (( اللهمَّ ، إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء )). ثم قام الحسين (عليه‌السلام) خطيباً في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : (( إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون ، وأنّ الدّنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ، واستمرّت حذّاءَ(1) ولم يبقَ منها إلّا صُبابة كصبابة الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به ، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ؟! ليرغب المؤمن في لقاء ربّه مُحقّاً ؛ فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين إلّا برما )).

فقام زهير بن القَين فقال : قد سمعنا - هداك الله يابن رسول الله - مقالتك ، ولو كانت الدّنيا لنا باقية ، وكنّا فيها مخلّدين ، لآثرنا النّهوض معك على الإقامة فيها. ووثب نافع بن الهلال الجملي ، فقال : مَن نكث عهده وخلع بيعته فلنْ يضرّ إلّا نفسه ، والله مغنٍ عنه. فسر بنا راشداً معافىً ، مشرّقاً إنْ شئتَ وإنْ شئتَ مغرّباً ، فوالله ، ما أشفقنا من قَدر الله ، ولا كرهنا لقاء ربّنا ، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي مَن والاك ونعادي من عاداك. وقام برير بن خضير ، فقال : والله ، يابن رسول الله ، لقد مَنّ الله بك علينا ؛ أنْ نُقاتل بين يديك وتُقطّع فيك أعضاؤنا ، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة.

ثم إنّ الحسين (عليه‌السلام) قام وركب ، وكلمّا أراد المسير ، يمنعونه تارة ويسايرونه اُخرى حتّى بلغ كربلاء في اليوم الثاني من المحرّم ، فلمّا وصلها ، قال : (( ما اسم هذه الأرض ؟ )). فقيل : كربلاء. فقال : (( اللهمَّ ، إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء )). ثمّ أقبل على أصحابه

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) الحذّاء ، بالحاء المهملة والذال المعجمة المشدّدة : النّاقة الخفيفة الذنب ، أو السّريعة الخفيفة ، أو السّريعة الماضية التي لا يتعلّق بها شيء ، أو الرحم التي لمْ تُوصل. فمعنى استمرّت حذّاء : أي لم يبقَ منها إلاّ مثل ذنب الأحذ ، أو حذّاء : سريعة الإدبار ، أو سريعة خفيفة ، أو قد انقطع آخرها كالرحم المقطوعة. - المؤلّف -

فقال : (( النّاس عبيد الدّنيا ، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم ، فإذا مُحّصوا بالبلاء ، قلّ الديّانون )). ثمّ قال : (( أهذه كربلاء ؟ )). قالوا : نعم ، يابن رسول الله. فقال: (( هذا موضع كرب وبلاء. انزلوا ، هاهنا مناخ ركابنا ، ومحطّ رحالنا ، ومقتل رجالنا ، ومسفك دمائنا )). فنزلوا جميعاً ، ونزل الحُرّ وأصحابه ناحية.

ثم إنّ الحسين (عليه‌السلام) جمع ولده وإخوته وأهل بيته ، فنظر إليهم ساعة ثمّ قال : (( اللهمَّ ، إنّا عترة نبيّك محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وقد اُزعجنا وطُردنا واُخرجنا عن حرم جدّنا ، وتعدت بنو اُميّة علينا. اللهمَّ ، فخُذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هي كربلاءُ فقفْ على عرَصاتِها  |  | ودَعْ الجفونَ تسحُّ في عَبراتِها  |
| سلْها بأيِّ قِرىً تعاجلتْ الاُولَى  |  | نزلُوا ضُيوفاً عند قفرِ فلاتِها  |
| ما بالُها لمْ تَروِهمْ من مائِها  |  | حتّى تروَّتْ منْ دِما رَقَباتِها  |

المجلس الثالث والأربعون

لـمّا نزل الحسين بأرض كربلاء ، دعا جوناً مولى أبي ذر الغفاري ، فجعل جون يصلح له سيفه استعداداً للحرب ، والحسين (عليه‌السلام) يقول(1) :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا دهرُ اُفٍّ لك منْ خليلِ  |  | كمْ لك بالإشراقِ والأصيلِ  |
| مِن طالبٍ وصاحبٍ قتيلِ  |  | والدَّهرُ لا يقنعُ بالبديلِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) في بعض الروايات : أنّ الحسين (عليه‌السلام) جلس يصلح سيفه ويقول هذه الأبيات ، وفي رواية اُخرى : أنّ الـمُصلح للسيف هو جون ، وهو الأقرب إلى الاعتبار ؛ فإنّ موالي الحسين (عليه‌السلام) وخدمه لم يكونوا ليدعوه يصلح سيفه ويعالجه بيده وهم ينظرون ، والرواية الاُولى اشتباه من قول الراوي : وعنده جون وهو يصلح سيفه ؛ فلذاك اعتمدنا على الرواية الثانية. - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي  |  | ما أقربَ الوعدَ من الرحيلِ  |

وإنَّما الأمرُ إلى الجليلِ

فسمعت اُخته زينب بنت فاطمة (عليهما‌السلام) ذلك ، فقالت : يا أخي ، هذا كلام مَن أيقن بالقتل ! فقال (عليه‌السلام) : (( نعم يا اُختاه )). فقالت زينب : وآ ثكلاه ! ينعى الحسين إليَّ نفسه! وبكت النّسوة ، وجعلت اُمّ كلثوم تنادي : وآ محمّداه ! وآ عليّاه ! وآ اُمّاه ! وآ أخاه ! وآ حسيناه ! وآضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله ! فعزّاها الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قال : (( يا اُختاه يا اُمّ كلثوم ، وأنت يا زينب ، وأنت يا فاطمة ، وأنت يا رباب ، انظرن إذا أنا قُتلت ، فلا تشققن عليّ جيباً ، ولا تخمشن عليّ وجهاً ، ولا تقلن هجراً )).

وفي رواية عن زين العابدين (عليه‌السلام) : أنّ الحسين (عليه‌السلام) قال هذه الأبيات عشيّة اليوم التاسع من المحرّم.

قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( إنّي جالس في تلك الليلة التي قُتل أبي في صبيحتها ، وعندي عمّتي زينب تمرّضني ، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي ينشد تلك الأبيات ، فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها وعرفت ما أراد ، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت ، وعلمت أنّ البلاء قد نزل. وأمّا عمّتي ، فإنّها لـمّا سمعتْ ما سمعتُ - وهي امرأة ، ومن شأن النّساء الرقّة والجزع - لم تملك نفسها أنْ وثبتْ تجرّ ثوبها حتّى انتهت إليه ، و نادت : وآ ثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت اُمّي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن ، يا خليفة الماضي وثمال الباقي ! فنظر إليها الحسين (عليه‌السلام) ، وقال : يا اُخيّه ، لا يذهبنّ حلمك الشيطان. فقالت : بأبي واُمّي ! أتستقل ؟! نفسي لك الفداء. فردت عليه غصّته ، وترقرقت عيناه بالدموع ، ثمّ قال : لو تُرك القطا ليلاً لنام. فقالت : يا ويلتاه ! أفتغتصب نفسك اغتصاباً ، فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي ؟! وخرّت مغشيّة عليها ، فقام إليها الحسين (عليه‌السلام) فصبّ على وجهها الماء حتّى أفاقت ، فقال لها الحسين (عليه‌السلام) : يا اُختاه ، تعزَّي بعزاء الله ؛ فإنّ سكّان السّماوات يفنون ، وأهل الأرض كلّهم يموتون ، وجميع البريّة يهلكون ، وكلّ شيء هالكٌ إلّا وجهه الذي خلق بقدرته ، ويبعث

الخلق ويعيدهم وهو فرد وحده. جدّي خيرٌ منّي ، وأبي خيرٌ منّي ، واُمّي خيرٌ منّي ، وأخي خيرٌ منّي ، و لي ولكلّ مسلم برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) اُسوة. ثمّ قال لها : يا اُختاه ، إنّي أقسمت عليك فأبرّي قسمي ، لا تشقّي عليّ جيباً ، ولا تخمشي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُختُ يا زينبُ اُوْ  |  | صيكِ وصايَا فاسمعي  |
| إنّنيْ في هذهِ الْـ  |  | أرضِ مُلاقٍ مصرعي  |
| فانظُمي حالَ اليتامَى  |  | بعد فقْدي واجمَعي  |
| واصْبري فالصَّبرُ منْ  |  | خيمِ كرامِ الـمَنزعِ  |
| كلُّ حيٍّ سيُنَحْـ  |  | ـحِيهِ عن الأحياءِ حَينْ  |
| واجمَعي شملَ اليتامَى  |  | بعدَ فقدي وانظُمِي  |
| أطْعمِي مَن جاعَ منهُمْ  |  | ثمّ روِّي مَن ظَمِي  |
| واعلَمِي أنيَ فيْ  |  | حفظِهمُ طُلَّ دمِي  |
| ليتَني بينهُمُ  |  | كالأنفِ بين الحاجبَينْ  |

المجلس الرابع والأربعون

لـمّا بلغ عبيد الله بن زياد نزول الحسين (عليه‌السلام) بكربلاء ، ندب عمر بن سعد بن أبي وقّاص لقتاله ، وكان قد ولاّه الرَّي ، فاستعفاه من قتال الحسين (عليه‌السلام) ، فقال : نعم ، على أنْ تردَّ علينا عهدنا بولاية الرَّي. فشاور عمر نُصحاءه فنهوه عن ذلك ، فلمْ يقبل واختار الدّنيا على الآخرة.

وسار ابن سعد لقتال الحسين (عليه‌السلام) ومعه أربعة آلاف ، وما زال ابن زياد يمدّه بالعساكر حتّى تكمّل عنده عشرون ألف فارس لستِّ ليال خلون من المحرّم ، وأتبعه ببقيّة العسكر فكمُل عنده ثلاثون ألفاً ، وأرسل ابن سعد إلى الحسين (عليه‌السلام) رسولاً يسأله ما الذي جاء به ، فقال

له الحسين (عليه‌السلام) : (( كتب إليّ أهل مصركم هذا أنْ اقدم ، فأمّا إذا كرهتموني ، فإنّي أنصرف عنكم )). فانصرف إلى ابن سعد فأخبره ، فقال : أرجو أنْ يعافيني الله من أمره. وكتب إلى ابن زياد بذلك ، فلمّا قرأ الكتاب قال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الآنَ إذْ عَلَقتْ مخالبُنا بهِ  |  | يرجُو النَّجاةَ ولاتَ حينَ مناصِ  |

ثم كتب إلى ابن سعد : أنْ أعرض على الحسين أنْ يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه ، فإذا هو فعل ذلك رأينا رأْينا. فقال ابن سعد : قد خشيتُ أنْ لا يقبل ابن زياد العافية.

وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد : أنْ حِل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، فلا يذوقوا منه قطرة كما صُنع بالتقي الزكي عثمان بن عفّان. فبعث عمر في الوقت عمرو بن الحجّاج الزبيدي في خمسمئة فارس فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه وبين الماء ، فمنعوهم أنْ يستقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين (عليه‌السلام) بثلاثة أيام.

وجاء تميم بن الحُصين الفزاري ، فنادى : يا حسين ، ويا أصحاب الحسين ، أما ترون ماء الفرات يلوح كأنّه بطون الحيّات ؟ والله ، لا ذقتم منه قطرة حتّى تذوقوا الموت جرعاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| منعوهُ منْ ماءِ الفراتِ ووردِهِ  |  | وأبوهُ ساقِي الحوْضِ يومَ جزاءِ  |
| حتّى قضَى عَطشاً كما اشتَهتْ العِدى  |  | بأكفِّ لا صِيدٍ ولا أكفاءِ  |

المجلس الخامس والأربعون

لـمّا ضيّق القوم على الحسين (عليه‌السلام) حتّى نال منه العطش ومن أصحابه ، قال له برير بن خضير الهمداني : يابن رسول الله ، أتأذن لي أنْ أخرج إلى القوم ؟ فأذن له فخرج إليهم ، فقال : يا معشر النّاس ، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السّواد وكلابه ، وقد حيل بينه وبين ابنه. فقالوا : يا برير ، قد أكثرت الكلام فاكفف ، والله ،

ليعطش الحسين كما عطش مَن كان قبله. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( اقعد يا برير )). ثمّ وثب الحسين (عليه‌السلام) متوكّئاً على قائم سيفه ، ونادى بأعلى صوته فقال : (( اُنشدكم الله ، هل تعرفونني ؟ )). قالوا : نعم ، أنت ابن رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وسبطه. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ اُمّي فاطمة بنت محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ أبي علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أول نساء هذه الاُمّة إسلاماً ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ سيّد الشهداء حمزة عمّ أبي ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ الطيّار في الجنّة عمّي ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( فاُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنا متقلّده ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله أنا لابسها ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( اُنشدكم الله ، هل تعلمون أنّ عليّاً أول القوم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً ، وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة ؟ )). قالوا : اللهمَّ نعم. قال : (( فبِمَ تستحلّون دمي وأبي الذائد عن الحوض ، يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصاد(1) عن الماء ، ولواء الحمد في يد أبي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قال الزمخشري في الفائق : قال النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لعلي (عليه‌السلام) : (( أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة ، تذود عنه الرجال كما يُذاد البعير الصاد )).

الصاد ( بلفظ حرف الهجاء ) : أصله الصَّيد ( بكسر الياء ) فقُلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها : وهو الذي به داء الصَّيد ، وهو داءٌ يأخذ في رأس البعير لا يقدر منه أنْ يلوي عُنقه وبه شُبّه المتكبّر ، فقيل : أصيد - كذا يُفهَم من الفائق -. قال : ويجوز أنْ يروى بكسر الدال ويكون فاعلاً من الصدى ، وهو العطش – اهـ -.

وفيه : أنّ الصَّادي لا يُذاد عن الماء عادة بل يُسقى ، وفي القاموس : الصاد والصَّيد ( بالكسر ويحرّك ) : داء يصيب الإبل فتسيل اُنوفها فتسمو برأسها. وبعير صاد : أي ذو صاد ، والصَّاد : عرق بين عينَي البعير ومنه يصيبه الصَّيد – اهـ - وإنّما يُذاد لئلاّ يعدي غيره ، أو لأنّ الماء يضرّه. وبعض يقولها : الصادر ، وهو خطأ مخالف للرواية مع أنّ الصادر لا يحتاج إلى الذياد. - المؤلّف -

يوم القيامة ؟! )). قالوا : علمنا ذلك كلّه ، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عطشاً.

فلمّا خطب هذه الخطبة وسمعت بناته واُخته زينب كلامه ، بكين وارتفعت أصواتهن ، فوجّه إليهنّ أخاه العبّاس وعليّاً ابنه ، وقال لهما : (( سكّتاهن ، فلعمري ليكثرن بكاؤهن )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يرى الفُراتَ ولا يحْظَى بموردِهِ  |  | ليتَ الفراتَ غدا منْ بعدهِ يَبسَا  |
| تحوطُهُ من بني عدنانَ أغلمةٌ  |  | بيضُ الوجوهِ كرامٌ سادةٌ رُؤسا  |

المجلس السّادس والأربعون

لـمّا رأى الحسين (عليه‌السلام) نزول العسكر مع عمر بن سعد بنينوى ومددهم لقتاله ، أنفذ إلى عمر بن سعد : (( إنّي اُريد أنْ ألقاك ليلاً )). فاجتمعا ليلاً بين العسكرين وتناجيا طويلاً ، ثمّ كتب عمر إلى ابن زياد : أمّا بعد ، فإنّ الله تعالى قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الاُمّة ؛ هذا الحسين قد أعطاني أنْ يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أنْ يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أنْ يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لك رضىً وللاُمّة صلاح.

وعن عقبة بن سمعان أنّه قال : والله ، ما أعطاهم الحسين (عليه‌السلام) أنْ يضع يده في يد يزيد ، ولا أنْ يسير إلى ثغر من الثغور ، ولكنّه قال : (( دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ، أو أذهب في هذه الأرض العريضة )).

فلمّا قرأ ابن زياد الكتاب ، قال : هذا كتاب ناصح لأميره ، مشفق على قومه. فقام شمر(1) بن ذي الجوشن وقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ؟! والله ، لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) شَمِرْ كـ ( كَتِفْ ) ، والعامّة تلفظ بالكسر فالسكون ، والظاهر أنّه غلط. - المؤلّف -

يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز ، ولكن لينزل على حُكمك هو وأصحابه ، فإنْ عاقبت فأنت أولى بالعقوبة ، وإنْ عفوت كان ذلك لك. فقال له ابن زياد : نِعم ما رأيت ! الرأي رأيك ، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النّزول على حكمي ، فإذا فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً ، وإنْ أبوا فليقاتلهم ، فإنْ فعل فاسمع له وأطع ، وإنْ أبى فأنت أمير الجيش ، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكتب إلى ابن سعد : إنّي لم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنّيه السّلامة والبقاء ، ولا لتعتذر عنه ، ولا لتكون له عندي شافعاً ، انظر فإنْ نزل الحسين وأصحابه على حُكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سِلماً ، وإنْ أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتُمثّل بهم ؛ فإنّهم لذلك مُستحقّون. فإنْ قتلت الحسين فأوطئ بالخيل صدره وظهره ؛ فإنّه عاقّ شاقّ ظلوم ، ولستُ أرى أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئاً ، ولكن عليّ قولٌ قد قلتُه : لو قد قتلتُه لفعلتُ هذا به. فإنْ أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السّامع المطيع ، وإنْ أبيت فاعتزل عملنا وجُندنا ، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر ، فإنّا قد أمّرناه بأمرنا ، والسّلام.

فلمّا قرأ ابن سعد الكتاب ، قال له : ما لك ويلك ! لا قرّب الله دارك ، وقبّح الله ما قدمت به عليّ. والله ، إنّي لأظنّك أنت الذي نهيته أنْ يقبل ما كتبتُ به إليه ، وأفسدت علينا أمراً كنّا قد رجونا أنْ يصلح. لا يستسلم والله ، حسين ؛ إنّ نفس أبيه لَبين جنبيه. فقال له شمر : أخبرني بما أنت صانع ، أتمضي لأمر أميرك وتُقاتل عدوّه ، وإلّا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر ؟ قال : لا ، ولا كرامة لك ، ولكن أنا أتولّى ذلك دونك ، فكُنْ أنت على الرجّالة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سامَوهُ أنْ يردَ الهوانَ أو المنيـ  |  | ـيَة والمسوَّدُ لا يكون مَسودَا  |
| فانصاعَ لا يعْبَأ بهمْ عن عدّةٍ  |  | كثُرتْ عليه ولا يخافُ عديدَا  |

\* \* \*

المجلس السّابع والأربعون

لـمّا كان اليوم التاسع من المحرّم ، جاء شمر حتّى وقف على أصحاب الحسين (عليه‌السلام) فقال : أين بنو اُختنا ؟ يعني العبّاس وجعفر وعبد الله وعثمان أبناء علي (عليه‌السلام). فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( أجيبوه وإنْ كان فاسقاً ؛ فإنّه بعضُ أخوالكم )) : وذلك إنّ اُمّهم كانت من عشيرته. فقالوا له : ما تريد ؟ فقال لهم : أنتم يا بني اُختي آمنون ، فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين ، والزموا طاعة يزيد. فقالوا له : لعنك الله ولعن أمانك ، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟!

وفي رواية : فناداه العبّاس بن أمير المؤمنين (عليهما‌السلام) : تبّت يداك ولُعن ما جئتنا به من أمانك يا عدوّ الله ، أتأمرنا أنْ نترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة ، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء ؟! فرجع شمر إلى عسكره مغضباً.

ثم نادى عمر بن سعد : يا خيل الله اركبي وبالجنّة أبشري. فركب النّاس خيولهم ، ثمّ زحف نحوهم بعد العصر ، والحسين (عليه‌السلام) جالس أمام بيته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبته ، فسمعت اُخته زينب الضجّة ، فدنت من أخيها ، فقالت : يا أخي ، أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت ؟ فرفع الحسين (عليه‌السلام) رأسه ، فقال : (( إنّي رأيت السّاعة جدّي محمّداً وأبي علياً واُمّي فاطمة وأخي الحسن ، وهم يقولون : يا حسين إنّك رائح إلينا عن قريب )).

وقال له العبّاس : يا أخي ، أتاك القوم. فنهض ثمّ قال (عليه‌السلام) : (( يا عبّاس ، اركب بنفسك أنت حتّى تلقاهم وتقول لهم : ما بالكم ؟ وما بدا لكم ؟ )). فأتاهم في نحو عشرين فارساً فيهم زهير بن القَين وحبيب بن مظاهر ، فسألهم فقالوا : قد جاء أمر الأمير أنْ نعرض عليكم أنْ تنزلوا على حكمه أو نناجزكم. قال : فلا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم. فلمّا أخبره العبّاس بقولهم ، قال له : (( ارجع إليهم ، فإنْ استطعت أنْ تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشيّة لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره ؛ فهو يعلم أنّي كنت اُحبّ الصّلاة له ، وتلاوة كتابه ، وكثرة

الدعاء والإستغفار )). فسألهم العبّاس ذلك ، فتوقّف ابن سعد ، فقال له عمر بن الحجّاج الزبيدي : سبحان الله ! والله ، لو أنّهم من التُرك أو الدّيلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم ، فكيف وهم آل محمّد ! فأجابوهم لذلك.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وفتيةٍ منْ رجالِ اللهِ قدْ صَبَروا  |  | على الجلادِ وعانَوا كلَّ محذورِ  |
| حتّى تراءتْ لهُمْ عدنٌ بزينتِها  |  | مآتماً كُنَّ عُرْسَ الخُرَّدِ الحُورِ  |

المجلس الثامن والأربعون

لـمّا كانت ليلة العاشر من المحرّم ، جمع الحسين أصحابه عند قرب المساء ، قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم - وأنا إذ ذاك مريض - فسمعت أبي يقول لأصحابه : أثني على الله أحسن الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء. اللهمَّ ، إنّي أحمدك على أنْ أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقّهتنا في الدّين ، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا لك من الشاكرين. أمّا بعد ، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عنّي خيراً ، ألا وإنّي لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء القوم ، ألا وإنّي قد أذنتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ، وليأخذ كلّ واحدٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي وتفرّقوا في سواد هذا الليل ، وذروني وهؤلاء القوم ؛ فإنّهم لا يريدون غيري )).

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر : ولِم نفعل ذلك ؟! لنبقى بعدك ! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن أمير المؤمنين وأتبعه الجماعة عليه فتكلّموا بمثله ونحوه.

ثم نظر إلى بني عقيل ، فقال : (( حسبُكم من القتل بصاحبكم مسلم ، اذهبوا فقد أذنتُ لكم )). قالوا : سبحان الله ! فما يقول النّاس لنا وماذا نقول لهم ؟! إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولمْ نرمِ معهم بسهم ، ولمْ نطعن

معهم برُمح ، ولمْ نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ! لا والله ، ما نفعل ، ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ، ونُقاتل معك حتّى نرد موردك ، فقبّح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي ، فقال : أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدوّ ؟! وبِم نعتذر إلى الله في أداء حقّك ؟! لا والله ، لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتّى أكسر في صدورهم رمحي ، واُضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لمْ يكن معي سلاح اُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ، ولمْ اُفارقك أو أموت معك. وقام سعيد بن عبد الله الحنفي ، فقال : لا والله يابن رسول الله ، لا نخلّيك أبداً حتّى يعلم الله أنّا حفظنا فيك وصيّة رسوله محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله). والله ، لو علمت أنّي اُقتل فيك ثمّ اُحيا ، ثمّ اُحرق حيّاً ثمّ اُذرّى ، يُفعل فيَّ ذلك سبعين مرّة ، ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك ، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ، ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً ؟! وقام زهير بن القَين ، وقال : والله يابن رسول الله ، لوددت أنّي قُتلت ثمّ نُشرت ألف مرّة وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هولاء الفتيان من إخوانك وولدك وأهل بيتك. وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً ، وقالوا : أنفسنا لك الفداء ! نقيك بأيدينا ووجوهنا ، فإذا نحن قُتلنا بين يديك ، نكون قد وفّينا لربّنا وقضينا ما علينا.

ووصل خبر إلى محمّد بن بشير الحضرمي في تلك الحال بأنّ ابنه قد اُسر بثغر الرّي ، فقال : عند الله أحتسبه ونفسي ، ما كنتُ اُحبّ أنْ يُؤسر وأبقى بعده. فسمع الحسين (عليه‌السلام) قوله ، فقال : (( رحمك الله ، أنت في حلّ من بيعتي ، فاعمل في فكاك ابنك )). فقال : أكلتني السّباع حيّاً إنْ فارقتك. قال : (( فأعطِ ابنك هذا هذه الأثواب البُرود يستعين بها في فداء أخيه )). فأعطاه خمسة أثواب بُرود قيمتها ألف دينار ، فحملها مع ولده.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبتْ الحميّةُ أنْ تُفارقَ أهلَهَا  |  | وأبَى العزيزُ بأنْ يعيشَ ذليلا  |

وأقام الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه الليل كلّه وهم يصلّون ويستغفرون ، ويدعون ويتضرّعون ، وباتوا ولهم دويّ كدويّ النّحل ما بين راكع وساجد ، وقائم وقاعد.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سمةُ العبيدِ من الخشوعِ عليهمُ  |  | لله إنْ ضمّتْهُمُ الأسحارُ  |
| فإذا ترجّلتِ الضُّحى شَهدتْ لهُمْ  |  | بيضُ القواضبِ أنّهمْ أحرارُ  |

فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً ، فلمّا كان وقت السّحر خفق الحسين (عليه‌السلام) برأسه خفقة ثمّ استيقظ ، فقال : (( رأيت كأنّ كلاباً قد شهدت لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليّ ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قَتلي رجل أبرص. ثمّ إنّي رأيت جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول : يا بُني ، أنت شهيد آل محمّد ، وقد استبشر بك أهل السّماوات وأهل الصفيح الأعلى... ))(1).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إيهٍ مصارعَ كربلا كَمْ غصّةٍ  |  | جرّعتِ آلَ محمّد كُرُباتها  |
| وافتْكِ رايةُ سِبطهِ منشورةً  |  | فطويتِها وحَطَمتِ صدرَ قناتِها  |

المجلس التاسع والأربعون

لـمّا أصبح الحسين (عليه‌السلام) يوم عاشوراء ، عبّأ أصحابه للقتال ، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً ، فجعل زهير بن القَين في الميمنة ، وحبيب بن مظاهر في الميسرة ، وأعطى الراية العبّاس أخاه ، وأمر الحسين (عليه‌السلام) بفسطاط فضُرب ، وأمر بجفنة فيها مسك كثير وجعل عندها نورة ، ثمّ دخل ليطلي.

فروي أنّ بُرير بن خضير الهمداني وعبد الرحمن بن عبد ربّه الأنصاري وقفا على باب

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) اذا وجد القارئ المجال متّسعاً ، وأراد أنْ يضمّ إلى هذا المجلس ما تقدّم في المجلس الثالث والأربعين من قوله : ( قال علي بن الحسين (عليه‌السلام) : إنّي لجالس... إلى آخره ) فلا مانع. وإذا وصل إلى قوله : ( وأبي ينشد تلك الأبيات ) ، فليقل بَدَله : ( وأبي يقول : يا دهرُ أفٍّ لك منْ خليلِ ) إلى آخر الأبيات والحديث. - المؤلّف -

الفسطاط ليطليا بعده ، فجعل بُرير يُضاحك عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن : يا بُرير ، ما هذه ساعة باطل ! فقال بُرير : لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شابّا ، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه.

قال علي بن الحسين (عليه‌السلام) : (( لـمّا صبحت الخيل الحسين (عليه‌السلام) ، رفع يديه وقال : اللهمَّ ، أنت ثقتي في كلّ كرب ، وأنت رجائي في كلّ شدّة ، وأنت لي في كلّ أمر نزلَ بي ثقة وعدّة. كم من كرب يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصّديق ويشمت فيه العدوّ أنزلته بك وشكوتُه إليك ؛ رغبةً منّي إليك عمّن سواك ، ففرّجتَه عنّي و كشفتَه ، فأنت وليّ كلّ نعمة وصاحب كلّ حسَنَة ومُنتهى كلّ رغبة )).

وقُرّب إلى الحسين (عليه‌السلام) فرسه ، فاستوى عليه وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه ، وبين يديه بُرير بن خضير ، فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( كلّم القوم )). فتقدّم بُرير فقال : يا قوم ، اتّقوا الله فإنّ ثقل محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قد أصبح بين أظهركم ، هؤلاء ذرّيّته وعترته وبناته وحرمه ، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أنْ تصنعوه بهم ؟ فقالوا : نريد أنْ نمكّن منهم الأمير ابن زياد فيرى رأيه فيهم. فقال لهم برير : أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها ؟ يا ويلكم ! أدعوتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم ، حتّى إذا أتَوكم أسلمتموهم وحلأتموهم عن ماء الفرات ، بئس ما خلّفتم نبيّكم في ذرّيّته ! ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم ! فقال له نفر منهم : يا هذا ، ما ندري ما تقول.

وقال بُرير : الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة. اللهمَّ ، إنّي أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم. اللهمَّ ، ألقِ بأسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان. فجعل القوم يرمونه بالسّهام ، فرجع إلى ورائه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قسَتْ القلوبُ فلمْ تَملْ لهدايةٍ  |  | تبّاً لهاتيكَ القُلوبِ القاسيَهْ  |

\* \* \*

المجلس الخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء وزحف أهل الكوفة لقتال الحسين (عليه‌السلام) ، تقدّم الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف بإزاء القوم فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنّهم السّيل ، ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه وذكَره بما هو أهله ، وصلّى على النّبي محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وعلى الملائكته والأنبياء والرُّسل ، وقال ما لا يحصى كثرة ، فلم يُسمع متكلّم قط قبلَه ولا بعدَه أبلغ في المنطق منه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهُ منْ عليٍّ في الحُروبِ شَجاعةٌ  |  | ومنْ أحمدٍ عندَ الخِطابةِ قِيلُ  |

فكان ممّا قال : (( الحمد لله الذي خلق الدّنيا فجعلها دار فناء وزوال ، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال ، فالمغرور مَنْ غرّته والشقيّ مَنْ فتنته ، فلا تغرّنكم هذه الدّنيا ؛ فإنّها تقطع رجاء مَنْ ركن إليها وتخيب طمع مَنْ طمع فيها. وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم ، وأحلّ بكم نقمتة وجنّبكم رحمته ، فنعم الربّ ربّنا وبئس العبيد أنتم ! أقررتم بالطّاعة وآمنتم بالرسول محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيّته وعترته تريدون قتلهم ، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم ، فتبّاً لكم ولِما تريدون. إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم ، فبُعداً للقوم الظالمين )). فقال ابن سعد : ويلكم ! كلّموه فإنّه ابن أبيه. والله ، لَو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً ، لما انقطع ولما حصر.

فتقدّم شمر فقال : يا حسين ، ما هذا الذي تقول ؟ أفهمنا حتّى نفهم. فقال : (( أقول : اتّقوا الله ربّكم ولا تقتلوني ؛ فإنّه لا يحلّ لكم قتلي ولا انتهاك حرمتي ؛ فإنّي ابن بنت نبيّكم ، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم ، ولعلّه بلغكم قول نبيّكم : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة )). ثمّ قال : (( أمّا بعد ، فانسبوني وانظروا مَن أنا ، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك

حرمتي ؟ ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدّق برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وبما جاء من عند ربّه ؟! أوَليس حمزة سيّد الشّهداء عمّ أبي ؟! أوَليس جعفر الطيّار في الجنّة بجناحين عمّي ؟! أوَلمْ يبلغكم ما قال رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لي ولأخي : هذان سيّدا شباب أهل الجنّة ؟! فإنْ صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ ، والله ما تعمّدتُ كذباً مُذْ علمت أنّ الله يمقتُ عليه أهلَه ، وإنْ كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إذا سألتموه عن ذلك أخبركم ؛ سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد السّاعدي ، والبرّاء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي ؟ )).

فقال له شِمر بن ذي الجوشن : هو يعبد الله على حرف إنْ كان يدري ما تقول. فقال له حبيب بن مظاهر : والله ، إنّي لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً ، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول ، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين (عليه‌السلام) : (( فإنْ كنتم في شكّ من هذا ، أفتشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم ؟ فوالله ، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم. ويحكم ! أتطلبونني بقتيل منكم قتلتُه أو مال لكم استهلكتُه أو بقصاص من جراحة ؟! )). فأخذوا لا يكلّمونه ، فنادى : (( يا شبث بن ربعي ، ويا حجّار بن أبجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ : أنْ قد أينعت الثّمار واخضرّت الجنان وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة ؟ )). فقال له قيس بن الأشعث : ما ندري ما تقول ، ولكن انزل على حكم بني عمّك فإنّهم لنْ يروك إلّا ما تُحب. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( لا والله ، لا اُعطيكم بيدي إعطاء الذّليل ، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بأبي أبيّ الضّيمِ لا يُعطيْ العِدى  |  | حذَرَ المنيّةِ منه فضلَ قيادِ  |
| بأبي فريداً أسلمتْهُ يَدُ الرَّدى  |  | في دارِ غُربتهِ لجمعِ أعادي  |

\* \* \*

المجلس الواحد والخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء ركب الحسين (عليه‌السلام) ناقته - وقيل فرسه - وخرج إلى النّاس فاستنصتهم، فأبوا أنْ ينصتوا له حتّى قال لهم : (( ويلكم ! ما عليكم أنْ تنصتوا لي فتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم الى سبيل الرّشاد ، فمَن أطاعني كان من المرشدين ، ومَن عصاني كان من المهلكين ، وكلّكم عاصٍ لأمري غير مستمع قولي ، فقد مُلئتْ بطونُكم من الحرام وطُبع على قلوبكم. ويلكم ! ألا تنصتون ألا تسمعون )). فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا : انصتوا له.

فحمد الله وأثنى عليه وذكَرَه بما هو أهله ، وصلّى على محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وعلى الملائكة والأنبياء والرُّسل وأبلغ في المقال ، ثمّ قال : (( تبّاً لكم أيّتها الجماعة وتَرْحاً ! أحين استصرختُمونا وَالهين ، فأصرخناكُم مُوجِفين مُؤدِّين مُستعدِّين ، سللتُمْ علينا سيفاً لنا في أيمانِكم ، وحششتم علينا ناراً قَدحْناها على عدوِّكم وعدوِّنا ، فأصبحتم إلْباً على أوليائكُم ويداً عليهم لأعدائِكم ، بغير عدلٍ أفشَوه فيكمْ ، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم ، إلّا الحرامَ من الدّنيا أنالوكُمْ ، وخسيسُ عيشٍ طمعتُم فيه ، من غيرِ حَدثٍ كان مِنّا ، ولا رأيٍ تفيَّل(1) لنا.

فهلاّ - لكم الويلات - إذ كرهتمُونا وتركتمُونا ، تجهّزتُمُوها والسّيف مِشيَمٌ(2) ، والجأش(3) طامنٌ(4) ، والرأي لـمّا يُستَحصَف(5) ، ولكن أسرعتُم إليها كطَيرة الدِّبا(6) ، وتداعيتُم إليها كتداعي الفراش. فسُحقاً لكم يا عبيد طواغيت الاُمّة ، وشِذاذَ الأحزابِ ونَبَذةَ الكتاب ، ونفَثةَ الشّيطانِ وعُصبةَ الآثامِ ، ومُحرّفي الكتاب ومُطفئي السُّنّة ، وقَتَلةَ أولاد الأنبياءِ ومبيدي عترة الأوصياء ، ومُلحقي العِهار بالنَّسب ومؤذي المؤمنين ، وصُراخ أئمَّةِ المستهزئين الذين جعلوا

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تفيل الرأي : أخطأ وأضعف.

(2) مغمد.

(3) الجأش : القلب والفكر.

(4) ساكن مطمئن.

(5) يستحكم.

(6) الدَبا ( بفتح الدال وتخفيف الباء ) : الجراد الصغير. - المؤلّف -

القُرآن عضين ! ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون ! وأنتم ، ابن حرب وأشياعه تعضدون ، وعنّا تخاذلون ! أجل والله ، الخَذلُ فيكم معروفٌ ، وشجتْ عليه اُصولكم وتأزّرت عليه فروعُكم ، ونبتتْ عليه قلوبكم وغشيَتْ صدوركم ، فكنتُم أخبث ثمر شَجي للناظر وأكلة للغاصب ، ألا لعنة الله على النّاكثين الذين ينقضُون الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله هم.

ألا إنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد رَكزَ بين اثنتين ؛ بين السّلّة والذلّة ، وهيهات منّا الذلّة ! يأبى الله ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون ، وجدود طابت وحجور طهُرت ، واُنوف حميّة ونفوس أبيّة لا تُؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام ، ألا قد أعذَرتُ وأنذرتُ. ألا وإنّي زاحفٌ بهذه الاُسرة مع قلّة العدد وكثرة العدوّ وخذلان النّاصر )).

ثمّ وصل (عليه‌السلام) كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإنْ نهزَمْ فهزّامونَ قِدماً  |  | وإنْ نغلَبْ فغيرُ مغلّبينَا  |
| وما إنْ طبُّنا جُبنٌ ولكنْ  |  | منايانَا ودولةُ آخَرينَا  |
| إذا ما الموتُ رفّعَ عن اُناسٍ  |  | كلا كِلَهُ أناخَ بآخَرينا  |
| فأفنَى ذلكُمْ سَرواتِ قَومِي  |  | كمَا أفنَى القرونَ الأوّلينَا  |
| فلو خَلُد الملوكُ إذنْ خَلُدنا  |  | ولو بقيَ الكرامُ إذنْ بَقينا  |
| فقُلْ للشّامتينَ بنَا أفيقُوا  |  | سَيلقَى الشامتونَ كمَا لقينَا  |

ثم قال : (( أما والله ، لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدور بكم دور الرّحى ، وتُقلق بكم قلق المحور ،( فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُون )(1).( إِنّي تَوَكّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبّي وَرَبّكُم مَا مِن دَابّةٍ إِلّا هُوَ آخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنّ رَبّي عَلَى‏ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )(2) )).

ثم قال : (( ادعوا لي عمر بن سعد )). فدُعي له ، وكان كارهاً لا يحبّ أن يأتيه ، فقال (عليه‌السلام) : (( يا عمر ، أنت تقتلني وتزعم أنْ يولّيك الدّعي ابن الدّعي بلاد الرّي وجُرجان ؟! والله، لا تتهنّأ بذلك أبداً ، فاصنع ما أنت صانع فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة )). فاغتاظ ابن سعد من كلامه ، ثمّ صرف بوجهه عنه ، ونادى بأصحابه : ما

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة يونس / 71.

(2) سورة هود / 56.

تنظرون به ؟ احملوا بأجمعكم ، إنّما هي أكلة واحدة. ثمّ وضعَ سهماً في كَبَد قوسه فرمى به نحو عسكر الحسين (عليه‌السلام) ، وقال : اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول مَن رمى.

وأقلّت السّهام من القوم كأنّها القطر ، فلم يبق من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) أحد إلّا أصابه من سهامهم ، فقال الحسين (عليه‌السلام) لأصحابه : (( قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه ، فإنّ السّهام رُسُل القوم إليكم )). فاقتتلوا ساعة من النّهار حملة وحملة حتّى قُتل من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) جماعة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فأبَى أنْ يعيشَ إلّا عَزيزاً  |  | أو تَجلَّى الكِفاحُ وهو صَريعُ  |

المجلس الثاني والخمسون

لـمّا رأى الحُرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين (عليه‌السلام) ، قال لعمر بن سعد : أمقاتلٌ أنت هذا الرجل ؟ قال : إي والله ، قتالاً أيسرُه أنْ تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال : فما لكم فيما عرضه عليكم رضى ؟ قال : أما لو كان الأمر إليّ لفعلتُ ، ولكنّ أميرك قد أبى.

فأقبل الحُرّ حتّى وقف من النّاس موقفاً ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال له : يا قرة ، هل سقيت فرسك اليوم ؟ قال : لا. قال : فما تريد أنْ تسقيه ؟ قال قرة : فظننتُ والله أنّه يريد أنْ يتنحّى فلا يشهد القتال ، فكره أنْ أراه حين يصنع ذلك ، فقلتُ له : لمْ أسقه وأنا منطلق فأسقيه. فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه ، فوالله لو أطلعني على الذي يُريد لخرجتُ معه إلى الحسين (عليه‌السلام).

فأخذ الحُرّ يدنو من الحسين (عليه‌السلام) قليلاً قليلاً ، فقال له المهاجر بن أوس : ما تريد يابن يزيد؟ أتريد أنْ تحمل ؟ فلم يُجبه وأخذه مثل الأفكل ( وهي الرعدة ) ، فقال له المهاجر : إنّ أمرك لـمُريب ! والله ، ما رأيت منك في موقف قط مثل هذا ، ولو قيل لي مَن أشجع أهل الكوفة ؟ ما عدوتك ، فما هذا الذي أرى منك ؟ فقال الحُرّ : إنّي والله ، اُخيّر نفسي بين الجنّة والنّار ، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطِّعت

وحُرّقت. ثمّ ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين (عليه‌السلام) ويده على رأسه وهو يقول : اللهمَّ ، إليك اُنيب فتُبْ عليّ ، فقد أرعبتُ قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك. وقال للحسين (عليه‌السلام) : جُعلتُ فداك يابن رسول الله ، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتُك في الطريق وجعجعتُ بك في هذا المكان ، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَه عليهم ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة. والله ، لو علمتُ أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ، ما ركبتُ مثل الذي ركبت ، وإنّي قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربّي ، مواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك ، فهل ترى لي من توبة ؟ فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( نعم يتوب الله عليك فانزل )). قال : أنا فارساً خيرٌ منّي راجلاً ، اُقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النّزول يصير آخر أمري. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( فاصنع يرحمك الله ما بدا لك )).

فاستقدم أمام الحسين (عليه‌السلام) ، فقال : يا أهل الكوفة , لاُمّكم الهبل والعِبَر(1) ! أدعوتم هذا العبد الصالح حتّى إذا جاءكم أسلمتموه ! وزعمتم أنّكم قاتلوا أنفسكم دونه ثمّ عدوتم عليه لتقتلوه! وأمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كلّ جانب لتمنعوه التوجّه في بلاد الله العريضة ، فصار كالأسير في أيديكم ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرّاً ، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجاري ، فهاهم قد صرعهم العطش ، بئسما خلّفتم محمّداً في ذرّيّته! لا سقاكم الله يوم الظمأ.

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل ، فرجع حتّى وقف أمام الحسين (عليه‌السلام) وقال له : فإذا كنتُ أول مَن خرج عليك ، فاذَنْ لي أنْ أكون أول قتيل بين يديك ، لعلّي أكون ممَّن يُصافح جدّك محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) غداً في يوم القيامة. فحمل على أصحاب عمر بن سعد وهو يتمثّل بقول عنترة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما زِلتُ أرميْهمْ بغرّةِ وجْههِ  |  | ولبانهِ حتّى تَسرْبلَ بالدَّمِ  |

ثم جعل يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّي أنا الحُرّ ومأوَى الضَّيفِ  |  | أضربُ في أعناقِكُمْ بالسَّيفِ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) العِبَر ، بكسر العين وفتح الباء : جمع عَبْرة ، بفتح العين وسكون الباء ، وهي الحزن قبل خروج الدّمع. - المؤلّف -

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عنْ خيرِ مَنْ حلَّ بأرضِ الخيّفِ  |  | أضربُكُمْ ولا أرَى منْ حَيفِ  |

وقاتل قتالاً شديداً ، وهو يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّي أنا الحُرّ ونجلُ الحُرِّ  |  | أشجعُ منْ ذي لَبَدٍ هزبرِ  |
| ولستُ بالجبانِ عندَ الكرِّ  |  | لكنّني الوقّافُ عند الفرِّ  |

حتّى قتل ثمانية عشر رجلاً ، وفي رواية : نيفاً وأربعين رجلاً ، وكان يحمل هو وزهير بن القَين ، فإذا حمل أحدهما وغاص فيهم حمل الآخر حتّى يخلّصه ، ثمّ حملت الرجّالة على الحُرّ وتكاثروا عليه حتّى قتلوه ، فاحتمله أصحاب الحسين (عليه‌السلام) حتّى وضعوه بين يدَي الحسين (عليه‌السلام) وبه رَمَق ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : (( أنت الحُرّ كما سمّتك اُمّك ، حُرّ في الدّنيا والآخرة )).

وروي أنّه أتاه الحسين (عليه‌السلام) ودمُه يشخب ، فقال : (( بخ بخ لك يا حُرّ ، أنت حُرّ كما سُمّيت في الدّنيا والآخرة )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نَصرُوا ابنَ بنتِ نبيِّهمْ طُوبى لهُمْ  |  | نالُوا بنُصرتِهِ مراتبَ ساميهْ  |
| قدْ جاورُوهُ هاهُنا بقبورِهمْ  |  | وقصورُهمْ يومَ الجزا مُتحاذيهْ  |

المجلس الثالث والخمسون

لـمّا كان اليوم العاشر من المحرّم ، جعل أصحاب الحسين (عليه‌السلام) يبرز الواحد منهم بعد الواحد، فكانوا كما قيل فيهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قومٌ إذا نودوا لدفعِ مُلمَّةٍ  |  | والخيلُ بين مدعَّسٍ ومُكردسِ  |
| لبسُوا القلوبَ على الدّروعِ وأقبَلُوا  |  | يتهافتُونَ على ذهابِ الأنفسِ  |

فممَّن برز وهب بن حبّاب الكلبي ، وكانت معه اُمّه وزوجته ، فقالت اُمّه : قُم يا بُني فانصر ابن بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فقال : أفعل يا اُمّاه ولا اُقصّر. فَبرزَ وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سوفَ تَرَوني وتَرَونَ ضَرْبي  |  | وحملَتي وصولَتي في الحربِ  |
| أدركُ ثاري بعدَ ثارِ صحْبي  |  | وأدفعُ الكربَ أمامَ الكربِ  |

ليس جهادِي في الوغَى باللعْبِ

ثم حمل ولم يزل يُقاتل حتّى قتل جماعة ، ثمّ رجع إلى امرأته واُمّه وقال : يا اُمّاه ، أرضيت ؟ قالت : ما رضيت حتّى تُقتل بين يدَي الحسين (عليه‌السلام). فقالت امرأته : بالله عليك ، لا تفجعني بنفسك. فقالت اُمّه : يا بُني ، اعزُب عن قولها ، وارجع فقاتل بين يدَي ابن بنت نبيّك تنلْ شفاعة جدّه يوم القيامة. فرجع فلمْ يزل يُقاتل حتّى قُطعت يداه ، وأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول : فداك أبي واُمّي ! قاتل دون الطيّبين حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فأقبل كي يردّها إلى النّساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت : لنْ أعود دون أنْ أموت معك. فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( جُزيتم من أهل بيت خيراً ، ارجعي إلى النّساء رحمك الله )). فانصرفت إليهنّ ، ولم يزل الكلبي يقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه.

وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري - وكان له أخ اسمه علي مع عمر بن سعد في غاية العناد والشّقاق ، عكس أخيه هذا - فاستأذن عمرو الحسين (عليه‌السلام) ، فأذن له ، فبرز وهو يرتجز ويقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قدْ عَلمتْ كَتيبةُ الأنصارِ  |  | أنّيْ سأحمِي حوزةَ الذمّارِ  |
| ضربَ غُلامٍ غيرِ نكسٍ شاري  |  | دونَ حُسينٍ مُهجتي ودارِي  |

فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء ، وبالغ في خدمة سلطان السّماء حتّى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد ، وجمع بين سداد وجهاد ، وكان لا يأتي إلى الحسين (عليه‌السلام) سهم إلّا اتّقاه بيده ، ولا سيف إلّا تلقّاه بمُهجته ، فلم يكن يصل إلى الحسين (عليه‌السلام) سوء حتّى اُثِخن بالجراح ، فالتفت إلى الحسين (عليه‌السلام) وقال : يابن رسول الله ، أوفيت ؟ قال : (( نعم ، أنت أمامي في الجنّة ، فأقرئ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) عنّي السّلام ، واعلمه أنّي في الأثر )). فقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سَطَوا وأنابيبُ الرّماحِ كأنَّها  |  | إجامٌ وهُمْ تحتَ الرِّماحِ اُسودُ  |
| ترَى لهُمُ عندَ القِراعِ تباشُراً  |  | كأنَّ لهُمْ يومَ الكرِيهةِ عيدُ  |

المجلس الرابع والخمسون

لـمّا كان اليوم العاشر من المحرّم ، برز جون مولى أبي ذَر الغفاري - وكان بعد موت أبي ذَر عند الحسن (عليه‌السلام) ثمّ صار عند الحسين (عليه‌السلام) ، فصحبه في سفره من المدينة إلى مكّة ثمّ إلى العراق ، وكان عبداً أسود - ، فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( أنت في إذْنٍ منّي ؛ فإنّما تبعتنا للعافية فلا تبتلِ بطريقتنا )). فقال : يابن رسول الله ، أنا في الرّخاء ألحسُ قصاعكم ، وفي الشدّة أخذلكم ! لا والله ، لا اُفارقكم حتّى يختلط هذا الدّم الأسود مع دمائكم. ثمّ برز وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| كيفَ ترَى الكفّارُ ضرْبَ الأسودِ  |  | بالسّيفِ ضرْباً عنْ بَني محمّد  |
| أذبُّ عنهُمْ باللسَانِ واليدِ  |  | أرجو بهِ الجنّةَ يومَ المَوْردِ  |

ثم قاتل حتّى قُتل ، فوقف عليه الحسين (عليه‌السلام) فقال : (( اللهمَّ ، بيّض وجهه وطيّب ريحه واحشره مع الأبرار ، وعرّف بينه وبين محمّد وآل محمّد )).

وخرج شاب قُتل أبوه في المعركة وكانت اُمّه معه ، فقالت له : اخرج يا بُني وقاتلْ بين يدَي ابن رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فخرج ، فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( هذا شاب قُتل أبوه في المعركة ، ولعلّ اُمّه تكره خروجَه )). فقال الشاب : اُمّي أمرتني بذلك. فبرز وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أميرِي حُسينٌ ونِعمَ الأميرْ  |  | سرورُ فؤادِ البَشيرِ النَّذيرْ  |
| عليٌّ وفاطمةٌ والداهْ  |  | فهلْ تعْلمونَ لهُ منْ نَظيرْ  |
| لهُ طلعةٌ مثلُ شمْسِ الضُّحَى  |  | لهُ غرّةٌ مثلُ بدرٍ مُنيرْ  |

وقاتل حتّى قُتل وحُزّ رأسُه ورُمي به إلى عسكر الحسين (عليه‌السلام) ، فحملت اُمّه رأسه وقالت : أحسنتَ يا بُني ، يا سرور قلبي ويا قرّة عيني. ثمّ رمت برأس ابنها

رَجلاً فقتلته ، وأخذت عمود خيمة وحملت عليهم وهي تقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنَا عَجوزٌ سيّديْ ضَعيفَهْ  |  | خاويَةٌ باليَةٌ نَحيفَهْ  |
| أضربُكُمْ بضرْبةٍ عنيفَهْ  |  | دونَ بنيْ فاطمةَ الشّريفَهْ  |

وضربت رَجلَين ، فأمر الحسين (عليه‌السلام) بصرفها ودعا لها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يتَسْابقونَ إلى المنيّةِ بينهُمْ  |  | فكأنّما هي غادةٌ مِعطارُ  |

المجلس الخامس والخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء واشتدّ القتال ، صاح عمرو بن الحجّاج بالنّاس : يا حمقاء ، أتدرون مَن تقاتلون ؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين ، لا يبرز إليهم منكم أحد ، والله لو لمْ ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم. فقال ابن سعد : صدقت. ثمّ أرسل إلى النّاس مَن يعزم عليهم أنْ لا يبارز رجل منكم رجلاً منهم.

وحمل شمر في الميسرة على ميسرة أصحاب الحسين (عليه‌السلام) ، فثبتوا له وطاعنوه ، وحملوا على الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه من كلّ جانب ، وقاتلهم أصحاب الحسين (عليه‌السلام) قتالاً شديداً ، فأخذت خيلهم تحمل ، وإنّما هي اثنان وثلاثون فارساً ، فلا تحمل على جانب من خيل الأعداء إلّا كشفته ، فلمّا رأى ذلك عزرة بن قيس - وهو على خيل الأعداء - بعث إلى ابن سعد : أما ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدّة اليسيرة ؟! ابعث إليهم الرّجال والرّماة.

وقاتل أصحاب الحسين (عليه‌السلام) القوم أشدّ قتال خلقه الله حتّى انتصف النّهار ، فبعث ابن سعد الحُصين بن تميم في خمسمئة من الرّماة ، فاقتتلوا حتّى دنوا من الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ، فلمّا رأوا صبر أصحاب الحسين (عليه‌السلام) ، تقدّم الحُصين إلى أصحابه أنْ يرشقوا أصحاب الحسين (عليه‌السلام) بالنّبل ، فرشقوهم فلمْ يلبثوا أنْ عقروا خيولهم وجرحوا الرّجال ، وبقي الحسين (عليه‌السلام) وليس معه فارس ،

وحمل شمر حتّى بلغ فسطاط الحسين (عليه‌السلام) ، فطعنه بالرمح ونادى : عليّ بالنّار حتّى أحرق هذا البيت على أهله. فصاحت النّساء وخرجنَ ، وصاح به الحسين (عليه‌السلام) : (( أنت تحرق بيتي على أهلي ؟! أحرقك الله بالنّار )). فقال حميد بن مسلم : أتقتل الولدان والنّساء ؟! والله ، إنّ في قتل الرّجال لما يرضى به أميرك. فلمْ يقبل ، فأتاه شبث بن ربعي فقال : أفزعنا النّساء ، ثكلتك اُمّك ! فاستحيا وانصرف.

وكان يُقتل من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) الواحد والاثنان فيبين ذلك فيهم لقلّتهم ، ويُقتل من أصحاب ابن سعد العشرة فلا يبين ذلك فيهم لكثرتهم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قَلَّ الصّحابةُ غيرَ أنّ  |  | قليلهُمْ غيرُ القَليلِ  |
| منْ كلِّ أبيضَ واضحِ الـ  |  | ـحَسَبينِ مَعدُومِ المثيلِ  |

المجلس السّادس والخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء وحضر وقت صلاة الظهر ، قال أبو ثمامة الصّيداوي للحسين (عليه‌السلام) : يا أبا عبد الله ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتّى اُقتل دونك، واُحبّ أنْ ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصّلاة. فرفع الحسين (عليه‌السلام) رأسه إلى السّماء ، وقال : (( ذكرتَ الصّلاة جعلك الله من المصلّين الذّاكرين ، نعم هذا أول وقتها )). ثمّ قال : (( سلوهم أنْ يكفّوا عنّا حتّى نصلّي )). ففعلوا ، فقال لهم الحُصين بن تميم : إنّها لا تُقبل. فقال له حبيب بن مظاهر : زعمتَ لا تُقبل الصّلاة من آل رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأنصارهم وتُقبل منك يا خمّار !

وقال الحسين (عليه‌السلام) لزهير بن القَين وسعيد بن عبد الله الحَنفي : (( تقدّما أمامي حتّى اُصلّي )). فتقدّما أمامه في نحو نصف من أصحابه حتّى صلّى بهم صلاة الخوف ، فوصل إلى الحسين (عليه‌السلام) سهم ، فتقدّم سعيد بن عبد الله ووقف يقيه من النّبال بنفسه ما زال ولا تخطّى ، فما زال يُرمى

بالنّبل حتّى سقط إلى الأرض وهو يقول : اللهمّ العنهم لعن عاد وثمود. اللهمّ بلّغ نبيّك عنّي السّلام وأبلغه ما لقيتُ من ألم الجراح ، فإنّي أردتُ ثوابك في نصر ذرّيّة نبيّك.

وفي رواية : أنّه قال : اللهمَّ ، لا يعجزك شيء تريده ، فأبلغ محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) نصرتي ودفعي عن الحسين (عليه‌السلام) ، وارزقني مرافقته في دار الخلود. ثمّ قضى نحبه رضوان الله عليه ، فوُجِد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السّيوف وطعن الرّماح ، وفيه وفي الحُرّ وزهير يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سعيدَ بنَ عَبدِ الله لا تَنسينَهُ  |  | ولا الحُرَّ إذ آسى زهيراً على قصرِ  |
| فلَو وقفتْ صُمُّ الجبالِ مكانهُمْ  |  | لمادتْ على سهلٍ ودُكّتْ على وعرِ  |
| فمِنْ قائمٍ يستعرضُ النَّبلَ وجهُهُ  |  | ومِنْ مُقدمٍ يلقَى الأسنَّةَ بالصّدرِ  |

وتقدّم سويد بن عمرو بن أبي المطاع - وكان شريفاً كثير الصّلاة ، شجاعاً مجرّباً في الحروب - فجعل يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أقدمْ حسينُ اليومَ تلقَى أحمدَا  |  | وشيخَكَ الحَبرَ عليّاً ذا النَّدَى  |
| وحَسَناً كالبدرِ وافَى الأسعدَا  |  | وعمَّكَ القرْمَ الهُمامَ الأرشدَا  |
| حمزةَ ليْثَ الله يُدعَى أسَدا  |  | وذا الجناحَينِ تبوّا مقْعدَا  |

في جنّة الفردوسِ يعلُوا صعّدَا

فقاتل قتال الأسد الباسل ، وبالغ في الصّبر على الخطب النّازل حتّى سقط بين القتلى وقد اُثخن بالجراح ، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتّى سمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فتحامل وأخرج سكّيناً من خُفّه وجعل يُقاتل حتّى قُتل رضوان الله عليه ، فكان آخر مَن قُتل من أصحاب الحسين (عليه‌السلام).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وعانَقوا شَغَفاً بيضَ الظُّبا فكأنْ  |  | قدْ عانَقوا ثَمّ بيضاً خُرّداً عرُبَا  |
| ثَوَوا عَطاشَى على البوغاء تحسَبُهمْ  |  | تحتَ الدُّجَى في الفيافي الأنجُمَ الشُّهبَا  |

المجلس السّابع والخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء ، برز مسلم بن عوسجة الأسدي ، وهو صحابي رأى النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وكان شريفاً سريّاً عابداً متنسّكاً فارساً شجاعاً ، وكان ممَّن كاتب الحسين (عليه‌السلام) من الكوفة ووفّى له وأخذ البيعة له عند مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة. ولـمّا خَرَج مسلم لحرب ابن زياد ، عقد له على ربع مذحج وأسد ، فلمّا قُتل مسلم وهاني اختفى مدّة ثمّ أتى سرّاً إلى الحسين (عليه‌السلام) مع حبيب بن مظاهر ، فكانا يسيران الليل ويكمنان النّهار حتّى وصلا إليه بكربلاء واستشهدا بين يدَيه.

ولـمّا خطب الحسين (عليه‌السلام) أصحابه ليلة العاشر من المحرّم وقال لهم : (( قد أذنتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام ، وهذا الليل قد غَشيكم فاتّخذوه جملاً ، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم ؛ فإنّهم لا يريدون غيري )). وتكلّم إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وسائر بني هاشم وأصحابه بما شكرهم الله تعالى عليه ورسوله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وشكرهم الدّين وأهله وأبقى لهم مجداً وفخراً وثناءً وذكراً لا يبليه مرور الليالي والأيّام ، وكانوا قُدوة الرّجال في الوفاء والإباء وكرم النفوس وعلوّ الهِمم ، كان من جملة مَن تكلّم مسلم بن عوسجة فقال : أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدوّ ، ولم نُعذر إلى الله في أداء حقّك ! لا والله ، لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتّى أكسر في صدورهم رمحي ، واُضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ، ولو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة ولم اُفارقك أو أموت معك.

ولـمّا اشتدّ القتال يوم عاشوراء ، لم يزد مسلم بن عوسجة إلّا جرأة وثباتاً وصبراً ووفاء ، فكان يحمل على القوم وهو يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ تسألُوا عنّي فإنّي ذو لَبدْ  |  | منْ فرعِ قومٍ منْ ذُرَى بنيْ أسَدْ  |
| فمَنْ بغانَا حائدٌ عنْ الرَّشدْ  |  | وكافرٌ بدينِ جبارٍ صَمدْ  |

فقاتل قتالاً شديداً.

ثم حمل عمرو بن الحجّاج في أصحابه على ميسرة الحسين (عليه‌السلام) من نحو الفرات ، وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة ، فاضطربوا ساعة فصُرع مسلم وبقي به رمق ، وانصرف عمرو بن الحجّاج وأصحابه ، وانقطعت الغبرة فإذا مسلم صريع ، فمشى إليه الحسين (عليه‌السلام) ومعه حبيب بن مظاهر فقال الحسين (عليه‌السلام) : (( رحمك الله يا مسلم ،( فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً )(1) )). ودنا منه حبيب فقال : عزّ عليّ مصرعك يا مسلم ، أبشر بالجنّة. فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشّرك الله بخير. ثمّ قال له حبيب : لولا أنّي أعلم أنّي في الأثر من ساعتي هذه لأحببتُ أنْ توصيني بكلِّ ما أهمّك. فقال له مسلم : فإنّي اُوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين (عليه‌السلام) - فقاتِل دونه حتّى تموت. فقال له حبيب : لأنعمنّك عيناً. ثمّ مات رضوان الله عليه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صَالُوا وجالُوا وأدَّوا حقَّ سيّدِهمْ  |  | في موقفٍ عقَّ فيه الوالدَ الوَلدُ  |
| وشاقهمْ ثمرُ العُقبَى فأصبحَ في  |  | صدورِهمْ شجرُ الخطِّي يختَضدُ  |

المجلس الثامن والخمسون

لـمّا كان يوم عاشوراء ، خرج زهير بن القَين البجلي ، وهو من أهل الكوفة وكان شريفاً في قومه ، وكان في أول أمره عثمانيّاً ، فحجّ في تلك السّنة التي توجّه الحسين (عليه‌السلام) فيها إلى العراق، فلمّا رجع من الحجّ جمعه الطريق مع الحسين (عليه‌السلام) ، فصار من أوليائه بعد ما كان من أعدائه.

وهكذا تكون الأعمال بخواتيمها لا بمبادئها ، فكم من رجل كان أول أعماله خيراً ثمّ خُتم له بسوء ، وكم من رجل كان أول أعماله سيّئاً ثمّ خُتم له بخير كما جرى لزهير بن القَين والحُرّ بن يزيد ؛ فزهير كان من أعداء الحسين (عليه‌السلام) ، والحُرّ خرج لحربه ومنعه عن الرجوع وجَعْجَعَ به ثمّ صار من أوليائه وأنصاره ، وفدياه بأنفسهما حتّى قُتِلا بين يدَيه ، ونالا كرامة الشهادة وأعظم السّعادة

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الأحزاب / 23.

ولـمّا خطب الحسين (عليه‌السلام) أصحابه عند ملاقاة الحُرّ ، قام زهير فقال : قد سمعنا - هداك الله يابن رسول الله - مقالتك ، والله لو كانت الدّنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين ، لآثرنا النّهوض معك على الإقامة فيها. ولـمّا خطبهم الحسين (عليه‌السلام) ليلة العاشر من المحرّم وأذن لهم في التفرّق عنه ، قام في جملة مَن قام زهير بن القَين ، وقال : والله يابن رسول الله ، لوددتُ أنّي قُتلت ثُمّ نُشرت ألف مرّة ، وأنّ الله يدفع بذلك القَتْل عنك وعن هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

ولـمّا صفّ الحسين (عليه‌السلام) أصحابه للقتال يوم عاشوراء ، جعل زهيراً على الميمنة ، فبرز راكباً على فرس ذَنوب وهو شاكٍ في السّلاح ، وجعل يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنَا زُهيرٌ وأنا ابنُ القَينِ  |  | أذودُكمْ بالسّيفِ عنْ حُسينِ  |
| إنّ حسيناً أحَدُ السّبطينِ  |  | منْ عِترةِ البَرِّ التقيِّ الزَّينِ  |
| ذاك رَسولُ اللهِ غيرُ الـمَينِ  |  | أضربكُمْ ولا أرَى منْ شَينِ  |

يا ليتَ نَفسيْ قُسمتْ قِسمينِ

فقاتل قتالاً شديداً حتّى قتل تسعة عشر رجلاً ثمّ قُتل رضوان الله عليه ، فقال الحسين (عليه‌السلام) حين صُرع زهير : (( لا يبعدك الله يا زهير )).

وبرز حبيب بن مظاهر ( أو مظهر الأسدي ) ، وكان صحابيّاً رأى النبيّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وصحب أمير المؤمنين (عليه‌السلام) وشهد معه حروبه كلّها وكان من خاصّته وحملة علومه ، وكان حبيب ممَّن كاتب الحسين (عليه‌السلام) ، ولـمّا ورد مسلم بن عقيل الكوفة وأخذت الأنصار تختلف إليه ، كان ممَّن خطب فيهم حبيب بن مظاهر ، وجعل هو ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين (عليه‌السلام) في الكوفة. فلمّا خذل الخائنون مسلم بن عقيل ، اختفى حبيب ومسلم بن عوسجة ، فلمّا ورد الحسين (عليه‌السلام) كربلاء ، خرجا إليه يسيران الليل ويكمنان النّهار حتّى وصلا إليه. فلمّا كان القتال ، برز حبيب وهو يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنَا حبيبٌ وأبي مظهّرُ  |  | فارسُ هيجاءٍ وحربٍ تسْعرُ  |
| أنتُمْ أعدُّ عِدَّةٍ وأكثرُ  |  | ونحنُ أعلى حُجّةٍ وأظهرُ  |
| وأنتُمُ عندَ الوفاءِ أغدَرُ  |  | ونحنُ أوفَى منكُمُ وأصبرُ  |

حقّاً وأتْقَى منكُمُ وأعذَرُ

فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً ، فحمل عليه رجل من بني تميم فطعنه فذهب ليقوم فضربه الحُصين بن تميم على رأسه بالسّيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه ، فهَدَّ مقتلُه الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جادُوا بأنْفسِهمْ عنْ نفسِ سيِّدهمْ  |  | وقدْ رأوا لبثَهُمْ من بعدهِ عارَا  |
| سبْعُون مولَى كريماً ما بكَى لهمُ  |  | باكٍ ولا أحدٌ يوماً لهمْ وارَى  |

المجلس التاسع والخمسون

لـمّا لم يبقَ مع الحسين (عليه‌السلام) سوى أهل بيته ، خرج علي بن الحسين الأكبر ، وكان من أصبح النّاس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، وكان عُمرُه تسع عشرة سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة ، وفيه يقول الشاعر :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمْ ترَ عينٌ نظرتْ مثلَهُ  |  | منْ مُحتفٍ يمشيْ ومنْ ناعلِ  |
| لا يُؤثرُ الدّنيا على دِينهِ  |  | ولا يَبيعُ الحقَّ بالباطلِ  |

وهو أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب ، فاستأذن أباه في القتال فأذن له ، ثمّ نظر إليه نظرة آيس منه وأرخى عينيه فبكى ، ثمّ رفع سبّابتيه نحو السّماء وقال : (( اللهمَّ ، كنْ أنت الشهيد عليهم ، فقد برز إليهم غلام أشبه النّاس خَلقاً وخُلقاً ومَنطِقاً برسولك ، وكنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إليه )). ثمّ رفع صوته

وتلا : ( إِنّ اللّهَ اصْطَفَى‏ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرّيّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )(1).

فشدّ عليٌ على النّاس وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنَا عليُ بنُ الحُسينِ بنِ عليْ  |  | نحنُ وبيتِ اللهِ أولى بالنَّبيْ  |
| تاللهِ لا يحكمُ فينا ابنُ الدَّعيْ  |  | أضربُ بالسّيفِ اُحاميْ عن أبيْ  |

ضربَ غُلامٍ هاشميٍّ علويْ

فجعل يشد عليهم ثمّ يرجع إلى أبيه فيقول : يا أباه ، العطش. فيقول له الحسين (عليه‌السلام) : (( اصبر حبيبي ، فإنّك لا تمسي حتّى يسقيك رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بكأسه )).

وفي رواية : أنّه قال : (( يا أبة ، العطش قتلني وثقل الحديد أجهدني ، فهل إلى شربة من الماء سبيل ؟ )). فبكى الحسين (عليه‌السلام) وقال : (( يا غوثاه ! يا بُنَي ، من أين آتي لك بالماء ؟ قاتِل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدّك محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فيسقيك بكأسه الأوفى شربةً لا تظمأ بعدها أبداً )).

فجعل يكرّ كرّة بعد كرّة والأعداء يتّقون قتله ، فنظر إليه مرّة بن منقذ العبدي فقال : عليّ آثام العرب إنْ هو فعل مثل ما أراه يفعل ومرَّ بي إنْ لم أثكله اُمّه. فمرّ يشدّ على النّاس كما كان يفعل ، فاعترضه مرّة بن منقذ وطعنه بالرمح ، وقيل بل رماه بسهم فصرعه ، فنادى : يا أبتاه عليك السّلام ، هذا جدّي يُقرِئك السّلام ويقول لك : (( عجّل القدوم علينا )). واعتوره النّاس فقطّعوه بأسيافهم ، فجاء الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف عليه وقال : (( قتل الله قوماً قتلوك يا بُنَي ، ما أجرأهم على الرّحمن وعلى انتهاك حُرمة الرّسول ! على الدّنيا بعدك العفا )).

وخرجت زينب بنت علي (عليهما‌السلام) وهي تنادي : يا حبيباه ! ويابن أخاه ! وجاءت فأكبّت عليه ، فجاء الحسين (عليه‌السلام) فأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط ، وأقبل بفتيانه وقال : (( احملوا أخاكم )). فحملوه من مصرعه حتّى وضعوه بين يدَي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا كوكباً مَا كان أقصرَ عُمرَهُ  |  | وكذا تكونُ كواكِبُ الأسْحارِ  |
| جاورتُ أعْدائي وجاوَر ربَّهُ  |  | شتّان بينَ جِوارِهِ وجِواري  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة آل عمران / 33 - 34.

المجلس الستّون

لـمّا كان يوم عاشوراء ، ولمْ يبقَ مع الحسين (عليه‌السلام) سوى أهل بيته ، خرج القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم‌السلام) ، وهو غلام لم يبلغ الحُلم ، فلمّا نظر الحسين (عليه‌السلام) إليه قد برز، اعتنقه وجعلا يبكيان ، ثمّ استأذن عمّه في المبارزة فأبى أنْ يأذن له ، فلمْ يزل الغلام يُقبّل يدَيه ورجليه حتّى أذن له ، فخرج ودموعُه تسيل على خدّيه وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ تنْكرُونيْ فأنَا إبنُ(1) الحَسنْ  |  | سبطِ النّبيِّ الـمُصطفَى والـمُؤتمَنْ  |
| هذا حُسينٌ كالأسيرِ الـمُرْتهنْ  |  | بين اُناسٍ لا سُقوْا صَوبَ الـمُزنْ  |

فقاتل قتالاً شديداً.

قال حميد بن مسلم : خرج علينا غلام كأنّ وجهُه شقّة قمر ، وفي يده سيف وعليه قميص و إزار وفي رجليه نعلان ، فمشى يضرب بسيفه ، فانقطع شِسْعُ إحدى نعليه - ولا أنسى أنّها كانت اليسرى - فوقف ليشدّها ، فقال لي عمرو بن سعد بن نُفَيل الأزدي : والله ، لأشدّنّ عليه. فقلتُ : سُبحان الله ! وما تريد بذلك ؟ والله ، لو ضربني ما بسطتُ إليه يدي ، يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه. فقال : والله ، لأشدّن عليه. فشدّ عليه فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسيف ففلقه ، ووقع الغلام إلى الأرض لوجهه ونادى : يا عمّاه ! فجلى الحسين (عليه‌السلام) كما يجلي الصقر ، ثمّ شدّ شدّة ليث أغضب فضرب عمرو بن سعد بن نُفيل بالسيف فاتّقاها بالسّاعد فقطعها من لدن المرفق ، فصاح صيحةً سمِعها أهل العسكر ، ثمّ تنحّى عنه الحسين (عليه‌السلام). وحمل أهل الكوفة ليستنقذوه فوطئت الخيل عَمراً حتّى مات ، وانجلت الغبرة فإذا بالحسين (عليه‌السلام) قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه ، والحسين (عليه‌السلام) يقول : (( بُعداً لقوم قتلوك ، ومَن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك وأبوك )).

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) قُطعت همزة ( ابن ) للضرورة الشعرية ، على أنّ بعض المصادر ذكرت الشطر بنحو آخر ، هو (... فأنا فرع الحسن ). (موقع معهد الإمامين الحسنين)

ثم قال (عليه‌السلام) : (( عزّ والله على عمّك أنْ تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا ينفعك ، صوتٌ والله كثُر واتره وقلّ ناصره )). ثمّ حمله ووضع صدره على صدره ، وكأنّي أنظر إلى رجلَي الغلام يخطّان الأرض ، فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه علي والقتلى من أهل بيته. فسألتُ عنه ، فقيل لي هو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم‌السلام).

وصاح الحسين (عليه‌السلام) في تلك الحال : (( صبراً يا بني عُمومتي ، صبراً يا أهل بيتي ، فوالله ، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تحُوطُهُ من بنيْ عدنانَ أغلمةٌ  |  | بيضُ الوجُوهِ كرامٌ سادةٌ رُؤسَا  |
| وكلُّ ذيْ طلعةٍ غرّاءَ مُشرقةٍ  |  | من نورِ طلعتِهِ بدرُ السّما اقتبَسا  |
| يلقَى السّيوفَ بوجهٍ شانَ طلعتَهُ  |  | وقعُ السّيوفِ ونحرٍ بالقَنا غُرسَا  |

المجلس الواحد والستّون

وُلد العبّاس بن أمير المؤمنين (عليه‌السلام) سنة ست وعشرين من الهجرة ، وعاش مع أبيه أمير المؤمنين (عليه‌السلام) أربع عشرة سنة ، وحضر بعض الحروب فلمْ يأذن له أبوه في النّزال. قُتل مع أخيه الحسين (عليه‌السلام) بكربلاء وعمره أربع وثلاثون سنة ، وكان يكنّى أبا الفضل ، ويُلقَّب بالسّقاء وقمر بني هاشم ، وقُتل معه بكربلاء ثلاثة إخوة لاُمّه وأبيه ، وكانت له يوم كربلاء مقامات مشهودة ومواقف عظيمة.

كانت له صفات عالية وأعمال جليلة امتاز بها ؛ منها أنّه كان صاحب لواء الحسين (عليه‌السلام) ، واللواء هو العلم الأكبر ولا يحمله إلّا الشجاع الشريف في العسكر ، ومنها أنّه كان أيّداً ( أي قويّاً ) شجاعاً فارساً وسيماً جسيماً ، يركب الفرس المطهَّم ورجلاه تخطّان في الأرض ، ومنها أنّه لـمّا جمع الحسين (عليه‌السلام) أهل بيته وأصحابه ليلة العاشر من المحرّم وخطبهم فقال في خطبته : (( أمّا بعد ، فإنّي لا أعلم أصحاباً

أوفى ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي ، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ، وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سواد هذا الليل وذروني وهؤلاء القوم ؛ فإنّهم لا يريدون غيري )) ، قام إليه العبّاس (عليه‌السلام) فقال : ولِمَ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك ! لا أرانا الله ذلك أبداً. ثمّ تكلّم أهل بيته وأصحابه بمثل هذا ونحوه.

ومنها أنّه لـمّا أخذ عبد الله بن حرام ، ابن خال العبّاس ، أماناً من ابن زياد للعبّاس وإخوته من اُمّه ، قالوا : لا حاجة لنا في الأمان ؛ أمان الله خير من أمان ابن سميّة ، ومنها أنّه نادى شمر : أين بنو اُختنا ؟ أين العبّاس وإخوته ؟ فلم يُجبه أحد ، فقال لهم الحسين (عليه‌السلام) : (( أجيبوه وإنْ كان فاسقاً ؛ فإنّه بعض أخوالكم )). قال له العبّاس : ما تريد ؟ فقال : أنتم يا بني اُختي آمنون. فقال له العبّاس : لعنك الله ولعن أمانك ، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له ؟! وتكلّم إخوته بنحو كلامه ثمّ رجعوا.

ومنها أنّه لـمّا اشتدّ العطش بالحسين (عليه‌السلام) وأصحابه ، أمر أخاه العبّاس فسار في عشرين راجلاً يحملون القِرب وثلاثين فارساً ، فجاؤوا ليلاً حتّى دنوا من الماء ، وأمامهم نافع بن هلال الجملي يحمل اللواء ، فقال عمرو بن الحجّاج : مَن الرجل ؟ قال : نافع. قال : ما جاء بك ؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه. قال : فاشرب هنيئاً. قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان هو وأصحابه. فقالوا : لا سبيل إلى سقي هؤلاء ، إنّما وُضعنا في هذا المكان لنمنعهم الماء. فقال نافع لرجاله : إملؤوا قِربكم. فملؤوها ، وثار إليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه ، فحمل عليهم العبّاس ونافع بن هلال فكشفوهم وأقبلوا بالماء ، ثمّ عاد عمرو بن الحجّاج وأصحابه وأرادوا أنْ يقطعوا عليهم الطريق ، فقاتلهم العبّاس وأصحابه حتّى ردّوهم ، وجاؤوا بالماء إلى الحسين (عليه‌السلام).

ومنها أنّه لـمّا نشبت الحرب تقدّم أربعة من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) وهم الذين جاؤوا من الكوفة ومعهم فرس نافع بن هلال ، فشدّوا على النّاس بأسيافهم ، فلمّا وغلوا فيها عطف عليهم النّاس واقتطعوهم عن أصحابهم ، فندب الحسين (عليه‌السلام) لهم أخاه العبّاس ، فحمل على القوم وحده فضرب فيهم بسيفه حتّى فرّقهم عن أصحابه ، ووصل إليهم فسلّموا عليه

وأتى بهم ولكنّهم كانوا جرحى ، فأبوا عليه أنْ يستنقذهم سالمين ، فعاودوا القتال وهو يدفع عنهم حتّى قُتلوا في مكان واحد ، فعاد العبّاس إلى أخيه وأخبره بخبرهم.

ومنها أنّه شبه عمّه جعفر الطيّار الذي قُطعت يمينه ويساره في حرب مؤتة مجاهداً في سبيل الله، وكذلك العبّاس قُطعت يمينه ويساره مجاهداً في سبيل الله في نصرة أخيه الحسين (عليه‌السلام) يوم عاشوراء :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا تَنسَ للعبّاسِ حُسنَ مَقامِهِ  |  | في الرّوعِ عندَ الغارةِ الشَّعواءِ  |
| واسَى أخاهُ بها وجادَ بنفْسِهِ  |  | في سَقي أطفال لهُ ونساءِ  |
| ردَّ الاُلوفَ على الاُلوفِ مُعارضاً  |  | حدّ السّيوفِ بجبهةٍ غَرّاءِ  |

المجلس الثاني والستّون

قال أمير المؤمنين (عليه‌السلام) لأخيه عقيل - وكان نسّابة عالماً بأخبار العرب وأنسابهم - : (( ابغني امرأة قد ولدَتها الشّجعان من العرب ؛ لأتزوّجها فتلد لي غلاماً فارساً )). فقال له : أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية - وهي المكنّاة اُمّ البنين - فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس. فتزوّجها أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، فولدت له العبّاس ثمّ عبد الله ثمّ جعفر ثمّ عثمان. وحضر هؤلاء الإخوة الأربعة مع أخيهم الحسين (عليه‌السلام) يوم كربلاء وأبلَوا في نصرته بلاءً حسناً ، وجاهدوا أمامه حتّى قُتلوا جميعهم ، وكان أحسنهم بلاءً وأعظمهم جهاداً ومواساة لأخيه الحسين (عليه‌السلام) أبو الفضل العبّاس ، وهو أكبرهم وكان عمره يومئذ أربعاً وثلاثين سنة.

ولـمّا رأى العبّاس (عليه‌السلام) كثرة القتلى من أهله ، قال لإخوته الثلاثة هؤلاء : يا بني اُمّي ، تقدّموا لأحتسبكم عند الله. وفي رواية : حتّى أراكم قد نصحتم لله ورسوله. فتقدّم عبد الله بن علي ، وعمره خمس وعشرون سنة فقاتل قتالاً شديداً حتّى قُتل ، فتقدّم بعده

أخوه جعفر بن علي ، وعمره تسع عشرة سنة فقاتل حتّى قُتل ، فبرز بعده أخوهما عثمان بن علي، وعمره إحدى وعشرون سنة فقام مقام إخوته وقاتل حتّى قُتل ، وبرز من بعدهم أخوهم أبو الفضل العبّاس وقاتل قتالاً شديداً ، واشتدّ العطش بالحسين (عليه‌السلام) ، فركب المسنّاة يريد الفرات وبين يديه أخوه العبّاس ، فأحاط القوم بالعبّاس فاقتطعوه ، فجعل العبّاس (عليه‌السلام) يُقاتلهم وحده، فضربه زيد بن ورقاء الحنفي على يمينه فقطعها ، فأخذ السّيف بشماله وهو يرتجز ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واللهِ إنْ قَطعْتمُوا يَمينِي  |  | إنّي اُحامي أبداً عنْ دِيني  |
| وعنْ إمامٍ صادقِ اليقينِ  |  | نجلِ النَّبيِّ الطّاهرِ الأمينِ  |

فضربه حكيم بن الطفيل على شماله فقطعها ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا نفسُ لا تَخشَي منَ الكفّارِ  |  | وأبشِري برحمةِ الجبّارِ  |
| معَ النبيِّ السيّدِ الـمُختارِ  |  | قدْ قَطعُوا ببغيهمْ يَساري  |

فأصلِهمْ يا ربِّ حَرَّ النّارِ

فضربه آخر بعمود من حديد فقتله ، فبكى الحسين (عليه‌السلام) لقتله بكاءً شديداً.

ولنعم ما قال القائل :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أحقُّ النّاس أنْ يُبكى عليهِ  |  | فتىً أبكى الحسينَ بكربلاءِ  |
| أخوهُ وابنُ والدِهِ عليٍّ  |  | أبو الفضلِ الـمُضرّجِ بالدّماءِ  |
| ومَنْ واساهُ لا يُثنيهِ شيءٌ  |  | وجادَ لهُ على عَطشٍ بماءِ  |

وكانت اُمّ البنين - اُمّ هؤلاء الإخوة الأربعة - بعد قتلهم تخرج كلّ يوم إلى البقيع وتحمل معها عبيد الله ابن ولدها العبّاس ، فتندب أولادها الأربعة خصوصاً العبّاس أشجى ندبة وأحرقها ، فيجتمع النّاس و يستمعون بكاءها وندبتها ، فكان مروان

ابن الحكم - على شدّة عداوته لبني هاشم - يجئ فيمن يجئ فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رَقَّ لها الشّامتُ ممّا بها  |  | ما حالُ مَنْ رقَّ لهُ الشّامتُ  |

فممّا كانت ترثي به ولدها العبّاس قولها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا مَنْ رأى العبّاسَ كرْ  |  | رَ على جماهير النَّقَدْ(1)  |
| ووراهُ منْ أبناءِ حيـ  |  | ـدَرِ كلُّ ليثٍ ذي لُبدْ  |
| اُنبئتُ أنّ ابني اُصيـ  |  | ـبَ برأسهِ مقطوعَ يدْ  |
| ويليْ على شبليْ أمَا  |  | لَ برأسهِ ضربُ العَمدْ  |
| لو كان سيفُكَ في يديـ  |  | ـكَ لـمَا دَنا منهُ أحدْ(2)  |

ومن رثائها في أولادها الأربعة قولها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا تدعونّيْ ويكِ اُمّ البنينْ  |  | تذكّريني بليوثِ العرينْ  |
| كانتْ بنونٌ لي اُدعى بهمْ  |  | واليوم أصبحتُ ولا منْ بنينْ  |
| أربعةٌ مثلُ نسورِ الرُّبى  |  | قد واصلوا الموتَ بقطعِ الوتينْ  |
| تنازعُ الخرصانُ أشلاءَهُمْ  |  | وكلُّهمْ أمسَى صريعاً طعينْ  |
| يا ليتَ شعري أكما أخبرُوا  |  | بأنّ عباساً قطيعُ اليمينْ  |

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) النَقَد : جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه ، وزاد البيت حسناً أنّ العبّاس من أسماء الأسد. - المؤلّف -

(2) هكذا ورد البيت في مصدره الأساس ومَن أخذ عنه ، ولعل ضمائر المخاطَب في بعض مفرداته تكون الى ضمائر الغائب أقرب ؛ تساوقاً مع الأبيات المتقدّمة. (موقع معهد الإمامين الحسنين)

المجلس الثالث والستّون(1)

لما رأى العبّاس بن علي (عليه‌السلام) وحدة أخيه الحسين (عليه‌السلام) بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته ، قال لإخوته الثلاثة من اُمّه و أبيه ؛ عبد الله وجعفر وعثمان : تقدّموا لأحتسبكم عند الله تعالى. فتقدّموا حتّى قُتِلوا ، فجاء إلى أخيه الحسين (عليه‌السلام) واستأذن في القتال فقال له : (( أنت حامل لوائي )). فقال له : ضاق صدري وسئمت الحياة. فقال له الحسين (عليه‌السلام) : (( إنْ عزمت فاستسق لنا ماءً )). فأخذ قربته وحمل على القوم حتّى ملأ القربة ، واغترف من الماء غرفة ثمّ ذكر عطش أخيه الحسين (عليه‌السلام) فرمى بها ، وقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يانفسُ منْ بعدِ الحُسينِ هُوني  |  | وبعدَهُ لا كُنتِ أنْ تكوني  |
| هذا حُسينٌ واردُ الـمَنونِ  |  | وتشرَبينَ باردَ الـمَعينِ  |

ثم عاد فأخذوا عليه الطريق ، فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا أرهبُ الموتَ إذا الموتُ رَقَى  |  | حتّى اُوارَى في المصاليت لقَى  |
| إني أنا العبّاسُ أغدو بالسّقَا  |  | ولا أهابُ الموتَ يومَ الـمُلتقَى  |

ففرقهم ، فضربه حكيم بن الطفيل على يمينه فبراها ، فأخذ اللواء بشماله وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واللهِ إنْ قَطعتمُوا يَميني  |  | إنّي اُحامي أبداً عنْ دِيني  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) هذه رواية ثانية في مقتل العبّاس (عليه‌السلام) وإخوته غير الرواية السّابقة في المجلس السّابق. - المؤلّف -

فضربه زيد بن ورقاء على شماله فبراها ، فضمّ اللّواء إلى صدره وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا ترَونَ معشرَ الفُجّارِ  |  | قدْ قطَعوا ببغيهمْ يساري  |

فضربه رجل بعمود على رأسه فخرّ صريعاً إلى الأرض ، ونادى بأعلى صوته : أدركني يا أخي. فانقضّ عليه أبو عبد الله (عليه‌السلام) كالصقر ، فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين مشكوك العين بسهم مثخناً بالجراحة ، فوقف عليه منحنياً وجلس عند رأسه يبكي حتّى فاضت نفسه الزكيّة. ثمّ حمل على القوم فجعل يضرب فيهم يميناً وشمالاً فيفرّون منه كما تفرّ الـمَعزى إذا شدّ فيها الذئب.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عبّاسُ كبشَ كتيْبَتي وكنانَتي  |  | وسَريَّ قومي بلْ أعزَّ حُصوني  |
| يا ساعدي في كلِّ مُعتركٍ بهِ  |  | أسطو وسيفَ حمايَتي بيَميني  |
| لـمَنْ اللِوا اُعطي ومَن هو جامعٌ  |  | شَملي وفي ضنَكِ الزّحامِ يَقيني  |

المجلس الرابع والستّون

روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه‌السلام) أنّه قال : (( كان عمّنا العبّاس بن علي نافذ البصيرة صلب الإيمان ، جاهد مع أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً )). وروي عن علي بن الحسين (عليه‌السلام) أنّه نظر يوماً إلى عبيد الله بن العبّاس بن علي (عليه‌السلام) فاستعبر، ثمّ قال : (( ما من يوم أشدّ على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) من يوم اُحُد ؛ قُتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤته ؛ قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب ، ولا يوم كيوم الحسين (عليه‌السلام) ؛ ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الاُمّة ، كلٌّ يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بدمه ، وهو يذكّرهم بالله فلا يتّعظون حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً )). ثمّ قال : (( رحم الله

العبّاس ، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتّى قُطِعت يداه. وإنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشّهداء يوم القيامة )).

ولَنعم ما قال حفيده الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّي لأذكرُ للعبّاسِ موقفَهُ  |  | بكربلاءَ وهامُ القومِ تُختطفُ  |
| يحمي الحُسينَ ويحميهِ على ظمأٍ  |  | ولا يُولّي ولا يُثْنَى فيختلفُ  |
| ولا أرى مشهداً يوماً كمشهدِهِ  |  | مع الحُسينِ عليه الفضلُ والشرفُ  |
| أكرمْ بهِ مشهداً بانتْ فضيلتُهُ  |  | وما أضاعَ لهُ أفعالهُ خلفُ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| واذكرْ أبا الفضلِ هلْ تُنسَى فضائلُهُ  |  | في كربلا حينَ جدَّ الأمرُ والتَبسا  |
| واسى أخاهُ وفاداهُ بمُهجتِهِ  |  | وخاضَ في غَمَرات الموتِ مُنغمسا  |
| ففزْ أبا الفضلِ بالفضل العظيم ِبما  |  | أسديتهُ فعليكَ الفضلُ قدْ حُبسا  |
| قضيتَ حقَّ الإخا والدينِ مبتذلاً  |  | للنفسِ في سَقي أطفال له ونِسا  |

المجلس الخامس والستّون

لـمّا قُتل جميع أنصار الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته ، خرج غلام من خباء من أخبية الحسين (عليه‌السلام) ، وهو محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، وفي اُذنيه درّتان ، فأخذ بعود من عيدان الخباء وهو مذعور ، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان ، فحمل عليه هانئ بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف فقتله ، فصارت اُمّه شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة.

ونادى الحسين (عليه‌السلام) : (( هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا ؟ هل من مغيث

يرجو الله في إغاثتنا ؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا ؟ )). وتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب : (( ناوليني وَلَدي الصغير حتّى اُودّعه )). فاُتي بابنه عبد الله - واُمّه الرباب بنت امرئ القيس - فأخذه وأجلسه في حجره ، وأومأ إليه لِيقَبّله فرماه حرملة بن كاهل - أو كاهن - الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه ، فقال (عليه‌السلام) لزينب : (( خذيه )). ثمّ تلقّى الدّم بكفّيه ، فلّما امتلأتا رمى بالدّم نحو السّماء ، ثمّ قال : (( هوّن عليّ ما نزل به أنّه بعين الله )). وفي رواية: أنّه صَبّه في الأرض ، ثمّ قال : (( يا ربِّ ، إنْ حبَستَ عنّا النّصر من السّماء ، فاجعل ذلك لما هو خير منه )). ثمّ حمله حتّى وضعه مع قتلى أهل بيته. وفي رواية : أنّه حفر له بجفن سيفه ورمّله بدمه فدفنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومنعطفاً أهوَى لتقبيلِ طفلِهِ  |  | فقبّلَ منه قبلَهُ السّهمُ منْحرَا  |
| لقدْ ولِدا في ساعةٍ هو والرّدَى  |  | ومَن في نحرِهِ السّهمُ كبّرَا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صبيٌّ وهو بين يدي أبيهِ  |  | اُصيبَ فأيُّ ذنبٍ للصَّبيِّ  |

المجلس السّادس والستّون

لـمّا قُتل أنصار الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته وبقي وحيداً فريداً وقد أحاط به القوم ، خرج من عند النّساء عبد الله بن الحسن بن علي (عليهم‌السلام) ، وهو غلام لم يراهق ، فلحقته زينب بنت علي (عليهما‌السلام) لتحبسه ، فقال لها الحسين (عليه‌السلام) : (( احبسيه يا اُختي )). فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً ، وجاء يشتد إلى عمّه الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف إلى جنبه وقال : لا اُفارق عمّي. فأهوى بحر بن كعب إلى الحسين (عليه‌السلام)

بالسّيف ، فقال له الغلام : ويلك يابن الخبيثة ! أتقتل عمّي ؟! فضربه بحر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة ، فنادى الغلام : يا عمّاه ! - أو يا اُمّاه ! - فأخذه الحسين (عليه‌السلام) فضمّه إلى صدره وقال : (( يابن أخي ، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وعلي وحمزة وجعفر والحسن صلّى الله عليهم أجمعين )). فرماه حرملة بسهم فذبحه وهو في حجر عمه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لم يُنجِّ الكهولَ سنٌّ ولا الشّبـ  |  | ـان زهدٌ ولا نجا الأطفال  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هَبُوا أنّكُمْ قاتلتمُ فقتلتُمُ  |  | فما بالُ أطفال تُقاسي نبالَها  |

المجلس السّابع والستّون

لـمّا قُتل أنصار الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته ، دعا النّاس إلى البراز ، فلم يزل يقتل كلَّ مَن برز إليه حتّى قتل مقتلةً عظيمة ، ثمّ حمل على الميمنة وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| القتلُ أولَى من ركوبِ العارِ  |  | والعارُ أولى من دخولِ النّارِ  |

واللهِ منْ هذا وهذا جاري

ثم حمل على الميسرة وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا الحسينُ بنُ عليْ  |  | آليتُ أنْ لا أنثني  |
| أحمي عيالاتِ أبي  |  | أمضي على دينِ النّبي  |

ولـمّا بقي في ثلاثة من أهله ، قال : (( ابغوني ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت

ثيابي ؛ لئلاّ اُجرّد منه بعد قتلي ، فإنّي مقتول مسلوب )). فاُتي بتبّان(1) ، قال : (( لا ، ذاك لباس مَن ضُربت عليه الذلّة ، ولا ينبغي لي أنْ ألبسه )). فأخذ ثوباً خَلِقاً فخرّقه وجعله تحت ثيابه ، فلمّا قُتل جرّدوه منه ، ثمّ استدعى بسراويل من حبرة يمانية يلمع فيها البصر ، ففزرها ولبسها ؛ وإنّما فزرها لئلاّ يسلبها بعد قتله ، فلمّا قُتل (عليه‌السلام) سلبها منه بحر بن كعب وتركه مجرّداً. وأقبل الحسين (عليه‌السلام) على القوم يدفعهم عن نفسه ، والثلاثة الذين معه يحمونه حتّى قُتل الثلاثة وبقي وحده ، وقد اُثخن بالجراح في رأسه وبدنه ، فجعل يضاربهم بسيفه ، وحمل النّاس عليه عن يمينه وشماله ، فحمل على الذين عن يمينه فتفرّقوا ، ثمّ حمل على الذين عن يساره فتفرّقوا.

قال بعض الرواة : فوالله ، ما رأيت مكثوراً ( أي مغلوباً ) قط قد قُتل وُلده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً ، ولا أمضى جناناً ، ولا أجرأ مقدماً منه. والله ، ما رأيت قبله ولا بعده مثله ؛ إنْ كانت الرجّالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إنْ شدّ فيها الذئب. ولقد كان يحمل فيهم ، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً ، فينهزمون من بين يدَيه كأنّهم الجراد المنتشر ، ثمّ يرجع إلى مركزه وهو يقول : (( لا حول ولا قوّة إلا بالله )).

فلمّا رأى شمر ذلك ، استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجّالة ، وأمر الرّماة أنْ يرموه فرشقوه بالسّهام حتّى صار كالقنفذ ، فأحجم عنهم فوقفوا بإزائه ، وجاء شمر في جماعة من أصحابه فحالوا بينه وبين رَحله الذي فيه ثقله وعياله ، فصاح الحسين (عليه‌السلام) : (( ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان ! إنْ لمْ يكن لكم دِين وكنتم لا تخافون يوم المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه ، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عُرُباً كما تزعُمون )). فناداه شمر : ما تقول يابن فاطمة ؟ فقال : (( أقول : إنّي اُقاتلكم وتقاتلونني والنّساء ليس عليهنّ جُناح ، فامنعوا عُتاتكم وجُهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحَرَمي ما دمتُ حيّاً )). فقال شمر : لك ذلك يابن فاطمة. ثمّ صاح : إليكم عن حَرَم الرجل واقصدوه بنفسه ، فلَعمري هو كفؤ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) تُبّان ، بوزن رُمّان : سروال صغير يستر العورة. - المؤلّف -

كريم. فقصدوه بالحرب ، وجعل شمر يحرّضهم على الحسين (عليه‌السلام) ، فجعلوا يحملون على الحسين (عليه‌السلام) والحسين يحمل عليهم فينكشفون عنه ، وهو في ذلك يطلب شربة من الماء فلا يجد ، وكلمّا حمل بفرسه على الفرات ، حملوا عليه بأجمعهم حتّى أجلَوه عنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يرى الفراتَ ولا يحظَى بموردِهِ  |  | ليت الفراتَ غدا منْ بعدِهِ يبسَا  |

المجلس الثامن والستّون

لـمّا اُثخن الحسين (عليه‌السلام) بالجراح وبقي كالقنفذ ، طعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته طعنة فسقط (عليه‌السلام) عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن ، ثمّ قام وخرجت اُخته زينب إلى باب الفسطاط وهي تنادي : وآ أخاه ! وآ سيّداه ! وآ أهل بيتاه ! ليت السّماء اُطبِقت على الأرض ، وليت الجبال تدكدكت على السّهل. ودنا عمر بن سعد ، فقالت : يا عمر ، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ؟! فدمعت عيناه حتّى سالت دموعه على خدّيه ولحيته ، وصرف وجهه عنها ولم يُجبها بشيء ، فنادت : ويلكم ! أما فيكم مسلم ؟! فلم يُجبها أحد بشيء.

وقاتل (عليه‌السلام) راجلاً قتال الفارس الشجاع يتّقي الرّمية ويفترص العورة ، ويشدّ على الخيل وهو يقول : (( أعَلى قتلي تجتمعون ؟! أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله ، الله اسخط عليكم لقتله مني ، وايم الله ، إنّي لأرجو أنْ يكرمني الله بهوانِكم ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله ، لو قتلتموني لألقى اللهُ بأسَكم بينكم وسفك دماءكم ثمّ لا يرضى لكم بذلك حتّى يُضاعف لكم العذاب الأليم )). ولمْ يزل يُقاتل حتّى أصابته عشرات الجراحات ، فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال ، فبينا هو واقف إذ أتاه حَجر فوقع على جبهته ، فأخذ الثوب ليمسح الدّم عن جبهته فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه ، فقال (عليه‌السلام): (( بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله )). ثمّ رفع رأسه إلى السّماء

وقال : (( إلهي ، تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيٍّ غيره )) ، ثمّ أخذ السّهم فأخرجه من وراء ظهره ، فانبعث الدّم كأنّه ميزاب فضعف ووقف.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سهمٌ أصابَ حشاكَ يابنَ الـمُصطفَى  |  | سهمٌ به كبَدُ الهدايةِ قدْ رُميْ  |

المجلس التاسع والستّون

لـمّا قُتل جميع أنصار الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته ولم يبقَ معه أحد ، أقبل شمر في جماعة من أصحابه فأحاطوا بالحسين (عليه‌السلام) ، فضربه مالك بن النّسر الكندي على رأسه الشريف بالسّيف - وكان على رأسه برنس - فقطع البرنس ووصل السّيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً ، ثمّ ألقى البرنس ودعا بخرقة فشدّ بها رأسه واستدعى بقلنسوة اُخرى فلبسها واعتمّ عليها. ورجع شمر ومَن معه عن الحسين (عليه‌السلام) إلى مواضعهم ، فمكثوا هُنيهة ثمّ عادوا إليه ، فأخذ الحسين (عليه‌السلام) يشدّ عليهم فينكشفون عنه ، ثمّ إنّهم أحاطوا به ، ثمّ ضارب الرجّالة حتّى انكشفوا عنه ، وكان قد ضعف عن القتال.

وتحاماه النّاس فمكث طويلاً من النّهار ، وكلّما جاءه أحد انصرف عنه ؛ كراهية أنْ يلقى الله بدمه. فصاح شمر بالفرسان والرجّالة : ويحكم ! ما تنتظرون بالرجل ؟ اقتلوه ثكلتكم اُمّهاتكم. فحملوا عليه من كلّ جانب ، فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى ، وضرب الحسين (عليه‌السلام) زرعة فصرعه ، وضربه آخر على عاتِقه بالسّيف ضربة كبا بها لوجهه ، وكان قد أعيا وجعل يقوم ويكبو ، وطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته ثمّ انتزع الرّمح فطعنه في بواني(1) صدره ورماه بسهم فوقع في نحره ، فسقط وجلس قاعداً فنزع السّهم من نحره ، وقرن كفيه جميعاً

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) البواني : الأضلاع المقدّمة في الصدر. - المؤلّف -

فكلّما أمتلأتا من دمائه خضّب بها رأسه ولحيته ، وهو يقول : (( هكذا ألقى الله مخضَّباً بدمي مغصوباً عليَّ حقّي)).

قال هلال بن نافع : إنّي لواقف مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ : أبشر أيّها الأمير، فهذا شمر قد قتل الحسين. فخرجتُ بين الصفّين فوقفت عليه وإنّه ليجود بنفسه ، فوالله ، ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً ، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكرة في قتله ، فاستسقى في تلك الحال ماءً ، فسمعت رجلاً يقول : والله ، لا تذوق الماء حتّى ترد الحامية فتشرب من حميمها. فسمعته يقول : (( أنا أرد الحامية فأشرب من حميمها ؟! لا والله، بل أرد على جدّي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأشرب من ماء غير آسن ، وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي )). فغضبوا بأجمعهم حتّى كأنْ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً.

وقال سنان لخولي(1) بن زيد : احتز رأسه. فبدر خولي ليحتزّ رأسه فضعف وأرعد ، فقال له سنان - وقيل : شمر - : فتّ الله في عضدك ، ما لك ترعد ؟ ونزل سنان - وقيل : شمر - إليه فذبحه ثمّ احتزّ رأسه الشريف ، وهو يقول : والله ، إنّي لأحتز رأسك وأعلم أنّك السيّد المقدّم وابن رسول الله وخير النّاس أباً واُمّاً. ثمّ دفع الرأس الشريف إلى خولي ، فقال : احمله إلى الأمير عمر بن سعد.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رأسُ ابنِ بنْتِ محمّد ووصيِّهِ  |  | للنّاظرينَ على قَناةٍ يُرفعُ  |
| والـمُسلمونَ بمَنظَرٍ وبمَسمَعٍ  |  | لا مُنكرٌ منْهُمْ ولا مُتوجِّعُ  |
| كُحِلتْ بمَنظرِكَ العُيونُ عمايةً  |  | وأصمَّ رزؤكَ كلَّ اُذنٍ تَسمعُ  |

\* \* \*

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) خولي ، بخاء معجمة مفتوحة وواو ساكنة ولام مكسورة وياء بهيئة المنسوب. - المؤلّف -

المجلس السّبعون

لـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) ، أقبل القوم على سلبه ، فأخذ قميصه إسحاق بن حوية الحضرمي ، ووُجد في قميصه (عليه‌السلام) مئة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنة وضربة ، وقيل : وُجد في ثيابه مئة وعشرون رمية بسهم ، وفي جسده الشريف ثلاث وثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف.

وعن الإمام الصادق (عليه‌السلام) : (( أنّه وُجد بالحسين (عليه‌السلام) ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة )). وعن الإمام الباقر (عليه‌السلام) : (( أنّه وُجد به ثلاثمئة وبضعة وعشرون جراحة )). وفي رواية : ثلاثمئة وستّون جراحة.

وأخذ سراويله بحر بن كعب التميمي ، وأخذ ثوبه أخ لإسحاق بن حوية ، وأخذ قطيفة له كانت من خز قيس بن الأشعث بن قيس ، وأخذ عمامته الأخنس ، وأخذ بُرنسه مالك بن النّسر وكان من خز ، فلمّا قدم على أهله أخذ يغسل عنه الدّم ، فقالت له امرأته : أسلب ابن رسول الله تُدخل بيتي ؟! اخرجه عنّي.

وأخذ نعليه الأسود بن خالد ، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد ، فلمّا قُتل عمر أعطاها المختار لقاتله ، وأخذ سيفه الفلافس النّهشلي ، وأخذ القوس الرجيل بن خيثمة الجعفي ، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي ، ومال النّاس على الفراش والحلل والإبل فانتهبوها وانتهبوا رَحله وثقله وسلبوا نساءه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وصِيحَ في رَحلهِ نَهباً وما تَركُوا  |  | على عقائلَ بيتِ الوَحي منْ حُجبِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمْ يَسلبُوه الدّرعَ إلّا بعدَما  |  | تركتْهُ أسهُمُ بَغيهِمْ كالقُنفذِ  |

المجلس الواحد والسّبعون

لـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) ، وضعت اُمّ كلثوم يدها على اُمِّ رأسها ونادت : وآ محمّداه ! وآ جعفراه ! وآ حمزتاه ! وآ حسناه ! هذا حسين بالعرا ، صريع بكربلاء ، محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرّدا.

وأقبل القوم على نهب بيوت آل بيت الرّسول وقرّة عين الزهراء البتول (عليها‌السلام). قال حميد بن مسلم : رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد ، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين (عليه‌السلام) في فسطاطهن وهم يسلبونهن ، أخذت سيفاً وأقبلتْ نحو الفسطاط ، وقالت : يا آل بكر بن وائل ، أتُسلب بنات رسول الله ؟! لا حكم إلّا لله ، يا لثارات رسول الله ! فأخذها زوجها وردّها إلى رحله.

وانتهوا إلى علي بن الحسين زين العابدين (عليه‌السلام) وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض ، وكان مريضاً بالذرب (أي الإسهال) وقد أشرف على الموت ، ومع شمر جماعة من الرجّالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل ؟ فأراد شمر قتله ، فقال له حميد بن مسلم : سبحان الله ! أتقتل الصبيان؟! إنّما هو صبيّ وأنّه لما به. فلم يزل يدفعهم عنه حتّى جاء عمر بن سعد فصاحت النّساء في وجهه وبكين ، فقال لأصحابه : لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء ولا تتعرضوا لهذا الغلام المريض ، ومَن أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه. فلم يردّ أحد شيئاً.

وفي رواية : أنّهم أشعلوا النّار في الفسطاط فخرجن منه النّساء باكيات مُسلَّبات.

ونادى عمر بن سعد في أصحابه : مَن ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره وصدره ؟ فانتدب منهم عشرة ، فداسوا الحسين (عليه‌السلام) بحوافر خيولهم حتّى رضّوا ظهره وصدره ، وجاء هؤلاء العشرة حتّى وقفوا على ابن زياد ، فقال أحدهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ رَضضْنا الصَّدرَ بعدَ الظَّهرِ  |  | بكلِّ يَعبُوبٍ شديدِ الأسرِ  |

فقال ابن زياد : مَن أنتم ؟ قالوا : نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتّى طحنّا جناجن صدره. فأمر لهم بجائزة يسيرة. وهؤلاء أخذهم المختار فشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد ، وأوطأ الخيل ظهورهم حتّى هلكوا.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما شَفَى داءَ ضِغْنِها القتلُ حتّى  |  | بالعَوادي عادتْ ترضُّ قُراهَا  |
| وأباحتْ بيتَ النبوةِ للنَّهـ  |  | ـبِ وللأمرِ في يدَي لعْناها  |

المجلس الثاني والسّبعون

لـمّا كان يوم عاشوراء ، سرّح عمر بن سعد ذلك اليوم برأس الحسين (عليه‌السلام) مع خولي بن يزيد إلى عبيد الله بن زياد.

قال الطبري وابن الأثير وغيرهما : فوجد القصر مغلقاً ، فأتى بالرأس إلى منزله فوضعه تحت إجّانة ودخل فراشه ، وقال لامرأته : جئتك بغنى الدّهر ، هذا رأس الحسين معكِ في الدّار. فقالت : ويلك ! جاء النّاس بالذّهب والفضّة وجئت برأس ابن بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ! والله ، لا يجمع رأسي ورأسك بيت. وقامت من الفراش فخرجت إلى الدار.

وأمر ابن سعد برؤوس الباقين من أصحاب الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته فقُطّعت - وكانت اثنين وسبعين رأساً - وسرّح بها إلى ابن زياد ، وأقام بقيّة اليوم العاشر واليوم الحادي عشر إلى الزوال ثمّ توجّه إلى الكوفة. وحمل معه نساء الحسين (عليه‌السلام) وبناته وأخواته ومَن كان معه من الصبيان وفيهم علي بن الحسين (عليهما‌السلام) قد نهكته العلّة ، فقالت النّسوة : بحقّ الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين (عليه‌السلام). فمرّوا بهم على الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه وهم صرعى ، فلمّا نظرت النّسوة إلى القتلى ، صحن وضربن وجوههن.

قال الرّاوي : فوالله ، لا أنسى زينب بنت علي (عليهما‌السلام) وهي تندب الحسين (عليه‌السلام) وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب : يا محمّداه ! صلّى عليك مليك السّماء ، هذا حسينك مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ،

وبناتك سبايا ، إلى الله المشتكى وإلى محمّد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيّد الشهداء. يا محمّداه ! هذا حسين بالعرا تسفي عليه ريح الصبا ، وآ حزناه ! وآ كرباه عليك يا أبا عبد الله ! اليوم مات جدّي رسول الله. يا أصحاب محمّد ، هؤلاء ذرّيّة المصطفى يُساقون سَوق السبايا ! وفي بعض الروايات : وآ محمّداه ! بناتك سبايا وذرّيّتك مقتّلة تسفي عليهم ريح الصّبا ، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرّدا ، بأبي مَن أضحى عسكره يوم الاثنين نهباً ، بأبي مَن فسطاطه مقطّع العرى ، بأبي مَن لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى ، بأبي مَن نَفسي له الفدا ، بأبي المهموم حتّى قضى ، بأبي العطشان حتّى مضى ، بأبي مَن شيبته تقطر بالدما ، بأبي مَن جدّه رسول إله السما ، بأبي مَن هو سبط نبي الهدى ، بأبي محمّد المصطفى ، بأبي خديجة الكبرى ، بأبي علي المرتضى بأبي فاطمة الزهرا.

قال فأبكتْ والله كلّ عدوّ وصديق. ثم إنّ سكينة بنت الحسين (عليه‌السلام) اعتنقت جسد أبيها فاجتمع عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ونواعٍ خَرجتْ منْ خِدرِها  |  | تلزمُ الأيديَ أكباداً وجَالا  |
| كمْ على النَّعي لها منْ حنّةٍ  |  | كحَنينِ النّيبِ فارقنَ الفصَالا  |
| كبناتِ الدّوحِ تَبكي شجْوَها  |  | وغوادي الدّمعِ تنهلّ انهلالا  |

المجلس الثالث والسّبعون

لـمّا كان يوم عاشوراء وبعث ابن سعد بالرؤوس إلى الكوفة ، قام فصلّى على القتلى من أصحابه ودفنهم ، وترك الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه بغير دفن ، منبوذين بالعراء تسفي عليهم ريح الصبا.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنْ يبقَ ملقىً بلا دفنٍ فإنّ لهُ  |  | قبراً باحشاء مَن والاهُ محفورَا  |

فبقيت جثّة الحسين (عليه‌السلام) وجثث أصحابه بلا دفن ثلاثة أيّام.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تهابُهُ الوحشُ أنْ تدنُو لمصرعِهِ  |  | وقد أقام ثلاثاً غيرَ مقبورِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ما إنْ بقيتَ منَ الهوانِ على الثَّرى  |  | ملقىً ثلاثاً في رُبىً ووهادِ  |
| لكنْ لكي تَقضي عليكَ صلاتَها  |  | زُمرُ الملائكِ فوق سبعِ شدادِ  |

فلمّا رحل ابن سعد عن كربلاء ، خرج قوم من بني أسد - كانوا نزولاً بالغاضريّة - إلى الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه فصلّوا على تلك الجثث الطواهر ودفنوها ؛ فدفنوا الحسين (عليه‌السلام) حيث قبره الآن ، ودفنوا ابنه عليّاً الأكبر عند رجليه ، وحفروا للشهداء من أهل بيته ولأصحابه الذين صُرعوا حوله ممّا يلي رجلَي الحسين (عليه‌السلام) ، فجمعوهم فدفنوهم جميعاً في حفيرة واحدة وسووا عليهم التراب ؛ ولذلك يمتنع أهل المعرفة من المرور من جهة رجلَي الحسين (عليه‌السلام) ؛ خوفاً من المشي فوق قبورهم الشريفة.

وقال : إنّ أقربهم دفناً إلى الحسين (عليه‌السلام) ولده علي الأكبر ، ودفنوا العبّاس بن علي (عليهما‌السلام) في موضعه الذي قُتل فيه على المسنّاة بطريق الغاضريّة حيث قبره الآن ، ودفنوا بقيّة الشّهداء حول الحسين (عليه‌السلام) في الحائر ، ودفنت بنو أسد حبيب بن مظاهر الأسدي عند رأس الحسين (عليه‌السلام) حيث قبره الآن اعتناء بشأنه ، ودفنت بنو تميم الحُرّ بن يزيد الرياحي التميمي على نحو ميل من مدفن الحسين (عليه‌السلام) حيث قبره الآن اعتناء به.

ويقال : إنّهم منعوا من قطع رأسه وحملوه من مصرعه ودفنوه هناك.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أقبراً بعراصِ الطفِّ هجتِ لنَا  |  | حزناً يؤججُ في أحشائنِا نارا  |
| مازرتُ أرضَكِ إلّا هيَّجتْ شَجناً  |  | ومدمعاً فاض منْ عَينيَّ مِدرارا  |

وسار ابن سعد بسبايا أهل بيت الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ومَن تخلّف من عيال الحسين (عليه‌السلام) ، وحمل نساءه على أحلاس الأقتاب بغير وطاء ، وهنّ ودائع خير

الأنبياء.

فلمّا قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر إليهنّ ، فأشرفت امرأة من الكوفيّات وقالت : من أي الاُسارى أنتن ؟ فقلن لها : نحن اُسارى آل محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فنزلت من سطحها فجمعت لهنّ ملاء واُزراً ومقانع :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهفَ نفسي يا آلَ طه عليكُمُ  |  | لهفةً كسبُها جوىً وخَبالُ  |
| قطعتْ وُصلةَ النّبيِّ بأنْ تُقـ  |  | ـطعَ من أهلِ بيتهِ الأوصالُ  |

المجلس الرابع والسّبعون

لـمّا جيء بسبايا أهل البيت إلى الكوفة ، جعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون.

قال بشر بن خزيم الأسدي : ونظرتُ إلى زينب بنت علي (عليهما‌السلام) يومئذ فلمْ أرَ خَفِرة أنطق منها ، كأنّها تُفرع عن لسان أمير المؤمنين (عليه‌السلام) ، وقد أومَأت إلى النّاس أنْ اسكتوا ، فارتدّت الأنفاس وسكنتْ الأجراس ، ثمّ قالت : الحمد لله والصلاة على محمّد وآله الطاهرين ، أمّا بعد ، أتبكون ؟! فلا رقأت الدّمعة ولا قطعت الرنّة ، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً ، تتّخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلاّ الصلف النّظف والصدر الشنف ، وملق الإماء وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ، ألا ساء ما قدّمتْ لكم أنفسُكم أنْ سخطَ الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنحبون ؟! إي والله ، فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً ، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرسالة وسيّد شباب أهل الجنّة ، وملاذ

حيرتكم ومفزع نازلتكم ، ومنار حجتكم ومِدْرَه(1) سنتكم ، ألا ساء ما تزرون وبُعداً لكم وسُحقاً، فلقد خاب السّعي وتبّت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله ، وضُربتْ عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم ! أتدرون أيّ كبد لرسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فريتم ؟! وأيّ كريمة له أبرزتم ؟! وأيّ دم سفكتم ؟! وأيّ حُرمة له انتهكتم ؟! لقد جئتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء نأناء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو ملء السماء ، أفعجبتم أنْ مطرت السّماء دماً ؟ فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنصرون. فلا يستخفّنكم المهل ؛ فإنّه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثار وإنّ ربكم لبالمرصاد.

قال : فوالله ، لقد رأيت النّاس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ، ورأيتُ شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلّت لحيته ، وهو يقول : بأبي أنتم واُمّي ! كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشّباب ، ونساؤكم خير النّساء ، ونسلكم خير نسل لا يُخزى ولا يبزى.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| آلُ الرّسولِ ونِعمَ أكـ  |  | ـفاءُ العُلا آلُ الرّسولِ  |
| خيرُ الفُروعِ فروعُهُمْ  |  | واُصولُهمْ خيرُ الاُصولِ  |

المجلس الخامس والسّبعون

لـمّا جيء بسبايا أهل البيت (عليهم‌السلام) إلى الكوفة ، خطبت فاطمة الصغرى (عليها‌السلام) فقالت : الحمد لله عدد الرمل والحصى وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده واُؤمن به وأتوكّل عليه ، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) المِدْرَه كـ ( منبر ) : السيّد الشريف ، والمقدّم في اللسان واليد عند الخصومة ، والقتّال. - المولّف -

أولاده ذُبِحوا بشطّ الفرات بغير ذحل ولا ترات. اللهمَّ ، إنّي أعوذ بك أنْ أفتري عليك الكذب ، أو أنْ أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيّة علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) ، المسلوب حقّه ، المقتول من غير ذنب كما قُتِل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله ، فيه معشر مسلمة بألسنتهم ، تعساً لرؤوسهم ! ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتّى قبضته إليك محمود النّقيبة طيّب العريكة ، معروف المناقب مشهور المذاهب ، لم تأخذه فيك اللهمَّ لومة لائم ولا عذلُ عاذل ، هديته اللهمَّ للإسلام صغيراً ، وحمدت مناقبه كبيراً ، ولمْ يزل ناصحاً لك ولرسولك حتّى قبضته إليك زاهداً في الدّنيا غير حريص عليها ، راغباً في الآخرة ، مجاهداً لك في سبيلك ، رضيته فهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد ، يا أهل المكر والغدر والخُيَلاء ، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا ، فجعل بلاءنا حسناً ، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا ، فنحن عَيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجّته على الأرض في بلاده لعباده ، أكرمنا الله بكرامته وفضّلنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) على كثير ممَّن خلق تفضيلاً بيّناً ، فكذّبتمونا وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً كما قتلتم جدّنا بالأمس ، وسيوفُكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم ، قرّت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم افتراءً على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين. فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا ؛ فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزء العظيم ِ( في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)(1).

تبّاً لكم ! فانتظروا اللعنة والعذاب ، فكأنّ قد حلّ بكم ، وتواترت من السّماء نقمات فتسحتكم بما كسبتم ، ويذيق بعضكم بأس بعض ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا ، ألا لعنة الله على الظالمين. ويلكم ! أتدرون أي يد طاعنتنا منكم ؟! وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا ؟! أم بأيّة رِجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟! والله ، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطُبع على أفئدتكم ، وخُتم على سمعكم وعلى بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

فتبّاً لكم ! أي ترات لرسول الله

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحديد / 22 - 23.

(صلى‌الله‌عليه‌وآله) قِبلكمْ ؟! وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب جدّي وبنيه وعترته الطيّبين الأخيار ؟! وافتخر بذلك مفتخر من الظالمين ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نحنُ قتلْنا عليّاً وبني عليٍّ  |  | بسيوفٍ هنديّةٍ ورِماحِ  |
| وسَبيْنا نساءَهُمْ سَبيَ تُركٍ  |  | ونَطحناهُمُ فأيُّ نِطاحِ  |

بفيك أيّها القائل الكثكث والأثلب ! افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس ! فاكظم وأقع كما أقعى أبوك فإنّما لكلّ امرئ ما اكتسب وما قدّمت يداه. أحسدتمونا - ويلكم - على ما فضّلنا الله ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فمَا ذنبُنا إنْ جاشَ دهراً بُحورُنا  |  | وبحرُكَ ساجٍ ما يُواري الدّعامِصَا  |

ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء ، ومَن لمْ يجعل الله له نوراً فما له من نور.

فارتفعت الأصوات بالبكاء والنّحيب وقالوا : حسبك يابنة الطيّبين ، فقد أحرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا. فسكتت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقدْ قطعَ الأكبادَ حُزناً مُصابُها  |  | وقدْ غادرَ الأحشاءَ تهفُو وترجفُ  |
| فللهِ منْ خطبٍ لهُ كلُّ مهجةٍ  |  | يحقُّ من الوجدِ الـمُبرَّحِ تُتلفُ  |

المجلس السّادس والسّبعون

لـمّا جيء بسبايا أهل البيت (عليهم‌السلام) إلى الكوفة ، خطبت اُمّ كلثوم بنت علي (عليه‌السلام) في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت : يا أهل الكوفة ، سوأة لكم ! ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله وورثتموه ، وسبيتُم نساءه ونكبتموه ؟! فتبّاً لكم وسُحقاً لكم ! أيّ دواه دهتكم ؟ وأيّ وزر على

ظهوركم حملتم ؟ وأيّ دماء سفكتموها ؟ وأيّ كريمة أصبتموها ؟ وأيّ صبية سلبتموها ؟ وأيّ أموال انتهبتموها ؟ قتلتم خير رجالات بعد النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ونُزعت الرّحمة من قلوبكم ، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون وحزب الشّيطان هم الخاسرون.

ثمّ قالت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قتلتُمْ أخيْ ظُلماً فويلٌ لاُمّكمْ  |  | ستُجزَونَ ناراً حرُّها يتوقّدُ  |
| سفكتُمْ دماءً حرّمَ اللهُ سفْكَهَا  |  | وحرَّمَها القُرآنُ ثُمّ محمّد  |

فضجّ النّاس بالبكاء والنّحيب ، ونشر النّساء شعورهن ، ووضعن التراب على رؤوسهن ، وخمشن وجوههن ولطمن خدودهن ، ودعون بالويل والثبور ، وبكى الرجال فلم يُرَ باكٍ وباكية أكثر من ذلك اليوم.

ثم إنّ زين العابدين (عليه‌السلام) أومأ إلى النّاس أنْ اسكتوا فسكتوا ، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بما هو أهله فصلّى عليه ، ثمّ قال : (( أيّها النّاس ، مَن عرفني فقد عرفني ومَن لمْ يعرفني فأنا اُعرّفه بنفسي : أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتُهك حريمه وسُلب نعيمه وانتُهب ماله وسُبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات ، أنا ابن مَن قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً. أيّها النّاس ، ناشدتكم بالله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟ فتبّاً لما قدّمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم ! بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إذ يقول لكم : قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من اُمّتي ؟! )).

فارتفعت أصوات النّاس بالبكاء من كلّ ناحية ، وقال بعضهم لبعض : هلكتم وما تعلمون. فقال (عليه‌السلام) : ((رحم الله امرأً قبل نصيحتي وحفظ وصيّتي في الله ورسوله وأهل بيته ؛ فإنّ لنا في رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) اُسوة حسنة )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لا غِروَ إنْ قُتلَ الحُسينُ فشيخُهُ  |  | قدْ كان خيراً منْ حُسينٍ وأكرَما  |
| قتيلٌ بشطِّ النَّهرِ روحي فداؤهُ  |  | جزاءُ الذي أرْداهُ نارُ جهنَّما  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا ليتَ شِعريْ ما اعتذارهمُ إلى الزْ  |  | زَهراءِ في أبنائها وبناتها  |
| علّقتمُوها بالنبيِّ خصومةً  |  | ستَرَون في عقباكمُ تبعاتِها  |

المجلس السّابع والسّبعون

لـمّا جيء بالسبايا والرؤوس إلى ابن زياد في الكوفة ، جلس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عامّاً ، وأمر بإحضار رأس الحسين (عليه‌السلام) فوُضع بين يدَيه فجعل ينظر إليه ويبتسم ، وكان في يده قضيب فجعل يضرب به ثناياه ويقول : إنّه كان حسن الثغر. وفي رواية : أنّه قال : لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله. ثمّ قال : يوم بيوم بدر. وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال : كان أشبههم برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وكان مخضوباً بالوسمة.

وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وهو شيخ كبير ، فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشّفتين ، فو الله الذي لا إله غيره ، لقد رأيت شفتي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ما لا اُحصيه كثرةً يقبلهما. ثمّ انتحب باكياً ، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك ، أتبكي لفتح الله ! والله ، لولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربتُ عنقك. فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وسار إلى منزله ، وفي رواية : أنّه نهض وهو يقول : أيّها النّاس ، أنتم العبيد بعد اليوم ؛ قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة ! والله ، ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم فبُعداً لـمَن رضي بالذّل والعار. ثمّ قال : يابن زياد ، لاُحدثنّك حديثاً أغلظ عليك من هذا ، رأيتُ رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى ثمّ وضع يده على يافوخيهما ، ثمّ قال : (( اللهمَّ ، إنّي أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين )). فكيف كانت وديعة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) عندك يابن زياد ؟!

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فعلتُمْ بأبناءِ النَّبيِّ ورهطِهِ  |  | أفاعيلَ أدناهَا الخيانةُ والغدرُ  |

المجلس الثامن والسّبعون

لـمّا اُدخل نساء الحسين (عليه‌السلام) وصبيانه على ابن زياد بالكوفة ، لبست زينب (عليها‌السلام) أرذل ثيابها وتنكّرت ، ومضت حتّى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها ، فقال ابن زياد : مَن هذه ؟ فلمْ تجبه ، فأعاد الكلام ثانياً وثالثاً يسأل عنها ، فلمْ تجبه ، فقال له بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). فأقبل عليها ابن زياد فقال لها : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب اُحدوثتكم. فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا. فقال : كيف رأيت فعل الله بأخيك وأهل بيتك ؟ فقالت : ما رأيت إلّا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم فانظر لـمَن الفلج يومئذ ، هبلتك اُمّك يابن مرجانة ! فغضب ابن زياد واستشاط وكأنّه همّ بها ، فقال له عمرو بن حريث : أيّها الأمير ، إنّها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها ولا تُذم على خطئها. فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المَرَدة من أهل بيتك. فرقّتْ زينب وبكتْ وقالت له : لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي ، وقطعت فرعي واجتثثتَ أصلي ، فإنْ كان هذا شفاؤك فقد اشتفيت. فقال ابن زياد : هذه سجّاعة ، ولَعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً. فقالت : ما للمرأة والسّجاعة ؟! إنّ لي عن السّجاعة لشغلاً ، ولكنّ صدري نفث بما قلت.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فقُلْ لسرايَا شَيبةِ الحمدِ ما لكُمْ  |  | قعدّتُمْ وقدْ سارُوا بنسوتِكمْ أسرَى  |
| وأعظمُ ما يُشجي الغيورَ دخولُهُا  |  | إلى مجلسٍ ما بارحَ اللهوَ والخَمَرا  |
| يقارضُها فيهِ الدّعيُّ مسبّةً  |  | ويصرفُ عنْها وجهَهُ مُعرضاً ِكبْرا  |

وعُرض عليه علي بن الحسين (عليهما‌السلام) فقال له : مَن أنت ؟ فقال : (( أنا علي بن الحسين )). فقال : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟ فقال له علي (عليه‌السلام) : (( قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله النّاس )). قال : بل الله قَتله. فقال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : ( اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا )(1). فغضِب ابن زياد وقال : وبك جرأة لجوابي ، وفيك بقيّة للردّ عليّ ؟! اذهبوا به واضربوا عنقه. فتعلّقت به عمّته زينب وقالت : يابن زياد ، حسبك من دمائنا. واعتنقته وقالت : لا والله لا اُفارقه ، فإنْ قتلتَه فاقتلني معه. فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ثمّ قال: عجباً للرحم ! والله ، إنّي لأظنّها ودّت أنْ قتلتها معه ، دعوه فإنّي أراه لما به. وفي رواية : أنّ علي بن الحسين (عليهما‌السلام) قال لعمّته : (( اسكتي يا عمّة حتّى اُكلّمه )). ثمّ أقبل عليه فقال : (( أبِالقتل تهدّدني يابن زياد ؟! أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشّهادة ؟! )).

ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين (عليهما‌السلام) وأهل بيته فحُملوا إلى دار بجنب المسجد الأعظم.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ومخدّراتٍ ما اُذيعَ حديثُها  |  | أضحتْ أحاديثاً لـمَنْ يتحدّثُ  |
| سُبيتْ على عُجفٍ تعثّر في السّرَى  |  | يحدُو بها مستعجلٌ لا يلبثُ  |
| تعساً لـمَنْ تسبي بناتَ نبيِّها  |  | فبأيِّ عذرٍ عنده تتشبّثُ  |

المجلس التاسع والسّبعون

لـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) صعد ابن زياد المنبر ، فقال : الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب وشيعته. فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتّى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي - وكان من خيار الشّيعة وزهّادها وكانت عينُه اليسرى ذهبت في حرب الجمل والاُخرى في يوم صفّين ، وكان يُلازم المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل ثمّ ينصرف - فقال : يابن

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الزُّمر / 42.

مرجانة ، إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك ومَن استعملك وأبوه. يا عدوّ الله ، أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بهذا الكلام على منابر المسلمين ؟! فغضب ابن زياد وقال : مَن هذا المتكلّم ؟ فقال : أنا المتكلّم يا عدوّ الله ، أتقتل الذرّيّة الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس وطهّرها تطهيراً ، وتزعم أنّك على دين الإسلام ؟! وآغوثاه ! أين أولاد المهاجرين والأنصار ينتقمون منك ومن طاغيتك اللّعين ابن اللّعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين ؟ فازداد غضب ابن زياد حتّى انتفخت أوداجُه وقال : عليّ به. فتبادرت إليه الجلاوزة من كلّ ناحية ليأخذوه ، فقامت الأشراف من الأزد من بني عمّه فخلّصوه منهم وأخرجوه من باب المسجد وانطلقوا به إلى منزله.

فقال ابن زياد : اذهبوا إلى هذا الأعمى أعمى الأزد ، أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه ، فائتوني به. فلمّا بلغ ذلك الأزد اجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم ، وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمّهم إلى محمّد بن الأشعث وأمره بقتال القوم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتّى قتل بينهم جماعة من العرب ، ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف فكسروا الباب واقتحموا عليه ، فصاحت ابنته : أتاك القوم من حيث تحذر. فقال : لا عليك ، ناوليني سيفي. فناولته إيّاه ، فجعل يذبّ عن نفسه ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا ابنُ ذي الفضلِ عفيفِ الطّاهرِ  |  | عفيفُ شيخي وابنُ اُمِّ عامرِ  |
| كمْ دارعٍ منْ قومِكُمْ وحاسرِ  |  | وبطلٍ جدّلتُهُ مغاورِ  |

وجعلت ابنته تقول : يا أبت ، ليتني كنت رجلاً اُخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة ، قاتِلي العترة البررة. وجعل القوم يدورون عليه من كلّ جهة وهو يذبّ عن نفسه ، فليس يقدم عليه واحد ، وكلمّا جاؤوه من جهة قالت ابنته : يا أبت جاؤوك من جهة كذا حتّى تكاثروا عليه وأحاطوا به ، فقالت ابنته : وآذلاّه ! يُحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به. فجعل يدير سيفه ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُقسمُ لو يُفسحُ ليْ عنْ بَصرِي  |  | ضاقَ عليكُمْ موْرِدي ومصدَري  |

قال : فما زالوا به حتّى أخذوه ، ثمّ حُمل فاُدخل على ابن زياد ، فلمّا رآه قال : الحمد لله الذي أخزاك. فقال له عبد الله : يا عدوّ الله ، وبماذا أخزاني ؟

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اُقسمُ لو يُفسحُ ليْ عنْ بَصرِي  |  | ضاقَ عليكُمْ موْرِدي ومصدَري  |

فقال له ابن زياد : يا عدوّ الله ، ما تقول في عثمان بن عفّان ؟ قال : يا عبد بني علاج ، يابن مرجانة ، - وشتمه - ما أنت وعثمان ، أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد ؟ والله تبارك وتعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحقّ ، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه. فقال ابن زياد : والله ، لا أسألك عن شيء أو تذوق الموت غصّة بعد غصّة. فقال عبد الله بن عفيف : الحمد لله ربّ العالمين ، أما إنّي قد كنت أسأل الله ربّي أنْ يرزقني الشّهادة من قبل أنْ تلدك اُمّك ، وسألتُ الله أنْ يجعل ذلك على يد ألعن خلقه وأبغضهم إليه ، فلمّا كفّ بصري يئستُ من الشّهادة ، والآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها ، وعرّفني الإجابة منه في قديم دعائي. فقال ابن زياد : اضربوا عنقه. فضُربت عنقه وصُلب في السّبخة.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أبتْ الحميّةُ أنْ تُفارقَ أهلَها  |  | وأبَى العزيزُ بأنْ يعيشَ ذَليلا  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فيا وقعةً لمْ يُوقعْ الدّهرُ مثلَها  |  | وفادحةً تُنسى لديها فوادحُهْ  |

المجلس الثمانون

لـمّا جيء برأس الحسين (عليه‌السلام) إلى ابن زياد بالكوفة ، أمر ابن زياد فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها ، ولمّا فرغ القوم من التطواف به في الكوفة ، ردّوه إلى باب القصر.

وكتب ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (عليه‌السلام) وخبر أهل بيته ، وتقدّم إلى عبد الملك بن الحارث السلمي فقال : انطلق حتّى تأتي عمرو بن

سعيد بن العاص بالمدينة - وكان أميراً عليها وهو من بني اُميّة - فتُبشّره بقتل الحسين ، وقال : لا يسبقنّك الخبر إليه.

قال عبد الملك : فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة ، فلقيني رجل من قريش فقال : ما الخبر ؟ قلت : عند الأمير تسمعه. قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون قُتل والله الحسين. ولـمّا دخلت على عمرو بن سعيد ، قال : ما وراءك ؟ قلت : ما يسرّ الأمير ، قُتل الحسين بن علي. فقال : اخرج فنادِ بقتله. فناديت فلم أسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي حين سمعوا النّداء بقتله ، فدخلت على عمرو بن سعيد فلمّا رآني تبسّم إلي ضاحكاً ، ثمّ تمثّل بقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وقيل : إنّه لـمّا سمع أصوات نساء بني هاشم ضحك وتمثّل بذلك ، فقال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عجّتْ نِساءُ بَني زيادٍ عجّةً  |  | كعجيجِ نِسوَتِنا غداةَ الأرنَبِ  |

ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمان. ثمّ صعد المنبر وخطب النّاس وأعلمهم قتل الحسين (عليه‌السلام) وقال في خطبته : إنّها لدمَة بلدمة وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة وموعظة بعد موعظة ، حكمة بالغة فما تغني النّذر ، والله لوددت أنّ رأسه في بدنه وروحه في جسده ، أحياناً كان يسبّنا ونمدحه ، ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته ، ولمْ يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمَن سلّ سيفه يريد قتلنا إلاّ أنْ ندفعه عن أنفسنا.

فقام عبد الله بن الصائب فقال : لو كانت فاطمة (عليها‌السلام) حيّة فرأت رأس الحسين (عليه‌السلام) لبكت عليه. فجبهه عمرو بن سعيد وقال : نحن أحقّ بفاطمة منك ؛ أبوها عمّنا وزوجها أخونا وابنها ابننا ، لو كانت فاطمة حيّة لبكت عينها وحرّت كبدها ، وما لامت مَن قتله ودفعه عن نفسه.

وخرجت اُمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين (عليه‌السلام) حاسرةً ومعها أخواتها ؛ اُمّ هانئ وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها بالطفّ ، وهي تقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ماذا تقولونَ إنْ قال النّبيُّ لكُمْ  |  | ماذا فعلتُمْ وأنتُمْ آخِرَ الاُمَمِ  |
| بعترَتي وبأهلي بعدَ مُفتَقَدي  |  | منهُمْ اُسارى وقتلى ضُرّجوا بدَمِ  |

المجلس الواحد والثمانون

كان ابن زياد كتب إلى يزيد كتاباً يُخبره فيه بقتل الحسين (عليه‌السلام) ، فلمّا وصل إليه الكتاب أجابه يأمره بحمل رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس مَن قُتل معه ، وحمل أثقاله ونسائه وعياله إلى الشام.

فأرسل ابن زياد الرؤوس مع زحر بن قيس ، ثمّ أمر بنساء الحسين (عليه‌السلام) وصبيانه فجُهّزوا وأمر بعلي بن الحسين (عليهما‌السلام) فغُلّ إلى عنُقه ، وفي رواية : في يدَيه ورقبته ، ثمّ سرّح بهم في أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذي الجوشن ، وحملهم على الأقتاب وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفّار ، فانطلق بهم حتّى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس ، فلم يُكلّم علي بن الحسين (عليهما‌السلام) أحداً منهم في الطريق بكلمة حتّى بلغوا دمشق. فلمّا انتهوا إلى باب يزيد ، رفع محفر صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة. فأجابه علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( ما ولدت اُمّ محفر أشرّ )).

وسمع يزيد غراباً ينعب فأنشد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لـمّا بَدتْ تلك الحُمولُ وأشرَقتْ  |  | تلك الشُّموسُ على رُبى جَيرونِ  |
| نعبَ الغُرابُ فقلتُ صِحْ أو لا تَصحْ  |  | فلقدْ قضيتُ من الغريمِ دِيوني  |

ولـمّا قربوا من دمشق ، دنت اُمّ كلثوم من شمر فقالت له : لي إليك حاجة. فقال : ما حاجتك ؟ قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظّارة ، وتقدّم إليهم أنْ يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها ؛ فقد خُزينا من كثيرة النّظر إلينا ونحن في هذه الحال. فأمر - في جواب سؤالها - أنْ تُجعل الرؤوس على الرّماح في أوساط المحامل ؛ بغياً منه وكفراً ، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق ، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام

السبي.

وجاء شيخ فدنا من نساء الحسين (عليه‌السلام) وعياله ، وقال : الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( يا شيخ ، هل قرأت القرآن ؟ )). قال : نعم. قال : (( فهل عرفت هذه الآية :( قُل لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا الْمَوَدّةَ فِي الْقُرْبَى )(1) ؟ )). قال : قد قرأت ذلك. فقال له علي (عليه‌السلام) : (( فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في سورة بني إسرائيل :( وَآتِ ذَا الْقُرْبَى‏ حَقّهُ)(2) ؟ )). فقال: قد قرأت ذلك. فقال علي (عليه‌السلام) : (( فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت الآية :( واعْلَمُوا أَنّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْ‏ءٍ فَأَنّ للّهِ‏ِ خُمُسَهُ وَلِلرّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى )(3) ؟ )). قال : نعم. فقال علي (عليه‌السلام) (( فنحن القربى يا شيخ. ولكن هل قرأت :( إِنّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً )(4) ؟ )). قال : قد قرأت ذلك. فقال علي (عليه‌السلام) : (( فنحن أهل البيت الذين خصّنا الله بآية الطهارة يا شيخ )).

قال : فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به ، وقال : بالله إنّكم هم ؟ فقال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( تالله ، إنّا لنحن هم من غير شكّ وحقّ جدِّنا رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إنّا لنحن هم )). فبكى الشيخ ورمى عمامته ثمّ رفع رأسه إلى السّماء وقال : اللهمَّ ، إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد. ثمّ قال : هل لي من توبة ؟ فقال (عليه‌السلام) له : (( نعم ، إنْ تبتَ تاب الله عليك وأنت معنا )). فقال : إنّي تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقُتل.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وأجلُّ يومٍ بعد يومِكَ حلَّ في الْـ  |  | إسلامِ منهُ يشيبُ كلُّ جَنينِ  |
| يومٌ سَرتْ أسرَى كما شاءَ العِدى  |  | فيهِ الفواطمُ من بني ياسينِ  |
| لا طابَ عيشُكَ يا زمانُ ولا جَرتْ  |  | أنهارُ مائِكَ للورَى بمعينِ  |

المجلس الثاني والثمانون

عن سهل بن سعد أنّه قال : خرجت إلى بيت المقدس حتّى توسطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار كثيرة الأشجار وقد علّقوا السّتور والحُجب والديباج

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الشورى / 23.

(2) سورة الإسراء / 26.

(3) سورة الأنفال / 41.

(4) سورة الأحزاب / 33.

وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول ، فقلت في نفسي : ترى لأهل الشام عيد لا نعرفه نحن ! فرأيت قوماً يتحدّثون فقلت : يا قوم ، ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن ؟ قالوا : يا شيخ ، نراك غريباً. فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله). قالوا : يا سهل ، ما أعجب السّماء لا تمطر دماً والأرض لا تنخسف بأهلها ! قلت : ولِم ذاك ؟ قالوا : هذا رأس الحسين عترة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يُهدى من أرض العراق. فقلت : وآ عجباً يُهدى رأس الحسين (عليه‌السلام) والنّاس يفرحون ! وقلت : من أيّ باب يدخل ؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب السّاعات ، فبينا أنا كذلك حتّى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السّنان عليه رأس من أشبه النّاس وجهاً برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، فإذا من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء ، فدنوت من اُولاهن فقلت : يا جارية ، مَن أنت ؟ فقالت : أنا سكينة بنت الحسين. فقلت لها : ألك حاجة إليّ فأنا سهل بن سعد ممَّن رأى جدّك وسمعت حديثه ؟ قالت : يا سهل ، قُل لصاحب هذا الرأس أنْ يُقدّم الرأس أمامنا حتّى يشتغل النّاس بالنظر إليه ، ولا ينظروا إلى حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله). قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس فقلت له : هل لك أنْ تقضي حاجتي وتأخذ منّي أربعمئة دينار ؟ قال : ما هي ؟ قلت : تقدّم الرأس أمام الحرم. ففعل ذلك ودفعت إليه ما وعدته.

وروي أنّ بعض فضلاء التابعين ، وهو خالد بن معدان ، لـمّا شاهد رأس الحسين (عليه‌السلام) بالشام ، أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه ، فلمّا وجدوه بعد إذ فقدوه وسألوه عن سبب ذلك ، فقال : ألا ترون ما نزل بنا ؟! ثمّ أنشأ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| جاؤوا برأسِكَ يابنَ بنتِ محمّد  |  | مترمّلاً بدمائِهِ تَرمِيلا  |
| وكأنّما بكَ يابنَ بنتِ محمّد  |  | قَتلوا جَهاراً عامِدينَ رَسُولا  |
| قتلُوكَ عطشاناً ولـمّا يَرقُبوا  |  | في قتلِكَ التّأويلَ والتّنْزيلا  |
| ويكبّرونَ بأنْ قُتلتَ وإنّما  |  | قتلوا بكَ التّكبيرَ والتّهليلا  |

\* \* \*

المجلس الثالث والثمانون

لـمّا اُدخل ثقل الحسين (عليه‌السلام) ونساؤه ومَن تخلّف من أهله على يزيد ، وهم مقرونون في الحبال وزين العابدين (عليه‌السلام) مغلول ، ووقفوا بين يدَيه وهم على تلك الحال ، قال له علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( اُنشدك الله يا يزيد ، ما ظنّك برسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) لو رآنا على هذه الصفة ؟ )). فلم يبقَ في القوم أحد إلاّ وبكى ، فأمر يزيد بالحبال فقُطعت وأمر بفكّ الغلّ عن زين العابدين (عليه‌السلام) ، ثم وضع رأس الحسين (عليه‌السلام) بين يدَيه وأجلس النّساء خلفه ؛ لئلاّ ينظرن إليه ، فجعلت فاطمة وسكينة يتطاولان لينظرا إلى الرأس ، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس ، فلما رأينَ الرأس صِحن فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية ، فقالت فاطمة بنت الحسين (عليه‌السلام) : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ؟ فبكى النّاس وبكى أهل داره حتّى علت الأصوات.

وأمّا زينب (عليها‌السلام) ، فإنّها لـمّا رأته أهوت إلى جيبها فشقّته ، ثمّ نادت بصوت حزين يُقرح القلوب : يا حسيناه ! يا حبيب رسول الله ! يابن مكّة ومِنى ! يابن فاطمة الزهراء سيّدة النّساء ! يابن بنت المصطفى !

قال الراوي : فأبكت والله كلّ مَن كان حاضراً في المجلس ويزيد ساكت ، ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تندب الحسين(عليه‌السلام) وتنادي : يا حبيباه ! يا سيّد أهل بيتاه ! يابن محمّداه ! يا ربيع الأرامل واليتامى ! يا قتيل أولاد الأدعياء ! فأبكت كلّ مَن سمعها.

وكان في السّبايا الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين (عليه‌السلام) ، وهي اُمّ سكينة بنت الحسين (عليه‌السلام) واُمّ عبد الله الرضيع المقتول بكربلاء ، وهي التي يقول فيها الحسين (عليه‌السلام).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لعَمرُكَ إنّني لاُحبُّ داراً  |  | تحلُّ بها سَكينَةُ والرَّبابُ  |
| اُحِبُّهُما وأبذلُ فوقَ جهدي  |  | وليس لعاذلٍ عندي عِتابُ  |
| ولستُ لهمْ وإنْ عَتبوا مُطيعاً  |  | حَياتي أو يُغيّبُني التُّرابُ  |

فقيل : إنّ الرّباب أخذت الرأس ووضعته في حجرها وقبّلته ، وقالت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وآ حُسينا فلا نَسيتُ حُسيناً  |  | أقصَدتْهُ أسنَّةُ الأعداءِ  |
| غادَرُوهُ بكربَلاءَ صَريعاً  |  | لا سقَى اللهُ جانِبي كربلاءِ  |

المجلس الرابع والثمانون

لـمّا وُضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين (عليه‌السلام) ، جعل يتمثل بقول الحُصين بن الحمام الـمُرّي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| صَبرْنا وكان الصّبرُ منّا سَجيّةً  |  | بأسيافِنا تَفرينَ هاماً ومِعصَمَا  |
| أبَى قومُنا أنْ يُنصفونا فأنصَفتْ  |  | قواضِبُ في أَيمانِنا تَقطرُ الدِّمَا  |
| نفلّقُ هَاماً منْ رجالٍ أعزّةٍ  |  | علينا وهُمْ كانوا أعقَّ وأظلمَا  |

ودعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين (عليه‌السلام) ، ثمّ قال : يوم بيوم بدر. وكان عنده أبو برزة الأسلمي فقال : ويحك يا يزيد ، أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة ؟! أشهد لقد رأيت النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول : (( أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة ، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً )). فغضب يزيد وأمر بإخراجه فاُخرج سحباً.

وفي رواية : أنّ يزيد دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ، ثمّ دعا بعلي بن الحسين (عليهما‌السلام) وصبيان الحسين (عليه‌السلام) ونسائه فاُدخلوا عليه والنّاس ينظرون ، ثمّ قال يزيد لعلي بن الحسين (عليهما‌السلام) : يابن الحسين ، أبوك قطع رحِمي وجهل حقّي ونازعني سُلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت. فقال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : ( مَا أَصَابَ مِن مُصِيَبةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنّ ذلِكَ عَلَى‏ اللّهِ يَسِيرٌ \* لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى‏ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لَا يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ )(1).

وقال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) :

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الحديد / 22 - 23.

(( يابن معاوية وهند وصخر ، لقد كان جدّي عليُّ بن أبي طالب في يوم بدر واُحُد والأحزاب في يده راية رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار )). ثمّ قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( ويلك يا يزيد ! إنّك لو تدري ماذا صنعت ، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعموتي ، إذاً لهربت في الجبال ، وافترشت الرماد(1) ، ودعوتَ بالويل والثبور ، أنْ يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب مدينتكم ، وهو وديعة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فيكم ؟! )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وما رأتْ أنبياءُ اللهِ منْ مِحنٍ  |  | وأوصياؤهُمُ في سالفِ الحُقَبِ  |
| كمِحنةِ السيّدِ السجّادِ حينَ أتتْ  |  | يزيدَ نِسوتُهُ أسْرى على النُّجبِ  |
| أمامَها رُفِعتْ فوقَ الأسنَّةِ منْ  |  | حُماتِها أرؤسٌ فاقتْ سَنا الشُّهبِ  |

المجلس الخامس والثمانون

لـمّا جيء برأس الحسين (عليه‌السلام) إلى يزيد بالشام ، دعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين (عليه‌السلام) ويقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهدوا  |  | جَزعَ الخزْرجِ منْ وقْعِ الأسلْ  |
| لأهلّوا واسْتهلّوا فرحاً  |  | ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تشلْ  |
| قد قتلنا القَرمَ منْ ساداتهمْ  |  | وعدلناه ببدرٍ فاعتَدلْ  |
| لعبتْ هاشمُ بالـمُلكِ فلا  |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزلْ  |
| لستُ من خِندفَ إنْ لم أنتقمْ  |  | مِن بني أحمدَ ما كانَ فعلْ  |

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) وردت المفردة في مصادر اُخرى ( الرّمال ) ، ولعلها الأقرب ؛ تساوقاً مع المعنى ووحدة السياق ، وكذلك مفردتي ( أنْ يكون ) فقد وردتا ( أيكون ) وهو الأقرب أيضاً. (موقع معهد الإمامين الحسنين)

فقامت زينب بنت علي (عليهما‌السلام) فقالت : الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله كذلك حيث يقول : ( ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون )(1). أظننتَ يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء ، أنّ بنا هواناً على الله وبك كرامة ؟ وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عِطفك جذلان مسروراً ؛ حيث رأيت الدّنيا لك مستوسقة والاُمور متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ( ولَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ ِلأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ )(2) ؟

أمِن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) سبايا قد هتكت ستورهنَّ وأبديت وجوههنَّ ، تحدوا بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهنَّ أهل المناهل والمناقل ، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والدّنيء والشريف ، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمي ولا من رجالهنّ وَلي ؟! وكيف ترتجى مراقبة ابن مَن لفط فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟! وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان ؟! ثمّ تقول غير متأثّم ولا مستعظم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لأهلُّوا واستهلُّوا فَرحاً  |  | ثُمّ قالوا يا يزيدُ لا تشَلْ  |

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمخصرتك ! وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرّيّة محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ؟! وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم ! فلتردنّ وشيكاً موردَهم ، ولتودنّ أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت.

اللهمَّ ، خُذ لنا بحقّنا وانتقم ممَّن ظلمنا ، وأحلل غضبك بمَن سفك دماءنا وقتل حماتنا. فوالله ، ما فريتَ إلّا جلدك ولا حززت إلّا لحمك ، ولتردنّ على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيّته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولُحمته ،

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة الروم / 10.

(2) سورة آل عمران / 178.

( ولَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ )(1). وحسبُك بالله حاكماً وبمحمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) خصيماً ، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً وأنّكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً ! ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك أنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكبر توبيخك ، لكن العيون عَبرى والصدور حَرّى.

ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النّجباء بحزب الشيطان الطلقاء ! فهذه الأيدي تنظف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعقرها اُمّهات الفراعل(2) ، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنّنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ، وما ربّك بظلاّم للعبيد ، فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكد كيدك واسعَ سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله ، لا تمحو ذكرنا ولا تُميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلاّ فَنَد ، وأيّامك إلّا عدد ، وجمعك إلّا بدد ، يوم يُنادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين. فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أنْ يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد مجيباً لها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا صيحةً تحمَدُ منْ صَوائحِ  |  | ما أهونَ النَّوحِ على النَّوائحِ  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فقُلْ لسرايا شَيبةِ الحَمدِ ما لكمْ  |  | قعدتُمْ وقدْ ساروا بنسوتِكُمْ أسرَى  |
| وأعظمُ ما يُشجي الغيورَ دخولُها  |  | إلى مجلسٍ ما بارحَ اللهوَ والخمْرا  |
| يقارضُها فيهِ يزيدُ مَسبَّةً  |  | ويَصرفُ عنها وجهَهُ مُعرضاً كِبرا  |

المجلس السّادس والثمانون

لـمّا اُدخل عيال الحسين (عليه‌السلام) وبناته على يزيد بالشام ، نظر رجل من أهل الشام

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة آل عمران / 169.

(2) العواسل ، جمع عاسل ، يقال عسل الذئب : إذا اضطرب في عدوه وهزّ رأسه. والفرعل كـ ( قنفذ ) : وَلد الضبع ، جمعه فراعل. واُمّهات الفراعل : الضباع. - المؤلّف -

أحمر إلى فاطمة بنت الحسين (عليهما‌السلام) فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه الجارية. قالت فاطمة : فارتعدت وظننت أنّ ذلك جائز عندهم ، فأخذت بثياب عمّتي زينب وقلت : يا عمّتاه ! أوتمت واُستخدم ؟! وكانت عمّتي تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت عمّتي : لا حبّاً ولا كرامة لهذا الفاسق. وقالت للشامي : كذبت والله ولؤمت ، والله ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد وقال : كذبت ، إنّ ذلك لي ولو شئت أنْ أفعل لفعلت. قالت زينب : كلاّ والله ، ما جعل الله لك ذلك إلّا أنْ تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها. فاستطار يزيد غضباً وقال : إيّاي تستقبلين بهذا ! إنّما خرج من الدّين أبوك وأخوك. قالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك إنْ كنت مسلماً. قال : كذبتِ يا عدوّة الله. قالت له : أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك. فكأنّه استحيا وسكت. فعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد : اعزب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً.

وفي رواية : فقال الشامي : مَن هذه الجارية ؟ فقال : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي. فقال الشامي : الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب ؟! فقال : نعم. فقال الشامي : لعنك الله يا يزيد ، تقتل عترة نبيّك وتسبي ذرّيّته ! والله ، ما توهّمت إلّا أنّهم من سبي الروم. فقال يزيد : والله لألحقنّك بهم. ثمّ أمر به فضُربت عنقه.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أفَتدَّعي الإسلامَ قومٌ حاربَتْ  |  | آلَ النَّبيِّ ولمْ تراعِ وصاتَا  |
| وسَبتْ ذَراري أحمدٍ ونساءَهُ  |  | أسرَى تجوبُ بها رُبىً وفلاتَا  |

المجلس السّابع والثمانون

لـمّا جيء بسبايا أهل البيت (عليه‌السلام) إلى يزيد بالشام ، أمر يزيد بمنبر وخطيب ، وأمر الخطيب أنْ يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه صلوات الله عليهما ، فصعد

الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ بالغ في ذمّ أمير المؤمنين والحسين الشهيد ، وأطنب في مدح معاوية ويزيد فذكرهما بكلّ جميل ، فصاح به علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( ويلك أيّها الخاطب ! اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، فتبوّأ مقعدك من النار )). ثم قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( يا يزيد ، أتأذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات لله فيهنّ رضىً ولهؤلاء الجلساء فيهنّ أجر وثواب ؟ )). فأبى يزيد عليه ذلك ، فقال النّاس: يا أمير المؤمنين ، ائذن له فليصعد المنبر فلعلّنا نسمع منه شيئاً. فقال : إنّه إنْ صعد لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له : وما قدر ما يُحسن هذا ؟ فقال : إنّه من أهل بيت زقّوا العلم زقّاً. فلم يزالوا به حتّى أذِن له ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ خطب خطبة أبكى فيها العيون وأوجل منها القلوب ، ثمّ قال : (( أيّها النّاس ، اُعطينا ستّاً وفُضّلنا بسبع ؛ اُعطينا العلم والحلم ، والسّماحة والفصاحة ، والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفُضلّنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله ) ، ومنّا الصدّيق ومنّا الطيّار ، ومنّا أسد الله وأسد رسوله ، ومنّا سيّدة نساء العالمين ، ومنّا سبطا هذه الاُمّة.

مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي... )) فلم يزل يقول : (( أنا... أنا )) حتّى ضجّ النّاس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد أنْ تكون فتنة ، فأمر المؤذّن فقطع عليه الكلام ، فلمّا قال المؤذّن : الله أكبر ، الله أكبر. قال علي بن الحسين (عليهما‌السلام) : (( لا شيء أكبر من الله )). فلمّا قال : أشهد أنْ لا إله إلّا الله ، قال علي بن الحسين (عليه‌السلام) : (( شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي )). فلمّا قال المؤذّن : أشهد أنّ محمّداً رسول الله. التفت (عليه‌السلام) من فوق المنبر إلى يزيد فقال : (( محمّد هذا جدّي أم جدّك يا يزيد ؟ فإنْ زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت ، وإنْ زعمت أنّه جدّي فلِم قتلت عترته ؟ )).

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي حيث يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا اُمّةً كفرتْ وفي أفواهِها القُر  |  | آنُ فيهِ ضَلالُها ورشَادُها  |
| أعَلَى المنابرِ تُعلِنونَ بسبِّهِ  |  | وبسيفِهِ نُصبتْ لكُمْ أعوادُها  |
| تلكَ الضَّغائنُ لمْ تَزلْ بدريةً  |  | قتِل الحُسينُ وما خبتْ أحقادُها  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُصلّى على المبعوثِ منْ آلِ هاشمٍ  |  | ويغزَى بنوهُ إنّ ذا لعجيبُ  |

المجلس الثامن والثمانون

دعا يزيد يوماً بعلي بن الحسين (عليهما‌السلام) وعمرو بن الحسن (عليه‌السلام) ، وكان عمرو غلاماً صغيراً يقال أنّ عمره إحدى عشرة سنة ، فقال له : أتصارع هذا ؟ يعني ابنه خالداً. فقال له عمرو : لا ، ولكن أعطني سكّيناً وأعطه سكّيناً ، ثمّ اُقاتله. فقال يزيد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شَنْشنةٌ أعرفُها من أخزمِ  |  | هلْ تلدُ الحيَّةُ إلّا الحيَّهْ  |

وخرج زين العابدين (عليه‌السلام) يوماً يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهال بن عمرو ، فقال له : كيف أمسيت يابن رسول الله ؟ قال : (( أمسينا كمَثل بني إسرائيل في آل فرعون ؛ يُذبِّحون أبناءهم ويَستحيون نساءهم. يا منهال، أمستْ العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً عربي ، وأمستْ قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون ، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أمسينا فيه يا منهال )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يُعظّمونَ لهُ أعوادَ مِنبرهِ  |  | وتحتَ أرجُلهِمْ أولادُهُ وُضِعوا  |
| بأيِّ حكمٍ بَنوهُ يتْبعونكُمُ  |  | وفخركُمُ أنّكمْ صحبٌ لهُ تَبعُ  |

وكان يزيد وعد علي بن الحسين (عليهما‌السلام) يوم دخولهم عليه أنْ يقضي له ثلاث حاجات ، فقال له : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن. فقال له (عليه‌السلام) : (( الاُولى : أنْ تُريني وجه سيّدي ومولاي وأبي الحسين (عليه‌السلام) ، فأتزوّد منه وأنظر إليه واُودّعه ، والثانية : أنْ تردّ علينا ما اُخذ منّا ، والثالثة : إنْ كنتَ عزمتَ على قتلي ، أنّ توجّه مع هؤلاء النّساء مَن يردّهنّ إلى حرم جدّهنّ (صلى‌الله‌عليه‌وآله) )). فقال : أمّا وجه أبيك فلن تراه أبداً ؛ وأمّا قتلك فقد عفوت عنك ؛ وأمّا النّساء فما يردّهنّ غيرك إلى المدينة ؛ وأمّا ما اُخذ منكم فأنا اُعوّضكم عنه أضعاف قيمته. فقال (عليه‌السلام) : (( أمّا مالَك فلا نُريده وهو موفّر عليك ، وإنّما طلبتُ ما اُخذ منّا ؛ لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ومقنعتها وقلادتها وقميصها )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لقدْ تحمّلَ مِن أرزائِها مِحناً  |  | لمْ يحْتَملْها نَبيٌّ ووصيُّ نَبي  |
| وإنّ أعظَمَ ما لاقاهُ مُحتَسباً  |  | عندَ الإلهِ فسَامَى كلَّ مُحتَسبِ  |
| حملُ الفواطِمِ أسرَى للشآمِ على  |  | عُجفِ النِّياقِ تُقاسي نَهسةَ القَتَبِ  |

المجلس التاسع والثمانون

لـمّا رجع أهل البيت (عليهم‌السلام) من الشام إلى المدينة ، قالوا للدليل : مُر بنا على طريق كربلاء. فلمّا وصلوا إلى موضع المصرع ، وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري ، وجماعة من بني هاشم ، ورجالاً من آل الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (عليه‌السلام) ، فتوافوا في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم ، وأقاموا المآتم واجتمع عليهم أهل ذلك السّواد ، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطيّة العوفي قال : خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي‌الله‌عنه) زائراً قبر الحسين (عليه‌السلام) ، فلمّا وردنا كربلاء ، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثمّ ائتزر بإزار وارتدى بآخر ، ثمّ فتح صرّة فيها سعد فنثرها على بدنه ، ثمّ لمْ يخطُ خطوة إلّا ذكر الله تعالى ، حتّى إذا دنا من القبر قال : المسنيه يا عطيّة. فألمسته إيّاه ، فخرّ على القبر مغشيّاً عليه ، فرششت عليه شيئاً من الماء ، فلمّا أفاق قال : يا حسين ! ( ثلاثاً ) ثمّ قال : حبيب لا يُجيب حبيبه. ثمّ قال : وأنّى لك بالجواب وقد شُخبت أوداجك على أثباجك وفُرّق بين بدنك ورأسك ، أشهد أنّك ابن خير النبيّين وابن سيّد المؤمنين ، وابن حليف التّقوى وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا وابن سيّد النّقبا وابن فاطمة سيّدة النّساء ، وما لك لا تكون هكذا وقد غذّتك كفّ سيّد المرسلين ، وربيت في حجر المتّقين ، ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام ، فطبت حيّاً وطبت ميتاً ، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة بفراقك ، ولا شاكّة في حياتك ، فعليك سلام الله ورضوانه ، وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريّا (عليه‌السلام).

ثمّ جال ببصره

حول القبر وقال : السّلام عليكم أيّتها الأرواح التي حلّت بفِناء الحسين (عليه‌السلام) وأناختْ برحله ، أشهد أنّكم أقمتم الصّلاة وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين. والذي بعث محمّداً بالحقّ لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطيّة : فقلت لجابر : فكيف ولمْ نهبط وادياً ولمْ نعلُ جبلاً ولمْ نضرب بسيف ، والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم ، واُوتمت أولادهم ، واُرملت الأزواج ؟! فقال لي : يا عطيّة ، سمعت حبيبي رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) يقول : (( مَن أحبّ قوماً حُشر معهم ، ومَن أحبّ عمل قوم اُشرك في عملهم )). والذي بعث محمّداً (صلى‌الله‌عليه‌وآله) بالحقّ ، إنّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين (عليه‌السلام) وأصحابه.

قال عطيّة : فبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد طلع من ناحية الشام ، فقلت : يا جابر ، هذا سواد قد طلع من ناحية الشام. فقال جابر لعبده : انطلق إلى هذا السّواد واتنا بخبره ؛ فإنْ كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلّنا نلجأ إلى ملجأ ، وإنْ كان زين العابدين فأنت حُرّ لوجه الله تعالى.

قال : فمضى العبد فما كان بأسرع من أنْ رجع وهو يقول : يا جابر ، قُم واستقبل حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، هذا زين العابدين (عليه‌السلام) قد جاء بعمّاته وأخواته. فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس إلى أنْ دنا من زين العابدين (عليه‌السلام) ، فقال الإمام : (( أنت جابر ؟ )). قال : نعم يابن رسول الله. فقال : (( يا جابر ، هاهنا والله قُتلت رجالنا وذُبِحت أطفالنا ، وسُبيت نساؤنا وحُرقت خيامنا )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ولكَمْ مَررتُ بكربلا مُتمَثلاً  |  | شُهداءَها صَرعى على رَبواتِها  |
| فوقفْتُ واسْتوقَفتُ فيها عُصبةً  |  | وقَفوا نواظرَهُمْ على عبَراتِها  |

المجلس التسعون

لـمّا رجع علي بن الحسين (عليهما‌السلام) بعمّاته وأخواته من الشام ، مرّوا على كربلاء ثمّ انفصلوا عنها طالبين المدينة.

قال بشير بن جذلم : فلمّا قربنا منها ، نزل علي بن

الحسين (عليهما‌السلام) فحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه ، وقال : (( يا بشير ، رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟ )). قلت : بلى يابن رسول الله ، إنّي لشاعر. قال : (( فادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله )).

قال بشير : فركبت فرسي وركضت حتّى دخلت المدينة ، فلمّا بلغت مسجد النّبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، رفعت صَوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكُمْ بها  |  | قُتل الحُسينُ فأدمُعي مِدرارُ  |
| الجسمُ منهُ بكربلاءَ مُضرّجٌ  |  | والرأسُ منهُ على القناةِ يُدارُ  |

ثم قلت : يا أهل المدينة ، هذا علي بن الحسين (عليهما‌السلام) مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم اُعرّفكم مكانه. قال : فما بقيت بالمدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهن ، مكشوفة شعورهن ، مخمشة وجوههن ، ضاربات خدودهن يدعين بالويل والثبور ، ولمْ يبقَ بالمدينة أحد إلّا خرج وهم يضجّون بالبكاء ، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ، وسمعتُ جارية تنوح على الحسين (عليه‌السلام) وتقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نعَى سيّدي ناعٍ نعاهُ فأوجَعا  |  | وأمرَضَني ناعٍ نعاهُ فأفجَعا  |
| فعينَيَّ جودا بالدموعِ وأسكبا  |  | وجودا بدمعٍ بعدَ دمْعِكُما مَعا  |
| على مَنْ دهَى عرشَ الجليلِ فزَعْزعا  |  | فأصبحَ هذا المجدُ والدّينُ أجدَعا  |
| على ابن نبيِّ اللهِ وابنِ وصيِّهِ  |  | وإنْ كان عنَّا شاحطَ الدّارِ أشْسَعا  |

ثم قالت : أيّها الناعي ، جدّدت حزننا بأبي عبد الله (عليه‌السلام) ، وخدشت منّا قروحاً لـمّا تندمل ، فمَن أنت رحمك الله ؟ فقلت : أنا بشير بن جذلم ، وجّهني مولاي علي بن الحسين (عليهما‌السلام) وهو نازل بموضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله الحسين (عليه‌السلام) و نسائه. قال : فتركوني مكاني وبادروني ، فضربت فرسي حتّى رجعت إليهم ، فوجدت النّاس قد أخذوا الطريق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطّأت رقاب النّاس حتّى قربت من باب الفسطاط ، وكان علي بن الحسين (عليهما‌السلام) داخلاً

فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي ، فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة ، وارتفعت أصوات النّاس بالبكاء من كلّ ناحية يعزّونه ، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة ، فأومأ بيده أنْ اسكتوا ، فسكنت فورتهم ، فقال : (( الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدّين بارئ الخلائق أجمعين ، الذي بعُد فارتفع في السّماوات العُلا وقَرُب فشهد النّجوى ، نحمده على عظائم الاُمور وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة.

أيّها القوم ، إنّ الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة ؛ قُتل أبو عبد الله وعترته ، وسُبي نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السّنان ، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها النّاس ، فأيّ رجالات منكم يُسرّون بعد قتله ؟! أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله ؟! أم أيّ عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها ؟! فلقد بكتْ السّبع الشّداد لقتله ، وبكتْ البحار بأمواجها ، والسّماوات بأركانها والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها والحيتان في لُجج البحار ، والملائكة المقرّبون وأهل السّماوات أجمعون.

أيّها النّاس ، أيّ قلب لا ينصدع لقتله ؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه ؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثّلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم ؟!

أيّها النّاس ، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين إنْ هذا إلّا اختلاق ! والله ، لو أنّ النبي (صلى‌الله‌عليه‌وآله) تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا ، لما زادوا على ما فعلوا بنا ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها ، وأكظّها وأفظعها ، وأمرّها وأفدحها ، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا ، إنّه عزيز ذو انتقام )).

ثم دخل زين العابدين (عليه‌السلام) المدينة فرآها مُوحشة باكية ، ووجد ديار أهله خالية تنعى أهلها وتندب سكّانها.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَررتُ على أبياتِ آلِ محمّدٍ  |  | فلَمْ أرَها أمثالها يوم حُلَّتِ  |
| فلا يُبعدُ الله الدّيارَ وأهلَها  |  | وإنْ أصبحتْ منهم برغم تخَلَّتِ  |

المجلس الواحد والتسعون

قال الصادق (عليه‌السلام) : (( البكّاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمّد ، وعلي بن الحسين (عليه‌السلام) ؛ فأمّا آدم (عليه‌السلام) فبكى على الجنّة ؛ أمّا يعقوب فبكى على يوسف (عليه‌السلام) حتّى ذهب بصره ، وحتّى قيل له :( تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ )؛ وأمّا يوسف فبكى على يعقوب (عليه‌السلام) حتّى تأذّى به أهل السّجن فقالوا : إمّا أنْ تبكي بالنّهار وتسكت بالليل ، وإمّا أنْ تبكي بالليل وتسكت بالنّهار ، فصالحهم على واحد منهما ؛ وأمّا فاطمة بنت محمّد (صلى‌الله‌عليه‌وآله) فبكت على رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) حتّى تأذّى بها أهل المدينة ، وقالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك ، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتّى تقضي حاجتها ثمّ تنصرف ؛ وأمّا علي بن الحسين (عليه‌السلام) فبكى على أبيه الحسين أربعين سنة ، وما وُضع بين يدَيه طعام إلّا بكى حتّى قال له مولىً له : جُعلت فداك يابن رسول الله إنّي أخاف عليك أنْ تكون من الهالكين. قال : إنّما أشكو بثّي وحُزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة )).

وعن الصادق (عليه‌السلام) أنّه بكى على أبيه الحسين (عليه‌السلام) أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله ، فإذا حضره الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يدَيه ، فيقول : (( قُتل ابن رسول الله جائعاً ، قُتل ابن رسول الله عطشان )). فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتّى يبل طعامه من دموعه ثمّ يمزج شرابه بدموعه ، فلم يزل كذلك حتّى لحق بالله عزّ وجل.

وفي رواية : أنّه كان إذا حضر الطعام لإفطاره ، ذكر قتلاه وقال : (( وآ كربلاء ! )) يُكرّر ذلك ويقول : (( قُتل ابن رسول الله جائعاً ، قُتل ابن رسول الله عطشان )) حتّى يبل بالدموع ثيابه.

وحدّث مولى له : أنّه برز يوماً إلى الصحراء ، قال : فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه ، وأحصيت عليه ألف مرّة وهو يقول : (( لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً ، لا إله إلّا الله تعبّداً ورقّاً ، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً )). ثمّ رفع رأسه من سجوده وإذا لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه ، فقلت : يا سيّدي ، أما آن لحزنك أنْ ينقضي ولبكائك أنْ يقل ؟ فقال لي : (( ويحك ! إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيّاً ابن نبي ، له اثنا عشر ابناً ، فغيّب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغمّ ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حيّ في دار الدّنيا ! وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقلّ بكائي ؟! )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لله أعباءُ صبرٍ قدْ تَحمَّلهَا  |  | لمْ يحْتملْها نبيٌّ ووصيُّ نبي  |
| هذي المصائِبُ لا ما كان في قِدمٍ  |  | لآلِ يعقوبَ منْ حُزنٍ ومن كُربِ(1)  |

المجلس الثاني والتسعون

لـمّا قُتل الحسين (عليه‌السلام) ، أتى عبد الله بن الزّبير فدعا ابن عبّاس إلى بيعته فامتنع ابن عبّاس ، وظنّ يزيد أنّ امتناع ابن عبّاس تمسّك منه ببيعته ، فكتب إليه : أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزّبير دعاك إلى بيعته والدخول في طاعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المآثم شريكاً ، وأنّك اعتصمت ببيعتنا وفاءً منك لنا وطاعة لله لما عرَّفك من حقِّنا ، فجزاك الله عن ذي رحم خير ما يجزي الواصلين لأرحامهم ، الموفين بعهودهم ، فما أنسَ من الأشياء فلست بناسٍ بِرّك وتعجيل صلتك بالذي

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) ورد البيتان في المجالس بهذا النحو :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذي المصائبُ لا مصائب آلِ يَعـ  |  | ـقوبَ وإنْ صدعَ الهوى إلمامَها  |
| لقدْ تحمّلَ منْ أرزائها مِحناً  |  | لمْ يحْتملْها نبيٌّ ووصيُّ نبيْ  |

وفيهما من الخلل العروضي ما لا يخفى ، وقد اعتمدنا تثبيتهما على مصدرهما الأساس بعد أن وجدناهما ضمن قصيدة للمرحوم عبد الحسين شكر متألفة من 37 بيتاً. (موقع معهد الإمامين الحسنين)

أنت له أهل من القرابة من الرّسول ، فانظر مَن طلع عليك من الآفاق ممَّن سحرهم ابن الزّبير بلسانه وزُخرف قوله ، فأعلمهم برأيك ؛ فإنّهم منك أسمع ولك أطوع ، والسّلام.

فكتب إليه ابن عبّاس : أمّا بعد ، فقد جاءني كتابك تذكر فيه دعاء ابن الزّبير إيّاي إلى بيعته والدخول في طاعته، فإنْ يكن ذلك كذلك ، فإنّي والله ما أرجو بذلك برّك ولا حمدك ، ولكنّ الله بالذي أنوي به عليم. وزعمت أنّك غير ناسٍ برّي وتعجيل صلتي ، فاحبس أيّها الإنسان برّك وتعجيل صلتك فإنّي حابس عنك ودّي ، فلَعمري ما تؤتينا ممّا لنا قِبلك من حقِّنا إلّا اليسير ، وأنّك لتحبس عنّا منه العريض الطويل. وسألت أنْ أحثّ النّاس إليك وأنْ اُخذّلهم عن ابن الزّبير ، فلا ولاء و لا سرور ولا حباء ، إنّك تسألني نصرتك وتحثّني على ودّك وقد قتلت حسيناً (عليه‌السلام) وفتيان عبد المطّلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام ، غادرتْهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرمّلين بالدّماء ، مسلوبين بالعراء ، لا مكفّنين ولا موسّدين ، تسفي عليهم الرياح وتنتابهم عرج الضّباع حتّى أتاح الله بقوم لم يشركوا في دمائهم كفّنوهم وأجنوهم ، وجلست مجلسك الذي جلست ! فما أنسى من الأشياء فلستُ بناسٍ طرادك حسيناً (عليه‌السلام) من حرم رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) إلى حرم الله وتسييرك إليه الرجال لتقتله في الحرم ، فما زلتَ بذلك وعلى ذلك حتّى أشخصته من مكّة إلى العراق ، فخرج خائفاً يترقّب ، فزلزلت به خيلك ؛ عداوةً منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً ، اُولئك لا كآبائك الجلاّف الجفاة أشباه الحمير. فطلب إليكم الحسين (عليه‌السلام) الموادعة وسألكم الرّجعة ، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته ، فتعاونتم عليه كأنّكم قتلتم أهل بيت من الترك ، فلا شيء أعجب عندي من طلبتك وُدّي وقد قتلتَ ولد أبي وسيفك يقطر من دمي ، وأنت أحد ثأري ! وإنشاء الله لا يبطل لديك دمي ولا تسبقني بثأري ، وإنْ سبقتني في الدّنيا فقبل ذلك ما قُتل النبيّون وآل النبيّين فيطلب الله بدمائهم ، فكفى بالله للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً.

ألا وإنّ من أعجب الأعاجيب ، وما عسى أنْ أعجب ، حملك بنات عبد المطّلب وأطفالاً صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب ، تُري النّاس أنّك

قهرتنا ، وأنت تمنّ علينا وبنا مَنّ الله عليك ! ولعمر الله ، فلئن كنت تصبح آمناً من جراحة يدي إنّي لأرجو أنْ يعظّم الله جرحك من لساني ونقضي وإبرامي. والله ، ما أنا بآيس من بعد قتلك ولد رسول الله (صلى‌الله‌عليه‌وآله) أنْ يأخذك أخذاً أليماً ، ويُخرجك من الدّنيا مذموماً مدحوراً ، فعش لا أباً لك ما استطعت ، فقد والله أرداك ما اقترفت ، والسّلام على من اتّبع الهدى.

فلمّا وصل الكتاب إلى يزيد ، غضب غضباً شديداً وهمّ أنْ يقتل ابن عبّاس ، ولكن شغلته عنه قضيّة ابن الزّبير ، ثمّ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| نصرتَ ابنُ عبّاسٍ حسينَ بنَ فاطمٍ  |  | بحدِّ لسانٍ ما عنْ السّيفِ يَنقصُ  |
| دعتْكَ إليه شِيمةٌ هاشميّةٌ  |  | فحقّاً لأنتَ الهاشميُّ الـمُخلَصُ  |

المجلس الثالث والتسعون

روى الشيخ الطوسي رحمه‌الله في الأمالي قال : بلغ المتوكّل جعفر بن المعتصم أنّ أهل السّواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين (عليه‌السلام) ، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير ، فأنفذ قائداً من قوّاده وضمّ إليه جنداً كثيفاً ليحرث قبر الحسين (عليه‌السلام) ويمنع النّاس من زيارته والاجتماع إلى قبره. فخرج القائد إلى الطفّ وعمل بما أمر ، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومئتين ، فثار أهل السّواد به واجتمعوا عليه وقالوا : لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك مَن بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا ، فكتب بالأمر إلى الحضرة ، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أنّ ذلك في مصالح أهلها.

فمضى الأمر على ذلك حتّى كانت سنة مئتين وسبع وأربعين ، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير النّاس من أهل السّواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه‌السلام) ، وأنّه قد كثر جمعهم

لذلك وصار لهم شوق كثير ، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند ، وأمر منادياً ينادي : أنْ برئت الذمّة ممَّن زار قبر الحسين (عليه‌السلام) ، وأمر بنبش القبر وحرث أرضه ، وانقطع النّاس عن الزيارة.

ما كفى ما فعلته بنو اُميّة من قتل الحسين (عليه‌السلام) وأهل بيته وأنصاره ، ورضّ جسده الشريف ، وسبي نسائه وذراريه من بلد إلى بلد ، وحمل رأسه ورؤوس أصحابه فوق الرماح حتّى جاءت بنو العبّاس فبنت على ما أسّسته بنو اُميّة وزادت عليه ، ورامت أنْ تدرس قبر الحسين (عليه‌السلام) وتعفي أثره ، وتمنع النّاس من زيارته ! ( يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمّ نُورَهُ )(1).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| بنَى لهمُ الماضُونَ آساسَ هذهِ  |  | فعلَوا على آساسِ تلك القواعدِ  |
| ألا ليسَ فعلُ الأولينَ وإنْ عَلا  |  | على قُبحِ فعلِ الآخرينَ بزائدِ  |

وكان بعض المحبّين قد حضر لزيارة الحسين (عليه‌السلام) حين أمر المتوكّل بحرث القبر الشريف ، فلم تمكنه الزيارة ، فتوجّه نحو بغداد وهو يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تاللهِ إنْ كانت اُميّةُ قدْ أتتْ  |  | قَتلَ ابنِ بنتِ نبيِّها مظلُوما  |
| فلقدْ أتاكَ بنو أبيهِ بمثلِها  |  | هذا لَعمركَ قبرُهُ مهدُوما  |
| أسِفوا على أنْ لا يكونوا شايَعوا  |  | في قتلِهِ فتتبَّعُوهُ رَميْما  |

\* \* \*

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تتبَّعوكُمْ ورامُوا محوَ فضلِكُمُ  |  | وخيَّبَ اللهُ من في ذلكُمْ طَمعا  |
| أنَّى وفي الصلواتِ الخمسِ ذكركُمُ  |  | لدَى التَّشهدِ للتوحيدِ قدْ شفَعا  |

المجلس الرابع والتسعون

روي عن الصادق (عليه‌السلام) أنّه قال : (( ما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت ، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس سنين حتّى قُتل عبيد الله بن زياد )).

وعن فاطمة بنت

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

(1) سورة التوبة / 31.

علي أمير المؤمنين عليها وعلى أبيها السّلام أنّها قالت : ما تحنّأت امرأة منّا ، ولا أجالت في عينها مروداً ، ولا امتشطت حتّى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد.

ولـمّا قتل ابراهيمُ بن مالك الأشتر عبيد الله بن زياد ، بعث برأسه ورؤوس قوّاده - وفيها رأس الحُصين بن تميم - إلى المختار بالكوفة ، فقدموا عليه وهو يتغدّى فحمد الله على الظفر ، فلمّا فرغ من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله ، ثمّ رمى بها إلى غلامه وقال : اغسلها ، فإنّي وضعتها على وجه بَحسٍ كافر. ووُضعت الرؤوس في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين (عليه‌السلام) ورؤوس أصحابه ، ونصب المختار رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين (عليه‌السلام).

وروى ابن الأثير في الكامل عن الترمذي في جامعه : أنّه لـمّا وُضع رأس ابن زياد أمام المختار ، جاءت حيّة دقيقة فتخلّلت الرؤوس حتّى دخلت في فم عبيد الله بن زياد ثمّ خرجت من منخره ، ودخلت في منخره وخرجت من فيه ، فعلت هذا مراراً ، ثمّ بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين (عليهما‌السلام) وكان يومئذ بمكّة ، فاُدخل عليه وهو يتغدّى ، فسجد شكراً لله ، وقال : (( الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوّي ، وجزى الله المختار خيراً. اُدخلت على ابن زياد وهو يتغدّى ، ورأس أبي بين يدَيه ، فقلتُ : اللهمَّ ، لا تُمتني حتّى تريني رأس ابن زياد )).

وكان قتل ابن زياد وأشياعه في يوم عاشوراء ، في اليوم الذي قُتل فيه الحسين (عليه‌السلام) ، ولمْ يُقتل من أهل الشام بعد وقعة صفين مثلما قُتل في هذه الوقعة ؛ قُتل منهم سبعون ألفاً.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيا ابنَ زيادٍ بؤ بما قدْ جنيتهُ  |  | وذُقْ حدَّ ماضي الشّفرتينِ صَقيلِ  |
| جزى اللهُ خيراً شرطةَ اللهِ إنّهُمْ  |  | شفوا بعبيدِ اللهِ كلَّ غليلِ  |

المجلس الخامس والتسعون

روى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناده عن المنهال بن عمرو ، قال : دخلت على

علي بن الحسين (عليهما‌السلام) منصرفي من مكّة ، فقال : (( يا منهال ، ما صنع حرملة بن كاهلة ؟ )). فقلت : تركته حيّاً بالكوفة. فرفع يدَيه جميعاً ثمّ قال : (( اللهمَّ ، أذقه حرّ الحديد. اللهمَّ ، أذقه حرّ النّار )). فقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن عبيدة الثقفي ، وكان لي صديقاً ، فكنت في منزلي أياماً حتّى انقطع النّاس عنّي وركبت إليه فلقيته خارجاً من داره ، فقال : يا منهال ، لمْ تأتنا في ولايتنا هذه ، ولم تهنّئناها ، ولمْ تشركنا فيها ! فأعلمته أنّي كنت بمكّة وأنّي قد جئت الآن.

وسايرته ونحن نتحدث حتّى أتى الكناس ( وهي الساحة التي يجتمع فيها النّاس بالكوفة ) فوقف كأنّه ينتظر شيئاً، وقد كان اُخبر بمكان حرملة بن كاهلة فوجّه في طلبه ، فلمْ يلبث أنْ جاء قوم يركضون وقوم يشتدّون حتّى قالوا : أيّها الأمير البشارة ، قد اُخذ حرملة بن كاهلة. فما لبثنا أنْ جيء به ، فلمّا نظر إليه قال لحرملة : الحمد لله الذي أمكنني منك. ثمّ قال : الجزّار الجزّار. فاُتي بجزّار ، فقال له : اقطع يدَيه. فقُطعتا ، ثمّ قال : النّار النّار. فاُتي بنار وقصب فاُلقي إليه فأشعل فيه النّار ، فقلت : سبحان الله ! فقال لي : يا منهال ، إنّ التسبيح لحسن ، ففيم سبّحت؟ فقلت : أيّها الأمير ، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكّة على علي بن الحسين (عليهما‌السلام) ، فقال لي : (( يا منهال ، ما فعل حرملة بن كاهلة الأسدي ؟ )). فقلت : تركته حيّاً بالكوفة. فرفع يدَيه جميعاً فقال : (( اللهمَّ ، أذقه حرّ الحديد. اللهمَّ ، أذقه حرّ النّار )). فقال لي : أسمعت علي بن الحسين يقول هذا ؟ فقلت : والله، لقد سمعته. قال : فنزل عن دابّته وصلّى ركعتين فأطال السجود ثمّ قام فركب ، وقد احترق حرملة.

وركبت معه وسرنا ، فحاذيت داري فقلت : أيّها الأمير ، إنْ رأيت أنْ تشرّفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي. فقال : يا منهال ، تُعلمني أنّ علي بن الحسين (عليهما‌السلام) دعا بأربع دعوات فأجابه الله على يدَي ، ثمّ تأمرني أنْ كلّ ؟! هذا يوم صوم شكراً لله عزّ وجلّ على ما فعلته بتوفيقه.

وحرملة هذا رمى يوم الطفّ ثلاثة من آل بيت الرسول (صلى‌الله‌عليه‌وآله) ؛ أحدهم أبو بكر بن الحسن ، فإنّه خرج إلى الحرب وقاتل حتّى قُتل ، رماه حرملة هذا بسهم فقتله ، والثاني عبد الله الرضيع ، وذلك لـمّا

أخذه أبوه الحسين (عليه‌السلام) وأجلسه في حجره وأومأ إليه ليقبّله ، فرماه حرملة بن كاهلة بسهم فوقع في نحره فذبحه ، فقال (عليه‌السلام) لزينب : (( خذيه )). ثمّ تلقّى الدم بكفّيه ، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء ، ثمّ قال : (( هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله )).

والثالث عبد الله بن الحسن ، فإنّه خرج من عند النّساء وهو غلام ، فلحقته زينب وامتنع امتناعاً شديداً ، وجاء يشتد إلى عمّه الحسين (عليه‌السلام) حتّى وقف إلى جنبه وقال : لا اُفارق عمّي. فأهوى بحر بن كعب إلى الحسين (عليه‌السلام) بالسيف ، فقال الغلام : ويلك يابن الخبيثة ! أتقتل عمّي ؟! فضربه بحر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد فإذا هي معلّقة ، فنادى الغلام : يا عمّاه ! - أو يا اُمّاه ! - فأخذه الحسين (عليه‌السلام) فضمّه إلى صدره وقال : (( يابن أخي ، اصبر على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله وعلي وحمزة وجعفر والحسن صلّى الله عليهم أجمعين )). فرماه حرملة بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه ، فرفع الحسين (عليه‌السلام) يدَيه وقال : (( اللهمَّ ، امسك عنهم قطر السّماء ، وامنعهم بركات الأرض. اللهمَّ ، فإنْ متّعتهم إلى حين ، ففرّقهم فرقاً واجعلهم طرائق قدداً ولا ترض الولاة منهم أبداً ؛ فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عدوا علينا فقتلونا )).

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هَبُوا أنّكُمْ قاتلتمُ فقتلتُمُ  |  | فما بالُ أطفال تُقاسي نبالَها  |

وليكن هذا آخر الجزء الأول من كتاب المجالسُ السَّنيّة في ذكرى مناقب ومصائب العترة النبويّة ، ويليه الجزء الثاني.

ووافق الفراغ منه أولاً ضحى يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام ، عام ألف وثلاثمئة واثنين وأربعين من الهجرة بمدينة دمشق الشام ، صانها الله تعالى عن طوارق الحدثان. ووافق الفراغ من إعادة النظر فيه ثانياً ، عند إرادة تمثيله للطبع للمرّة الثانية وتغيير بعض ترتيبه والزيادة عليه والإنقاص منه ، ضحى يوم الجمعة الخامس عشر من شهر ذي الحجّة الحرام عام الف وثلثمئة وخمسين من الهجرة بقرية شقراء من جبل عامل ، حماه الله من الغوائل. ووافق الفراغ من إعادة النظر فيه ثالثاً ، عند إرادة تمثيله للطبع هذه المرّة ، في اليوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك عام 1364 من الهجرة بمنزلي في دمشق الشام ، وقاها الله من حوادث الأيام ، في شارع الأمين حماه الله من كلّ ما يضرّ ويشين.

وكتب بيده الفانية مؤلّفه الفقير إلى عفو ربّه الغني محسن ابن المرحوم السيّد عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي ، نزيل دمشق ، تجاوز الله عن سيّئاته حامداً مصلّياً مسلّماً ، وكان الفراغ من تجديده وإعادة طبعه للمرّة الخامسة على يد حسن الأمين ، ولد المؤلف ، في الثامن من ذي الحجّة عام 1382 في بيروت.

و الحمدلله رب العالمين

الفهرس

[مقدّمة الطبعة الجديدة 3](#_Toc18236186)

[مقدّمة مهمّة 6](#_Toc18236187)

[المجلس الأول 8](#_Toc18236188)

[المجلس الثاني 10](#_Toc18236189)

[المجلس الثالث 11](#_Toc18236190)

[المجلس الرابع 13](#_Toc18236191)

[المجلس الخامس 15](#_Toc18236192)

[المجلس السّادس 16](#_Toc18236193)

[المجلس السّابع 18](#_Toc18236194)

[المجلس الثامن 19](#_Toc18236195)

[المجلس التاسع 21](#_Toc18236196)

[المجلس العاشر 23](#_Toc18236197)

[المجلس الحادي عشر 24](#_Toc18236198)

[المجلس الثاني عشر 26](#_Toc18236199)

[المجلس الثالث عشر 27](#_Toc18236200)

[المجلس الرابع عشر 29](#_Toc18236201)

[المجلس الخامس عشر 31](#_Toc18236202)

[المجلس السّادس عشر 32](#_Toc18236203)

[المجلس السّابع عشر 35](#_Toc18236204)

[المجلس الثامن عشر 37](#_Toc18236205)

[المجلس التاسع عشر 38](#_Toc18236206)

[المجلس العشرون 40](#_Toc18236207)

[المجلس الواحد والعشرون 42](#_Toc18236208)

[المجلس الثاني والعشرون 43](#_Toc18236209)

[المجلس الثالث والعشرون 44](#_Toc18236210)

[المجلس الرابع والعشرون 46](#_Toc18236211)

[المجلس الخامس والعشرون 48](#_Toc18236212)

[المجلس السادس والعشرون 49](#_Toc18236213)

[المجلس السّابع والعشرون 50](#_Toc18236214)

[المجلس الثامن والعشرون 53](#_Toc18236215)

[المجلس التاسع والعشرون 55](#_Toc18236216)

[المجلس الثلاثون 56](#_Toc18236217)

[المجلس الواحد والثلاثون 59](#_Toc18236218)

[المجلس الثاني والثلاثون 61](#_Toc18236219)

[المجلس الثالث والثلاثون 62](#_Toc18236220)

[المجلس الرابع والثلاثون 64](#_Toc18236221)

[المجلس الخامس والثلاثون 65](#_Toc18236222)

[المجلس السّادس والثلاثون 67](#_Toc18236223)

[المجلس السّابع والثلاثون 68](#_Toc18236224)

[المجلس الثامن والثلاثون 70](#_Toc18236225)

[المجلس التاسع والثلاثون 71](#_Toc18236226)

[المجلس الأربعون 74](#_Toc18236227)

[المجلس الواحد والأربعون 76](#_Toc18236228)

[المجلس الثاني والأربعون 78](#_Toc18236229)

[المجلس الثالث والأربعون 80](#_Toc18236230)

[المجلس الرابع والأربعون 82](#_Toc18236231)

[المجلس الخامس والأربعون 83](#_Toc18236232)

[المجلس السّادس والأربعون 85](#_Toc18236233)

[المجلس السّابع والأربعون 87](#_Toc18236234)

[المجلس الثامن والأربعون 88](#_Toc18236235)

[المجلس التاسع والأربعون 90](#_Toc18236236)

[المجلس الخمسون 92](#_Toc18236237)

[المجلس الواحد والخمسون 94](#_Toc18236238)

[المجلس الثاني والخمسون 96](#_Toc18236239)

[المجلس الثالث والخمسون 98](#_Toc18236240)

[المجلس الرابع والخمسون 100](#_Toc18236241)

[المجلس الخامس والخمسون 101](#_Toc18236242)

[المجلس السّادس والخمسون 102](#_Toc18236243)

[المجلس السّابع والخمسون 104](#_Toc18236244)

[المجلس الثامن والخمسون 105](#_Toc18236245)

[المجلس التاسع والخمسون 107](#_Toc18236246)

[المجلس الستّون 109](#_Toc18236247)

[المجلس الواحد والستّون 110](#_Toc18236248)

[المجلس الثاني والستّون 112](#_Toc18236249)

[المجلس الثالث والستّون(1) 115](#_Toc18236250)

[المجلس الرابع والستّون 116](#_Toc18236251)

[المجلس الخامس والستّون 117](#_Toc18236252)

[المجلس السّادس والستّون 118](#_Toc18236253)

[المجلس السّابع والستّون 119](#_Toc18236254)

[المجلس الثامن والستّون 121](#_Toc18236255)

[المجلس التاسع والستّون 122](#_Toc18236256)

[المجلس السّبعون 124](#_Toc18236257)

[المجلس الواحد والسّبعون 125](#_Toc18236258)

[المجلس الثاني والسّبعون 126](#_Toc18236259)

[المجلس الثالث والسّبعون 127](#_Toc18236260)

[المجلس الرابع والسّبعون 129](#_Toc18236261)

[المجلس الخامس والسّبعون 130](#_Toc18236262)

[المجلس السّادس والسّبعون 132](#_Toc18236263)

[المجلس السّابع والسّبعون 134](#_Toc18236264)

[المجلس الثامن والسّبعون 135](#_Toc18236265)

[المجلس التاسع والسّبعون 136](#_Toc18236266)

[المجلس الثمانون 138](#_Toc18236267)

[المجلس الواحد والثمانون 140](#_Toc18236268)

[المجلس الثاني والثمانون 141](#_Toc18236269)

[المجلس الثالث والثمانون 143](#_Toc18236270)

[المجلس الرابع والثمانون 144](#_Toc18236271)

[المجلس الخامس والثمانون 145](#_Toc18236272)

[المجلس السّادس والثمانون 147](#_Toc18236273)

[المجلس السّابع والثمانون 148](#_Toc18236274)

[المجلس الثامن والثمانون 150](#_Toc18236275)

[المجلس التاسع والثمانون 151](#_Toc18236276)

[المجلس التسعون 152](#_Toc18236277)

[المجلس الواحد والتسعون 155](#_Toc18236278)

[المجلس الثاني والتسعون 156](#_Toc18236279)

[المجلس الثالث والتسعون 158](#_Toc18236280)

[المجلس الرابع والتسعون 159](#_Toc18236281)

[المجلس الخامس والتسعون 160](#_Toc18236282)

[الفهرس 164](#_Toc18236283)